سامي الدروبي



إحسان بيات الدروبي

احسان بيات الدروبـــــي

ســــامي الـدروبــــي

دار الكرمل للدراسات والطباعة والنشر والتوزيع

الى الاستاذ الدكتور احسان
والعزيزة منور أقدم محاولتي هذه
مع حبي واحترامي

احسان بيطار الدروبي
٥/١١/١٩٨٤

سامي الدروبي

دار الكرمل للدراسات والطباعة والنشر والتوزيع

دمشق ـ شارع ٢٩ أيار مقابل المركز الثقافي السوفييتي

ص.ب ٣٣٢٦ ـ هاتف ٤٥٦٩١٥

الطبعة الأولى دمشق ١٩٨٢

الاخراج والاشراف الفني: فهد يكن

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة . إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون .

صدق الله العظيم

الاهــداء

إليك يا سامي أهدي هذه الذكريات ، لمحات من سيرة حياتنا أو من مشوار عمري معك . وأنا أعتذر منك لأن الله لم يعطني موهبة الأدب حتى أعطيك ما تستحق . . . أيها الإنسان الملحمة في تحمله للألم وفي عطائه برغم الألم .

إليك أقدم محاولتي واعتذاري

احسان بيات الدروبي

المقدمة

إلى الأعزاء قراء وتلاميذ سامي الذين زاروني أو كلموني مطالبين معرفة الكثير عن سامي طارحين العديد من الأسئلة ، لتضيء جوانب من شخصيته وأخص صديقة طرحت على سؤ الأ . . . فاسترسلت بالاجابة عليه . . . فإذا بها تقول :-

يا احسان أن سامي ليس ملكاً لك ، إنه ملك لقراءه . . . وأنت لم تكون لسامي «حرمه» بل كنت «بتاع كله» ، زوجه ، سكرتيره ، ممرضه ، عكازته كما سمعته يصفك أكثر من مرة . . . لذا يجب أن تكتبي عنه . . .

أجبت :-

لم يسبق لي الكتابة .

فقالت :-

سنرسل لك صحفية . تتحدثي أمامها وهي تسجل الحديث .

فعلاً في اليوم التالي . حضرت الصحفية . وتحدثت معها ، وفي اليوم الذي تلى أتت فقرات ما دونت . . . لم أشعر أنني أنا ، ولم أشعر أن ما كتب هو سامي . . . فاعتذرت للصحفية وقررت أن أكتب رغم أنني لست بكاتبة . لمحات عن سامي . وها قد عملت بنصيحتها ولم أكن مقدرة أن ما أكتب سوف يرى النور ولكن في الواقع كان يواسيني ، يريحني يجعلني أعيش حياتي الماضية مرة ثانية . وأن أعيد ذكراها أجترها تملأفراغي ، تؤنس وحدتي وتضيء ظلام ليلي . فوجدت بهذا كله متعة فانصرفت إليها إنصرافاً بعناد وإصرار

وفي زيارة لصديقة عزيزة عليَّ الأديبة السيدة الفة الإدلبي . تعمدت أن أحدثها عن صديقتي تلك . وما اقترحت علي . فإذا بها تقول :ـ

يا إحسان لو سجلت ما تقولينه عن سامي بذلك الصدق وبتلك الحرارة لكفى .

تشجعت عندئذٍ وقلت :ـ

إلفة هانم لقد فعلت . . . وهذا هو ما كتبت . . أرجو أن أسمع رأيك بصدق وصراحة .

وبفضل تشجيعها لي قدر لما كتبت أن يرى النور .



بقدر ما تمنيت أن يمتد العمر بزوجي ليكمل عطاءه الثر لأمته . بقدر ما رجوت أن اتمكن بعد وفاته من نقل صور عن حياته وخلاصة تجاربه الى جيل من شباب أمته العربية . كان سامي يرى فيه دائما أمل المستقبل . وكم طلب مني هذا وأنا رفيقة عمره وشريكة حياته ولكنني كنت ومازلت أهاب وأخشى القلم . فلذا ترددت كثيرا وهأنذا أحاول بعد هذا التردد الطويل أن أكتب ، وآمل ان يحالفني التوفيق .

لأبدأ بمشوار العمر منذ كان لقاؤنا الأول في الحرم الجامعي في السابع من نيسان عام ١٩٥٤ وبالذات في غرفة الدكتور عبد الله عبد الدائم الذي كان أستاذي في دوحة الأدب حيث نلت الشهادة الثانوية وكان يرعانا ثقافيا ويحثنا على المطالعة ، فيعيرنا العديد من كتبه الخاصة مما يجعلنا نتردد على مكتبه لنعيد ونأخذ من زاده الذي لا ينضب ، ومن المصادفة الغريبة أن الكتاب الذي كان عليّ أن أعيده الى الدكتور عبد الدايم في ذلك اليوم كان كتاب الطاقة الروحية لهنري برغسون ترجمة الدكتور سامي الدروبي . فتعارفنا فلفت نظري وجه صبوح وجبهة براقة وعينان معبرتان وحديث سلس وتعليقات مرحة ذكية . . . ولم أدر لماذا قضيت تلك الليلة وأنا أترنم بصدى حديثه وأنتشي برنين ضحكته ، وأسرح ببريق عينيه ولم أكن ادري ان الهوى بدأ يغزو قلبي ولم أكن اؤمن بالحب من النظرة الأولى . . . وكنت أتساءل وهل يمكن أن يحصل من طرف واحد . ووجدت الجواب بعد أربعة أيام فقط حين كنت مع مجموعة من الزملاء والزميلات نهبط سلم كلية الحقوق متجهين الى المكتبة وإذا بنظرة ثاقبة من عينين زرقاوين تشملني فتربكني وبخطى ثابته تتقدم نحوي وبجملة قصيرة جافة تسألني بل تأمرني أن أرافقه لأن الدكتور عبد الدائم يرغب في التحدث اليّ بأمر هام . . . فمشيت مسلوبة الارادة أتساءل بيني وبين نفسي . اذا كان الدكتور عبد الدايم يريد التحدث اليّ يجب أن يرسل لطالبته أحد الأذنة . لا أن يستدعيني بواسطة أستاذ ! ترى ماذا ستقول مجموعة الزميلات والزملاء الذين تركتهم دون اعتذار ودون تبرير . . . قرأ فكري بلمحة سريعة وقال ونحن مازلنا نسير متجهين الى مخبر علم النفس بلهجة جدية كل الجد :ـ

ـ يا آنسة أنا رجل صريح وصادق ولقد أحسست أنك أنت كذلك فهناك موضوع هام يتعلق بكلينا أنا وأنت لذا قررت أن آخذ رأيك فيه . لقد أعجبت بك ياآنسة منذ لقائنا الأول وكأنني أعرفك منذ زمن طويل وقررت اذا كان رأيك بسامي الدروبي ايجابيا أن أتقدم الى طلب يدك في الغد واذا كان رأيك في سلبيا أرجو أن لانلتقي بعد الآن أي لا أريد أن أراك أبدا .

شعرت بشحنة دماء ساخنة تتدفق في كل خلية من خلايا جسمي وتتمركز في وجهي وتكاد تنفجر الشعيرات الدموية بما تحمل من دفعات دموية ملتهبة ، وكنت أشعر أن كل من في الممر الذي يفصل المكتبة عن مخبر علم النفس عيون طالبات وطلاب تتساءل وألسنة تتطاول وآذان تنصت .

تمالكت نفسي وتشجعت وقلت :ـ

لا أظن يا أستاذ دروبي أن موضوعا كهذا يمكن اعطاء الرد عليه بشكل ارتجالي .

فقال : معك حق لابد أن تعرفي من أنا . وبدأ يتحدث عن نفسه بصدق وتحليل لشخصيته وخلقه وطباعه بتجرد تام كأنه يتحدث عن شخص آخر وكان هذا الصدق يسحرني ، يبهرني ، يجذبني اليه . فقلت باصرار لن أدع أحدا يسأل عنك من اسرتي كما هو العرف لأنني أنا قد اتخذت قراري النهائي وأعترف أنني استمديت منه شجاعة جعلتني أنا الفتاة التي تربت في بيئة محافظة جدا أن أتمرد في لحظة واحدة على الأعراف والتقاليد المعروفة لكنني قلت متسائلة أليس من الأنسب لكلينا أن نأخذ رأي الدكتور عبد الدايم انه صديقك وأستاذي وقد خبرنا نحن الاثنين ولعله الوحيد الذي يستطيع أن يتنبأ هل سيكون زواجنا ناجحا أم لا ؟ فاذا به يتحرر من جديته ويقول مبتسما :ـ

لقد عرضت الفكرة على صديقي وكان لي أكبر مشجع تعالي اذن نقرأ الفاتحة . وقرأنا الفاتحة في الحرم الجامعي هو وأنا وحدنا ولعله كان أسرع قرار اتخذ في قضية زواج قدر له فيما بعد أن يكون ناجحا كل النجاح .

قبل أن أبلغ عائلتي توجهت فورا الى منزل الصديقة والنسيبة السيدة الفة الادلبي . لأقول لها هذا الخبر فاذا هي تبارك هذه الخطوبة وتهنئني على

جرأتي وتقول لي :ـ يا أبنتي أن الزواج شيء شخصي جدا ويعود قبـل كل شيء الى قناعة الزوجين ببعضهما .

في اليوم الثاني اعلنت خطوبة الأستاذ سامي الدروبي على الطالبة الاذاعية احسان بيات وطلب سامـي منـي أن استقيل من عملـي الاذاعـي لاتفـرغ كسكرتيرة له وكان له ماأراد . وقد كان أول عمل مشترك بيننا ترجمة كتاب مذلون مهانون لدوستويفسكي . كان يمسـك النص الفرنسي بيـده ويملـي علي بالعربية فأكتب وهذه الطريقة في العمل توفر الكثير من الوقت وكان قبل ذلك قد ترجم قصة نيتوتشكا لدوستويفسكي أيضا . وأذكر أنني سألته مرة وأنا أرتب المكتبة التي احتوت الكثير من الكتب والدراسات عن دوستويفسكي أرى أن هذا الكاتب قد استولى على اهتمامك أكثر من أي كاتب آخر لماذا هو بالذات . فضحك وقال :ـ

لأنه من الأدباء الذين لهم نظرة فلسفية أو الذين كانوا أدباء وفلاسفة في آن واحد ، وتابع قوله بدأت بقراءة مؤلفاته بالفرنسية وأنا في السادسة عشرة من عمري فما انقضت بضع سنين حتى أتيت على آثاره كلها أعيد قراءتهـا بلا كلل أو ملل حتى لقد أخذت أترجـم بعض فصولـه منـذ ذلك الحين . . . استهواني ووجدت نفسي فيه ، وما أظن انني أخطأت التقدير منذ تلك السن ولاشك أن دوستويفسكي يمتاز بأنه معاصر دائما . حتى أننا نرى الآن كثيرا من المذاهب الفكرية والتيارات الأدبية . المختلفة تنتمي اليه وتزعم بنوتها له . وتابع يقول بثقة : كم أتمنى أن انهي الأعمـال الكاملـة لدوستويفسكي لتضم المكتبة العربية هذه الأعمال حتى يستطيع المثقف العربي أن يقرأ هذا الكاتب الفذ .

وراح يعمل بجدية خارقة على ترجمة دوستويفسكي فكانت تتوالـى هذه الأعمال من بين يديه الواحد بعد الآخر ، وفي عام ١٩٦٦ تم التعاقـد بين وزارة الثقافة المصرية والدكتور سامي الدروبي على نشر الأعمال الكاملـة لدوستويفسكي ولقد كان لهذا القرار هزة في الوسط الثقافي المصري .

وبما أن زوجة الأديب هي العين التـي تراه وهـي الأذن التـي تسمـع كل

ما يقول وما يقال عنه لذا احتفظت بهذه المقالات وهاانذا أنقل بعض ما كتب عنه في ذلك الوقت .

في مجلة المصور كتب الأستاذ أحمد بهاء الدين مايلي ؟-

أحب أن أكتب عن مشروع الاعمال الكاملة لدوستويفسكي الذي تصدره وزارة الثقافة فهاقد ظهرت في السوق لعملاق القصة دوستويفسكي ترجمة ممتازة ونهائية فهي أحسن ما قرأت لأن المترجم يملك ناصية اللغتين الفرنسية والعربية وهو يترجم ترجمة علمية مدروسة ، فوق الحس الأدبي والفني الملائم لها تماما تهنئتي للأستاذ سامي الدروبي على انجازه هذا العمل وتهنئتي الى وزارة الثقافة على حسن اختيارها فيما تطبع

اما الكاتب الأديب بدر الديب فقد كتب بجريدة الجمهورية :-

لابد أن نعرف حقا قيمة وقدر هذا المجهود الكبير وتيسيرها لنا في العربية في ثمانية عشرة مجلدا . لاشك أن اختصاص الدكتور الدروبي بعلم النفس سهل عليه فهمه العميق لدوستويفسكي ومعرفته بالنفس البشرية . وبصياغة أدبية عربية رفيعة تعتبر مثلا عاليا في الترجمة . فألف شكر للدكتور سامي وجزاه الله خيرا على ماقدم للقارىء العربي من معونة .

اما رجاء النقاش فقد كتب في مجلة الدوحة :-

إن الدكتور سامي الدروبي واحد من أعلام المفكرين الذين آمنوا بدور الترجمة في بناء الحضارة الجديدة وهو وحده مؤسسة كاملة من مؤسسات الترجمة في الوطن العربي وهو الكاتب والمفكر نراه يؤثر أن يعطى جهده الأكبر للترجمة تعبيرا عن فكرته عن حاجة الثقافة المعاصرة الى قدر كبير جدا من الآثار العالمية المنقولة بدقة الى اللغة العربية بلغة تمكنها من أن تكون جزءا من المكتبة العربية بمستوىً حضاريا راقيا .

أما أحمد حمروش فقد كتب في روز اليوسف . . .

طوال رحلتي في بلغاريا كنت أعيش مع دوستويفسكي وأذكر سامي الدروبي الذي تحمل جهد الترجمة وقدم هذه الاعمال الادبية بصورة أصيلة وصادقة ولاشك أن تنفيذ نشر الأعمال الادبية العالمية كاملة هي تحول حقيقي في مسار الثقافة العربية بوضعها القمم الانسانية أمام القارىء

العربي . ولسامي الدروبي فضل السبق في هذا المجال فوضع أساسا صحيحا لما تتطلبه الترجمة من جهد ومعاناة فقدم دوستويفسكي في أكمل صورة . تحية تقدير الى استاذ الجامعة الأديب الذي لم تفلح السياسة في ان تبعده عن هوايته .



ديستويفسكي

لأول مرة أعمال ديستويفسكي الكاملة باللغة العربية

● احب ان اكتب عن هذا « المشروع » الذي ظهر في سوق الكتب باعتزاز شديد . اذ انني طالما كنت طالبا به ، كنموذج من مشروعات النشر التي يجب ان تركز وزارة الثقافة جهدها عليها ، بدلا من مئات الكتب التي تصدرها الوزارة وليست لها ـ بصراحة ـ قيمة تساوي ماتنفق فيها من ورق وعمل وطباعة وموظفين ...

فقد ظهرت في السوق المجلدات الاولى من مجموعة ترجمة « الاعمال الكاملة » لعملاق القصة دستويفسكي .

ماقلته مرارا هو : ان ثقافتنا وتعليمنا سيظلان ناقصين حتى تتم ترجمة الاعمال الكبرى في التراث الانساني ترجمة دقيقة كاملة الى اللغة العربية . الطالب او الشاب في روسيا او فرنسا او المانيا او امريكا او اليابان او اي بلد متقدم يشب فيجد هذه الاعمال موجودة بلغته ، بصرف النظر عن لغتها الاصلية . وهذا مايجب ان يتوفر لدينا . لابد ان يجد الشاب عندنا باللغة العربية اعمال الفلاسفة مثل ارسطو وافلاطون وكانت وهيجل وديكارت والادباء مثل تولستوي وبلزاك ودستويفسكي وشكسبير وفكتور هيجو والمفكرين امثال آدم سميث وريكاردو وماركس . الخ .

ان اي مبلغ ينفق على نقل الفكر الانساني الاساسي في كل الفنون والعلوم الى اللغة العربية يعادل انشاء جامعة جديدة بالضبط .

وكلنا نعرف الصعوبات التي يلاقيها شبابنا سواء في التعمق للغات اجنبية لاتقانها لاخذ فكرة عن هذه الاعمال او قراءتها في ملخصات وطبعات ناقصة مشوهة . او في شراء بعضها في لغته الاصلية بالثمن باهظة ـ واذا كان هناك من لم يمنعه هذا الجهد المضني فالاغلبية انصرفوا عن مواصلة الجهد .

وهذا الاتجاه ، وان بدا في الاول باهظ التكاليف ، الا انه مربح ماديا في المدى الطويل . فحين تتفق مؤسسات النشر على ترجمة عمل سيعيش مئات السنين ترجمة ممتازة ونهائية يقوم بها احد الخبراء الاكفاء ، سوف تصبح هذه الترجمة هي الترجمة النهائية التي تطبع باللغة العربية مئات السنين . ستصبح مثل كتب التراث العربي التي تطبع سنة بعد سنة لان الطلب عليها متجدد ابدا .

دعوت الى هذا مرارا . وللاسف لم يكن لهذه الدعوة صدى يذكر . ولهذا يهمني ان اسجل فرحتي بعمل يصدر من مؤسسة الكتاب العربي في هذا الاتجاه : حوالي ٢٠ مجلدا ستضم لاول مرة الاعمال الكاملة لاديب عظيم ، مثل دستويفسكي .

انني سأشتري هذه الاجزاء . صحيح انني قرأت معظمها . ولكن ابنتي وابني الطفلين سوف يحتاجان في سن الشباب الى قراءة دستويفسكي وانا سعيد انهما سيجدانه باللغة العربية . واعتقد ان كثيرين سوف يفعلون مثلي .

والترجمة للاستاذ سامي الدروبي سفير سوريا في مصر . واذا كان سامي الدروبي يعمل الآن سفيرا فهو دائما وباستمرار استاذ واديب في مقدمة المثقفين العرب . وقد قرأت له منذ سنوات ترجمات من هذا النوع ، هي من احسن ماقرأت ، لانه يملك ناصية اللغتين الفرنسية والعربية على مستوى عال وممتاز . وهو يترجم ترجمة علمية مدروسة ، وهذا هو المطلوب لمثل هذه الاعمال ، فوق الحس الادبي والفني اللازم لها ايضا ...

يهمني للاستاذ سامي الدروبي ، والاستاذ محمود العالم الذي كان له فضل بعث هذه الفكرة ، وان كان قد ترك مؤسسة النشر هذا الاسبوع ليشرف على مؤسسة المسرح وارجو ان تكون نتيجة هذه التجربة مشجعة لان تبدأ وزارة الثقافة فورا في التعاقد مع كبار المثقفين لترجمة اهم الاعمال الانسانية طبقا لخطة مدروسة .

احمد بهاء الدين



الدروبي — العالم

ـ مقال أحمد بهاء الدين .

جارة دوستويفسكي

بقلم : بدر الديب

« الجمهورية » ٢٣ / ١ / ١٩٦٨

ما اكثر ما تبينت انني لا اعرفه من دوستويفسكي عملاق الرواية الروسية « ١٨٢١ – ١٨٨١ » وانا اقرا المجلد الثاني من الاعمال الكاملة التي تصدرها دار الكاتب العربي من ترجمة الدكتور سامي الدروبي . لقد قرات له من سنوات بعيدة – كما فعل الكثير ولا شك – اعماله الكبيرة المعروفة ، الجريمة والعقاب والابله والمقامر والاخوة كارامازوف وغيرها . انني اذكرها كما تجيء الى ذهني وليس في ترتيبها الزمني . فما اظنك حتى ولو كنت عارفا بها وبتفاصيلها قد تيسرت لك هذه المعرفة بترتيبها الزمني وما يعنيه هذا الترتيب من مراحل في رحلة الخلق التي سلكها العملاق الكبير وما تعكسه هذه المراحل من تطور في الاسلوب والفكر .

واذا لم يكن لدينا الكثير من الغرور الذي يخفي – على انفسنا جهلنا ، والكثير من الادعاء الذي يجعلنا نسبق الكثير من احكامنا المبتسرة السريعة فلا بد ان نعرف حقا قيمة وقدر هذا المجهود الكبير وراء ترجمة الاعمال الكاملة للروائي الكبير وتيسيرها لنا في العربية في مجلدات ما اتوقنا ، واحوجنا الى اكتمالها .

لقد تعرفت في المجلد الثاني على قصة طويلة لدوستويفسكي هي قصة « الجارة » ، التي تعتبر من اعمال شبابه والتي ظهرت كما تقول هوامش المجلد في مجلة « حوليات الوطن » عام ١٨٤٧ ولا بد لي ان اعتذر « للمتخصصين العارفين » بتفاصيل اعمال الروائي عن تاخري وجهلي بمعرفة هذه القصة . بل لقد اكون مضطرا الى الاعتذار عن اعجابي بها ان تبرير هذا الاعجاب انا كانوا ممن لا يعجبون بها . ولكن اسال : كم منا يعرف « الجارة » وكم منا كان قادرا دون الترجمة الكاملة للاعمال ان يمارس ، وها انا اكرر الكلمة « يمارس » ، مشاكل التذوق والنقد والتاريخ الادبي التي يثيرها .

يذكرنا الاستاذ المترجم في مقدمته لتاريخ هذه القصة الادبي بأن بيلنسكي ، الناقد الشهير المعاصر لدوستويفسكي لم يدرك شيئا من روعة القصة واتهمها في نفس عام صدورها بانها « لا تشتمل على كلمة واحدة او عبارة واحدة يمكن ان تعد بسيطة حية فكل شيء فيها متكلف مبرقش مصطنع » . واذا كان من الممكن ان توصف هذه القصة الرائعة بشيء فهو بانها حية مفرطة في الحياة كجرح مفتوح وانها صادقة صارخة في الصدق كانات الالم . وليس من شك ان التفكير النظري الذي كان يوجه بيلنسكي الى الواقعية ذات الاتجاه الاجتماعي وانشغاله المبدئي بتكوين الافكار حول قضية هذه الواقعية والدعوة لها ، كان هو السبب في عماه عما في هذه القصة من فن او عما تكشفه من معرفة بالنفس البشرية . فالافكار النظرية حول الفن ، اذا كانت ضيقة متعصبة او فجة بدائية لا تدعمه ولا تساهم في تطويره بقدر ما تعطله وتصرف النظر عن روائعه . لقد انشغل نقادنا مدة طويلة بهذه المشكلة وكشف الانشغال بها عن كثير من الاحكام التي ما زلنا لم نتوصل الى حساب ختامي حقيقي لها في حياتنا الادبية . ولست اهاجم بالطبع بهذا الكلام الواقعية ذات الاتجاه الاجتماعي ولكن اوجه النظر الى معانيها وتطبيقاتها الضيقة الفجة . وترجمة « الاعمال الكاملة » تيسر لكل منا فرصة فريدة لمعايشة هذه المشكلة ولدراستها بنفسه في ميادين الادب العالمي .

واشار السيد المترجم في مقدمته ايضا الى تاثير دوستويفسكي بقصة جوجول « الانتقام الرهيب » بعد ان غير المحيط الاوكراني الذي تجري فيه قصة جوجول ونقل قصته الى « غابات الفولجا التي يرتادها قطاع الطرق » . لقد استثارتني الاشارة وحركتني المقارنة . ولما كنت لم اقرا قصة جوجول فكم تمنيت لو ان هناك بالعربية « اعمال كاملة » مماثلة له تيسر لي مباشرة معايشة هذا التاثر وفهمه . ولو انك تصورت ما ستبذله للحصول على نص قصة جوجول لقدرت معي قيمة هذه الفكرة التي تبنتها دار الكاتب العربي لاصدار الاعمال الكاملة لكبار المؤلفين حتى ولو كان قد سبق نشر بعضها .

وهناك بعد ذلك اشارة ثالثة في مقدمة المترجم للقصة وهي الاشارة الى تكرر وجود صورة البطلة في اشكال متشابهة في اعمال دوستويفسكي التالية . فهذه المراة التي لها نفس حارة ملتهبة .. تريد ان تهب الحب الصادق الحر لانسان جدير بها ثم هي لا تستطيع ان تتحرر من سلاسل خطيئتها » قد ظهرت مرة اخرى في « ناستازيا » بطلة « الابله » وفي « جروشنكا » بطلة « الاخوة كارامازوف » . ان القارىء الذي سيمتلك الاعمال الكاملة بمجلداتها القادمة سوف يكون قادرا هو ان يحكم على هذه المشابهة بنفسه وان يغني بها قدرته على التذوق والنقد دون حاجة الى كلام نظري من النقاد او تلخيصات شائهة من مؤرخي الادب .

ولكني اريد قبل ان انتهي ان اسمعك صوت دوستويفسكي في القصة وصوت المترجم الناقل له . اسمع صوت العجوز الساحر الذي استولى على حرية البطلة وحرمها القدرة على اعطاء الحب الكامل : « ... يا طفلي الحلو ، يا راسي الذهبي ، لقد حبست في كاسي عبرة من عبراتك تشبه لؤلؤة ، ولكنك اسفت عليها . لم سكبت مائة عبرة ! ولكن ما ينبغي لك ان تاسى على هذه العبرة ، على هذا الندى السماوي . لانها ستعود اليك ، ثقيلة مزيدا من الثقل ، تلك العبرة التي تشبه لؤلؤة ، ستعود اليك في ليلة غير ذات نهاية ، ليلة عذاب مر ، حين تواتيك فكرة مسكرة فتاخذ تاكلك اكلا .. »

اننا لن نعرف نبرة الصوت ودلالته كاملة حتى نقرا القصة كلها بل « والاعمال » . وكم ارجو ان تتوسع دار النشر التي تبنت الفكرة في مشروعها لنشر « الاعمال الكاملة » للادباء الكبار العالميين وان تجد طريقها الى خفض اسعار المجلدات ، ولو عن طريق الاشتراك المسبق ، حتى تيسر لقارئنا العربي فرصا فريدة جديدة في التذوق والمعرفة .

مقال بدر الديب .



كتب

الأعمال الكاملة لدستويفسكي
والأعمال الكاملة لأرسين لوبين

بقلم : رجاء النقاش

ترتفع في هذه الأيام بعض الأصوات التي تصرخ بكل قوتها ضد ترجمة الأعمال الكاملة للكاتب الروسي العالمي «فيدور دستويفسكي» .. وهي الترجمة التي قام بها الدكتور **سامي الدروبي** في أمانة ، وفي صياغة أدبية عربية رفيعة تعتبر مثلا عاليا في الترجمة الى اللغة العربية ... ففي هذه الفترة بالذات تهب على الأدب العربي رياح ترجمات فاسدة ورديئة وتافهة ، هي في حقيقتها تشويه لأعمال أدبية وفكرية كبيرة بقصد التجارة والربح ... في قلب هذا الجو الفاسد تظهر ترجمات الدكتور سامي الدروبي لتضع مستوى جديدا للترجمة وتعيد الى أذهاننا ذلك العصر الذهبي للترجمة الى اللغة العربية ، عندما كان كبار الأدباء والمثقفين هم الذين يتحملون مسئولية الترجمة .. فطه حسين يترجم بعض النصوص المسرحية اليونانية الهامة ، والزيات يترجم رفائيل للشاعر الفرنسي لامرتين ، وآلام فرتر لجيته .. ومحمد عوض محمد يترجم الجزء الأول من فاوست لجيته ... لقد كانت الترجمة في تلك الفترة الذهبية عملا ثقافيا مسئولا يعتمد على الجهد الأدبي الأصيل ، ويقوم به أدباء ومفكرون يعرفون حقيقة دورهم ، ويتقنون اللغة العربية واللغة التي يترجمون عنها في نفس الوقت ... بينما يعاني الوطن العربي الآن من هذه الموجة الخطرة من موجات الترجمة المتسيبة ، وأكثر هذه الترجمات الرديئة على الأخص فيما تصدره كثير من مطابع بيروت من أعمال مشوهة ، لا صلة لها بالأصل الأجنبي ولا صلة لها باللغة العربية من ناحية أخرى ... وإن كان هذا لا ينفي بالطبع وجود بعض الترجمات الطيبة الجادة ، إلا أن الظاهرة الغالبة على الترجمات العربية الحالية هي ظاهرة التشويه والتحلل والتسرع المزعج في الصياغة العربية .

إن ترجمات سامي الدروبي تنقذنا من ذلك كله وتعيدنا الى ذلك العصر الذهبي الراقي للترجمة العربية ... إن ترجماته أمينة ، والأمانة تعتمد على صياغة عربية في غاية الأناقة والصفاء . ومن هنا كانت هذه الترجمات كسبا لا شك فيه للثقافة العربية .

والذين يرفعون أصواتهم اليوم بالاحتجاج لأن دارا وسيطة للنشر هي دار الكاتب العربي تقدم الأعمال الكاملة لدستويفسكي لم يرفعوا صوتهم ، ولا حتى همسهم ، عندما كانت هذه الدار نفسها — وكان اسمها الدار القومية — تقدم في إسفاف مسلسل الأعمال الكاملة لأرسين لوبين . وبالطبع فإن أرسين لوبين ليس مؤلفا ولا كاتبا ، ولكنه بطل لمجموعة من الروايات البوليسية الرخيصة كتبها الكاتب الفرنسي «موريس لبلان» . ولكن كاتب هذه الروايات وبطلها [illegible] شخص واحد في أذهان الناس باسم أرسين لوبين ... إن الاثنين يمثلان معا نظرة واحدة فاسدة الى الفن والفكر والحياة . لقد كانت الأعمال الكاملة لأرسين لوبين تصدر بكثرة وبسرعة مدهشة من دور النشر الرسمية ، ومع ذلك لم يغضب أحد من الغاضبين الصارخين ضد أعمال دستويفسكي ، ولم يتساءل أحد منهم لم كانت هذه الأعمال الرخيصة تترجم . فماذا حدث اليوم وما هي الجريمة الفكرية التي وقعت حتى يغضب هؤلاء الغاضبون ؟ ... إننا إذا حاولنا أن نحدد الأفكار الغاضبة وراء هذه الزوبعة الهائلة — إن أمكن الهدوء مع هؤلاء الغاضبين — لوجدنا أنفسنا أمام ثلاث قضايا رئيسية لا قضية واحدة .

القضية الأولى هي : قضية الأولويات الثقافية الملحة ، فالذين يرفضون أعمال دستويفسكي ، يرددون دائما أننا بحاجة الى ألوان أخرى من الانتاج الفكري والفني ، وهم يثيرون المسألة من نوع [illegible] : هل نحن بحاجة الى العلم أو الى الآداب والفنون ؟ هل نحن بحاجة الى دستويفسكي أو ديكنز ؟ هل نحن بحاجة الى الترجمة أو الى التراث العربي ؟ — وتستمر سلسلة الأسئلة أو سلسلة المقارنات على هذا الأسلوب . والحقيقة أن وضع القضايا الفكرية بهذه الطريقة هو خطأ فادح . إنه نوع من التفكير البيزنطي ، الذي يضع قضايا خاطئة ثم يناقشها بطريقة لا جدوى منها ولا يمكن أن تصل الى نتيجة على الاطلاق . ومثل هذا النوع من المقارنات الخاطئة من الممكن أن يغرقنا لو استسلمنا له في سلسلة من هذه المقارنات : فهل نحن بحاجة الى الصناعة أو الى الزراعة ؟ هل نحن بحاجة الى المدارس الابتدائية أو الى الجامعات ؟ هل نحن بحاجة الى كليات الطب والهندسة أو الى كليات الآداب والفنون ؟ .. وهكذا ... مقارنات سخيفة لا حل لها ، لأنها في الأصل لا ضرورة لها . فالشعوب المتحضرة التي تريد أن تنهض وتتقدم تحتاج الى كل شيء أساسي في التفكير والفن والمجتمع . فنحن بحاجة الى الدراسات العلمية حاجتنا الى الدراسات الأدبية والانتاج الفني . ونحن بحاجة الى الصناعة والزراعة معا ، نحن بحاجة الى الطب والآداب في نفس الوقت .

وإذا كان المجتمع الاشتراكي يوحي الى البعض أنه مجتمع يلتزم بالمنفعة أولا وأخيرا ، أي أنه مجتمع لا يعترف إلا بالأشياء التي تفيد الناس فائدة مادية مباشرة ، فهذا فهم خاطئ الى أبعد حدود الخطأ للاشتراكية وللمجتمع الاشتراكي . فالاشتراكية على العكس من ذلك كله تعتبر النشاط الروحي الذي يتمثل في الفنون والآداب لونا أساسيا من النشاط . كان الذين يقرأون الكتب ويستمتعون بالموسيقى والأشعار واللوحات في مجتمع الاستغلال هم طبقة قليلة جدا .. وهذه الطبقة نفسها هي التي كانت تسيطر على الثروة المادية للمجتمع .. وكانت تبعا لذلك تنفرد بالاستمتاع بالفنون والآداب . **ولكن المجتمع الاشتراكي يؤمن تماما بعدالة توزيع الثروة الروحية مثل ايمانه بعدالة توزيع الثروة المادية . بل أن المجتمع الاشتراكي الذي يبذل فيه الانسان جهدا كبيرا ضخما من أجل العدل والرخاء ؛ إنما يؤمن — ويجب أن يؤمن — بأن هذا الانسان المناضل يستحق تلك الثروة الجميلة ... ثروة الفن والأدب أكثر من غيره .. إذا كان الفن يبعث الفرح الى القلب .. فمن أحق بهذا الفرح من هذا الانسان الذي يعمل ويناضل . فالفن ضرورة أساسية في المجتمع الاشتراكي قبل غيره من المجتمعات وهي الفنون والآداب . الفنون من العلوم ، لأنها أشياء أساسية الى أبعد الحدود نحتاج اليها بنفس القوة وبمستوى واحد ... اللوحة والقصة وحفلة الباليه والرغيف والقميص والاسطوانة .. كلها أشياء مطلوبة بنفس الدرجة والأهمية للمجتمع الاشتراكي والانسان**



دستويفسكي — سامي الدروبي

الاشتراكي لأنها كلها أشياء أساسية لا يمكن تجزئتها إذا أردنا بناء أو تطوير الانسان . وأعمال دستويفسكي هي قمة من قمم الفن الروائي في العالم كله لا في روسيا وحدها .. لا توجد أمة متحضرة على الاطلاق إلا وفي مكتبتها وبلغتها كل أعمال دستويفسكي ، سواء كانت هذه الأمم المتحضرة اشتراكية أو غير اشتراكية ، والروس أنفسهم الذين قاطعوا أدب دستويفسكي بعض الوقت ، في أيام الجمود الفكري الستاليني ، عادوا اليه ، ونشروا رواياته على ملايين المواطنين ما بين ١٩٥٦ و ١٩٥٨ ، وأعادوا اليه كل اعتباره كشخصية إنسانية لها قدرها الرفيع . فهل كان من حظ الثقافة العربية أن يظهر اليوم بيننا منطق يعترض على أن تقدم هذه الأعمال الكاملة لهذا الفنان الكبير ، فهذه ولا شك خطوة ترتفع بالثقافة العربية في جانب من جوانبها الى مستوى الثقافات العالمية الأخرى ، ومن حقنا أن نسعد بهذه الخطوة ونعتز بها . ولا يجوز أمام هذه الخطوة على الاطلاق إثارة المقارنات الخاطئة المضللة بين العلم والآداب أو بين دستويفسكي وديكنز أو ما الى ذلك . إن ترجمة دستويفسكي لا تنفي بأي حال من الأحوال ترجمة ديكنز ، أو ترجمة الدراسات العلمية الأخرى ، كل ما هنالك أن هذه الترجمة تثبت أننا نحن بحاجة اليه حاجتنا الى غيره .. ولقد وجدت حاجتنا الى أدب دستويفسكي من يستطيع الوفاء بها وننتظر أن تجد حاجاتنا الثقافية الأخرى من يقوم بها بنفس الكفاءة والأمانة .

القضية الثانية التي تثيرها الأصوات الغاضبة الصارخة ضد ترجمة دستويفسكي هي ما يمكن أن نسميه قضية المعرفة والتقييم ... فالبعض يقول أن دستويفسكي كاتب رجعي ومريض ... ولا داعي لترجمته . والواضح أن مثل هذه الفكرة تمثل نوعا من العقل الذي يطالبنا الفكر العربي بأن نتخلص منه تماما ؛ فليس من حق أحد أن يمنع عن الناس كاتبا أو مفكرا بحجة أنه لا يتفق معه في الرأي . فالصحيح **والذي نحتاج اليه هنا هو أن نعرف أولا ثم نناقش بعد ذلك** . حتى لو عرفنا أن دستويفسكي كاتب رجعي وهو فعلا مريض ... فالناس لابد أن يعرفوه أولا ، ثم يكونوا حوله ما يشاؤون من آراء بعد قراءته ومعرفته ... مادام هذا الفنان يحتل في أدب العالم مكانة عالية فإن الثقافة العربية يجب أن تكون مكتبة مفتوحة [illegible] من الانتاج الفكري والفني المعروف في العالم كله . من الضروري أن نعرف كل شيء ثم نرفض بعد ذلك ما نريد رفضه . أما أن نمنع أحد الكتاب العالميين الكبار رفضا وتسليما بهذا الرأي ، ثم نرفض هذا الكاتب ونمنع ترجمته .. مثل هذا الموقف خطأ وخطر .. إننا بحاجة الى أن نعرف أولا ، وبعد ذلك من حقنا أن نرفض ونقبل ونناقش ونحاكم .. المعرفة يجب أن تسبق التقييم ، وإلا وقفنا في وجه الكثير من ألوان الثقافة العالمية وسلمنا بوصاية بعض المفكرين على العقل العربي كله ليختاروا ما يريدون ويمنعوا ما يريدون .. يجب أن نفتح نوافذ الثقافة العربية لكل ما يمكن تقديمه من ألوان المعرفة الجادة العميقة في الفن والفكر والعلم ، وللمثقفين بعد ذلك أن ينقدوا ويناقشوا ويختاروا ما يشاءون ..

القضية الثالثة التي تثيرها هذه الأصوات الغاضبة هي قضية تعود بنا الى دستويفسكي نفسه .. فهل هذا ما تقوله بعض هذه الأصوات من أن دستويفسكي كاتب رجعي ؟ .. إن هذا الحكم بالرجعية على أدب دستويفسكي كان يمثل مرحلة من مراحل الجمود النقدي والفكري ؛ وهي مرحلة مر بها الفكر الاشتراكي وتخلص منها ، ولقد كان من آثار هذه المرحلة أن رفض الاشتراكيون ألوانا من الأدب الانساني الرفيع وحرموا منه فترة طويلة .. مثل أدب كافكا وبروست ودستويفسكي وغيرهم من العمالقة الكبار ، وكان من آثار هذه المرحلة من مراحل الجمود في أوربا الشرقية أن موجهي الثقافة وجدوا [illegible] أديبا رجعيا ، بل لقد قال أحد الكتاب منذ نحو أكثر من عشر سنوات : إن شكسبير يعتبر أديبا «طبقيا» لأنه كان يكتب عن **الملوك والأمراء والنبلاء .. وإنه ليس أديبا للشعب ولذلك فهو لا يستحق أن نترجمه الى الأدب العربي أو نهتم به .**

هذه المرحلة الفكرية المتزمتة سقطت منذ وقت طويل في العالم كله . وأصبح الفكر الاشتراكي العالمي الآن متحررا منفتحا وواسع الأفق . ومثل هذه الصيحات التي تتردد الآن إنما تريد أن تعود بنا الى الوراء .. الى التحجر والجمود والنظرة المحدودة الضيقة والنظرة الخارجية الى الانتاج الفني . وأقل ما توصف به هذه الصيحات أنها متخلفة تماما عما حدث في الفكر الاشتراكي العالمي من تحرر ونمو . ويكفي أن نقرأ هذه الكلمات عن دستويفسكي للكاتب الاشتراكي المجري اللامع جورج لوكاتش «وهو الى جانب قيمته الجماهيرية فيلسوف اشتراكي يحظى بمعرفته من أكبر [illegible] في البلاد الاشتراكية» .. **يقول هذا المفكر** عن دستويفسكي :

«**إن أبرز أشخاص دستويفسكي الفنان الشيف الأدبي يتحدث باسم العصر الذهبي حيث أن محتويات التجربة الكلية . وهذا العصر [illegible] في أعمال دستويفسكي : إنما يحلم بنور [illegible] ، نور يضيء الطريق نحو مستقبل البشرية**» .. ومن أمثال هذا الأسلوب [illegible] ألوان التفكير الاشتراكي الجديد حول دستويفسكي ، وكتب «لوكاتش» وغيرها من الكلمات [illegible] ، كل تلك الأفكار الجامدة المتزمتة التي ترددت ذات يوم ضد دستويفسكي وغيره من الفنانين والمفكرين .. والتي يحاول البعض أن يعيدها من جديد الى الحياة بعد أن ماتت وانتهت . **إن دستويفسكي لكاتب كبير [illegible]** في تحرير الانسان [illegible] والرأسمالية [illegible] الفنية والفكرية [illegible] بالثورة الروحية ، والرؤى والأشواق الانسانية [illegible] **والمشكلات [illegible] ... ومثل هذا الفنان [illegible] وعلى الاشتراكية وعلى أنفسنا وعلى كل مقاييس الفن والفكر إذا ما وصفناه بالرجعية وحرمنا المثقف العربي من قراءته .**

وما أحوج [illegible] **الأعمال الكاملة لدستويفسكي** [illegible] في ترجمة رفيعة مثل ترجمة سامي **الدروبي .. فلن تكون هذه الأعمال [illegible] الفن والفكر الذي سوف [illegible] أفق الشاعر والأفكار الجديدة .**

أحمد حمروش

★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★

●● عندما اسافر الى الخارج احمل عددا الكتب العربية التي لم يتسع وقتي لقراءتها القاهرة ... وتتحول الكتب في لحظات الفراغ الى أصدقاء أوفياء ..

وطوال رحلتي الأخيرة الى بلغاريا ، كنت اعيش مع دوستويفسكي في رواياته الثلاث التي ظهرت عن دار الكاتب العربي ..وأذكر سامي الدروبي الذي تحمل جهد الترجمة وقدم هذه الأعمال الأدبية بصورة أصيلة صادقة

كلما حملني دوستويفسكي الى عالمه وشخصياته ، آمنت أن الفكرة التي اعتنقها محمود العالم أثناء رياسته لدار الكاتب ، ونفذها سامي الدروبي ، بتقديم الأعمال الأدبية العالمية كاملة ، هي تحول حقيقي في مسار الثقافة العربية .

اذ انها تضع القمم الانسانية امام القارىء العربي الذي لاتتيح له ظروف حياته اجادة اللغات الأجنبية .. وهؤلاء يمثلون الأغلبية العظمى من جماهير الأمة العربية ... وبذلك يرتفع المستوى الثقافي ، ويرتبط الناس بالحضارة العالمية عن طريق الكتاب

سامي الدروبي نال فضل السبق والريادة في هذا المجال ووضع أسسا صحيحا لما تتطلبه الترجمة من جهد ومعاناة ومقدرة وقدم دوستويفسكي في اكمل صورة

تحية الى أستاذ الجامعة الاديب الذي لم تفلح السياسة في ان تبعده عن هوايته ... تحية الى سامي الدروبي الذي جعلني اشكره في صوفيا بصوت عال في غرفة خالية !

وشكرا لمحمود العالم الذي جعل من دار الكاتب منبرا للثقافة بعد ان اجتاحتها العاصفة [illegible]

وقد دعينا في احدى الأمسيات الى العشاء عند السفير السوفيتي فينوغرادوف فقال لي مندهشا . . عندما قيل لي أن السفير السوري الدكتور دروبي أنهى ترجمة ثمانية عشر مجلدا لدوستويفسكي برغم أعبائه كسفير عربي بالقاهرة قلت سأسألك كيف وجد الوقت ؟ فأجبته :- ببساطة يا سيادة السفير ان زوجي موزع وقته بدقة فائقة بين عمله الرسمي بالسفارةوالبيت. وان أديبكم هذا هو الضرة أي «الزوجة الثانية» التي تأخذ وقته مني في البيت . . . فضحك مقهقها وهو ينظر الى تعابير وجهي الحاقد على «الضرة» المستحوذة على زوجي» . وبعد أقل من شهر زارنا السفير السوفيتي مهنئا بعيد رأس السنة وحاملا لنا هدية ما أن فتحتها حتى وجدت صورة زيتية كبيرة لدوستويفسكي فقال مازحا :- «أرجو من السيدة الدروبي أن لاتزعجها هديتي المقصودة صورة الضره» . وانفجرنا ضاحكين مالي أرى نِفسي مسترسلة مع دوستويفسكي . . . . ولأتركه الآن لاتحدث عن ذكريات أخرى .

اعذروني اذا مر الآن بذاكرتي فترة من حياتنا أمضيناها في البرازيل كانت تلك أقسى أيام عمرنا وصلنا الى البرازيل في منتصف شهر تموز عام ١٩٦١ . وكان سامي قد عين مستشارا ثقافيا في سفارة الجمهورية العربية المتحدة أيام الوحدة فرحبت الجالية الحمصية أحر ترحاب بابن بلدها الدروبي ولا أكتمكم أن العصبية الحمصية انتقلت معهم الى المهجر وبدأ يعمل سامي لربط أفراد الجالية بالوطن الأم اكثر فأكثر خاصة كان قد سبقنا ومهد لذلك الشاعر العظيم السفير عمر أبو ريشة فتابعنا خطه . وكانت سياسة الرئيس عبد الناصر رئيس الدولة آنذاك الاهتمام الكبير بالجالية وبدول امريكا اللاتينية . . . .

أقيم في سان باولو معرض البنال فدعانا رئيس النادي الحمصي السيد ابراهيم خوري الى غداء في داره . . . لن انسى حين دخلنا الى البهو العظيم منظر جدته المسنة جدا التي لاشك أنها تجاوزت التسعين من العمر جالسة في صدر البهو فاقتربنا منها نحيها وما أن سمعت لفظ اسم الدروبي حين عرفنا الاستاذ الخوري حتى قالت :- «يا ولدي لولا بيت الدروبي ماكنا



في منزل السفير السوفيتي فيتوعرادوف

نحن على قيد الحياة ، وتابعت تقول وهي سارحة في بصرها . . . أيام «طوشة النصارى» وهذا تعبير عن فتنة ١٨٦٠ حدثني والدي أن جارنا مختار الدروبي فتح بيته وآوانا به كل تلك الفترة العصبية وهذا البيت تحت السيباط في باب الدريب ياترى من يكون بالنسبة لك مختار الدروبي ؟ قال سامي :- «انه جدي وفي هذا البيت رأت عيناي النور فضمته الى صدرها وترحمت على الأجداد . كان منظر السيدة الفاضلة الوقور وهي تضمه الى صدرها ودموع تنهمر من عينيها مؤثرا جدا على كل الحفل الحمصي . قلت كانت أيامنا في البرازيل حزينة اذ حدث في صباح الثامن والعشرين من أيلول الانفصال . حضرت أفراد الجالية السورية الى السفارة متسائلة مستنكره صاخبه في مظاهرة كبيرة . . . النساء تبكي . . . والكل يتساءل ماهذا الذي نسمع ؟ ما معنى الانفصال ؟ ولصالح من هذا العمل ؟ كان البرازيليون ينادوننا قبل قيام دولة الوحدة «تركو» ومنذ قيام الوحدة أصبحنا بنظرهم أكبر شأنا أصبحنا ابناء الجمهورية العربية المتحدة أصبحنا عربا .

خطب سامي بالجالية وأوضح ان الانفصال خيانة وأن الوحدة هي أمنية الجماهير وأمن المصير وأذكر مما قال . . . اذا كان هناك أخطاء بالوحدة فالخطأ الاكبر الانفصال إذا ظهر في اليد دمل لانبتر اليد وهذا عمل أقل ما يوصف به أنه خيانة مدبرة . . جاء بعد أيام موفد من الرئيس عبد الناصر يطلب من سامي أن يعين سفيرا للجمهورية العربية المتحدة في البرازيل ولكنه اعتذر لأن مكانه لم يعد في البرازيل بل يجب أن يعود لدمشق للعمل من أجل اعادة الوحدة . قبل العودة لدمشق في يوم اشتد قيظه بمدينة الريو دو جينيرو دعانا أحد افراد الجالية العربية السيد محي الدين الجمل الى جبل سانتا تاريزا لنستمتع ببرودة الجو هناك وفعلا أمضينا يوما جميلا هاربين من حر الريو وفيما نحن نتجول في هذا الجبل الجميل نفاجأ بعاصفة فتنهمر الأمطار بغزارة علينا مما دعانا أن نلتجئ الى مدخل بيت في رأس الجبل نحتمي من هذا المطر الغزير . كانت ابنتي ليلى تحمل مسجلا فأدارته على شريط لفيروز وهي تغني «لاقونا يا أهل الدار فاذا بالنافذة تفتح وبصوت عال وبلهجة حمصية تصيح أهلا وسهلا وياهلا بالضيوف فقد كان صاحب البيت

السيد عيسى الحلو من محافظة حمص فرحب بنـا واستقبلنـا تلك الامسية ما أجملها من مصادفة .



في حفل تكريم الجالية السورية لسامي الدروبي .

في الخامس من أيار ١٩٦٢ وصلنا دمشق وبدأ العمل الجدي والسري جدا الذي انتهى بثورة الثامن من آذار . أجل عدنا لدمشق وعاد سامي أستاذا بالجامعة السورية وكانت فترة صعبة وكان أقساها السابع من آذار حين دعي مع الدكتور بديع الكسم للتحدث في بيت طلاب المغرب العربي . فانتقل المهرجان الخطابي من ثقافي الى مهرجان سياسي . وكان الهجوم على الانفصال والالحاح بضرورة اعادة الوحدة وكان الجمهور متجاوبا ومرحبا ومتحمسا ومسقطا الانفصاليين وعدنا للدار فقال لي سامي . . . .ـ «هيئي الشنطة لاتنسي أن تضعي ادويتي وألبسة صوفية خوفا من البرد في سجن المزة وتابع حديثه بجدية واياك أن تتدخلي من قريب أو بعيد في حالة اعتقالي . . . وبعد ساعة طلبه شخص لم أعرفه بالهاتف فارتدى ثيابه وذهب وغاب حتى منتصف الليل ، عاد بعدها مرهقا . فتناول دواء منوما ونام نوما عميقا . وفي الرابعة والنصف استيقظنا على صوت هدير الدبابات فخرجت الى الشرفة المطلة على شارع أبو رمانة وبدأت تظهر ملامح الثورة وكنت أتردد في أن أوقظه ليشاركني الفرحة بالحدث العظيم بالرد على الانفصال أم أتركه ينام وقد رأيته وهو يبتلع الحبوب المنومة قبل ساعات قليلة . . . لكنه استيقظ لوحده وضع دلة كبيرة من القهوة وجلس صامتا ساهما مفكرا وكنت لا أحب أن أعكر عليه تفكيره الصامت لانني أؤمن أنه حق مقدس بالنسبة له لم أجرء على طرح أي سؤ ال وجلست أمامه وأنا أترقبه بمنتهى الانفعال وإذا به يخرج عن صمته وتأمله العميق ليخبرني أن نصوص كتاب مياه الربيع لترجنيف علي» أن أسلمها الى دار اليقظة . وان كتاب علم النفس التجريبي علي «ان أصلح ملازمه في مطبعة الجامعة . حينها لم استطع أن أتمالك نفسي وقد أنكرت عليه أن ينفصل عن الأحداث ويحدثني الآن عن أمور الأدب والكتب فقلت بانفعال لم يعهده بي أهذا وقته يا سامي ؟ ولم أتمم كلامي حين ربت على كتفي بحنو ولم يجب وكان ينظر اليّ نظرة ذات معنى لم أفهمها واذا بنشيد الله أكبر وبصوت المذيع يعلن نجاح الثورة . فانفرجت أساريره وعندها ضحك على انفعالي وقال «لقد كنت قلقا عليك وعلى الأولاد يا أحسان في حالة عدم نجاح الثورة ، كان يجب عليّ أن الفت نظرك لهذه

الأمور بطريقة غير مباشرة وقبل ان ينهي حديثه سمعنا قرعا على الباب نرى من الطارق في مثل هذه الساعة المبكرة وكانت حقا مفاجأة ان نرى السفير اليوغسلافي هو الطارق واعتذر عن الزيارة المبكرة وقال احببت أن أكون أول المهنئين لكم بنجاح الثورة لأنني أعرف كم حزبكم وحدوي . فأجابه سامي حقا انك سفير ودبلوماسي ممتاز . . . واذا بالباب يقرع مرة ثانية وحضر شخص ليستدعي سامي ويصحبه ولم أره بعد ذلك حتى سمعت من المذياع تشكيل الوزارة وتسميته وزيرا للتربية . . . .

كان موقع دارنا في أبي رمانة . استراتيجي اي في وسط البلد يسهل على الرفاق الاجتماع فيه . وكنت اهتم بالامور السياسية فأجتمع معهم . ولن اتحدث عن هذه الفترة السياسية من حياته لأن زوجي سجلها في مذكراته وستطبع باذن الله قريبا . ولكنني سأكتب عن لمحات من هذه الجلسات الحلوة . مثلا . . . زارنا في ليلة الاستاذ صدقي اسماعيل رحمه الله قال :ـ «قبل زواجكم كان منزل سامي أيضا مفتوحاً لنا دائما وكان أن اختبأنا به أنا وعبد البر عيون السود ابان حكم الشيشكلي حيث كنا ملاحقين ومرة سمعنا فتح الباب واذا بالداخل جلال فاروق الشريف يحمل لنا كيلاً عنب وكيس آخر به بندورة وخيار . قلنا والله الرفاق آخذين بالهم منا . وما أن وضع الكيس حتى وجدنا أن العنب للتمويه وتحت العنب هناك قنابل كانت توضع من أجل استعمالها حين الحاجة . ما أن خرج جلال فاروق الشريف حتى بدأنا عبد البر وأنا نلهو بهذه الكرات وندحرجها في أرض الغرفة وحين فتح الباب سامي ودخل ورآنا ونحن نلهو وندحرج الكرة كالأطفال صرخ صوتا أعادنا الى رشدنا ونبهنا لخطورة فعلتنا وأخذنا نضحك جميعا .

أمس دعيت لحفلة زفاف أبنة صديق عزيز علينا الدكتور صلاح عمر باشا حين دخلت الى بهو نادي الشرق لا ادري كيف نسيت نفسي ونسيت العرس بتاريخ ١٩٨٠ واذا بالذاكرة تسرح في هذا البهو في أواخر الخمسينات حين دعانا وزير الخارجية السوري على العشاء على شرف وزير الخارجية السوفيتي شوبيلوف . . . وكان كذلك مدعو الى هذا العشاء الدكتور شوكت القنواتي والدكتور صلاح عمر باشا . قبل أن نذهب للعشاء كان سامي يقرأ

احدى الصحف واذا به يقول بانفعال تصوري هل هذا وقته ، وأشار الى عنوان في الصحيفة التي بين يديه اقرأي ماذا كتب هنا . خطر الاتجار مع الاتحاد السوفييتي وما أن دخلنا النادي وفي هذا البهو بالذات ، رأينا الصحفي كاتب تلك المقالة فاتجه سامي نحوه وقال له معاتبا ومبينا أخطاء كتابة مثل هذا المقال في مثل هذا الظرف الذي نأخذ السلاح من المعسكر الشرقي وفي أول زيارة لوزير الخارجية السوفييتي لنا . لقد صعقت بجواب ذلك الصحفي اذ ردّ :ـ أستاذ سامي أرجو أن لا تعمل مثالية وبعثية بصراحة وصلتني هذه المعلومات من السفارة الامريكية مع شيك فهل تريدني أن لا أنشره ؟ هكذا قالها والله بكل وقاحة دون أن يطرف له جفن . . .

اعذروني فالذكريات تتزاحم ولا أدري أيها تخرج من الذاكرة قبل الأخرى ولاشك ليس لها ضابط تاريخي . فمثلا اليوم هو الاثنين ومساء كل اثنين نجتمع شلة من الصديقات ومن المصادفة أنني اليوم جلست مع الصديقة سمية حفار زوجة المرحوم الدكتور عدنان الفرا فتذكرت حرب السويس وكيف قرر الحزب تحويل جريدته الاسبوعية البعث لجريدة يومية لتتابع الاحداث وكان المسؤ ول عن هذا ثلاثة أشخاص الدكتور عدنان الفرا والأستاذ علي الأشقر والدكتور سامي الدروبي مازلت اذكر كيف كان سامي يخرج في الثامنة صباحا الى الجامعة ويعود ليتناول الغداء ويرتاح قليلا وقد لا يعود حيث يذهب الى الاذاعة ليستمع من المذياع الممتاز هناك الى الأخبار العالمية يكتب مع الأستاذ نجاة قصاب حسن بعض التعليقات على الاحداث . وكان يترجم ماسمع من أخبار أي يقوم بدور وكالات الانباء في يومنا هذا ليعود الى الجريدة ويعطي الرفاق تلك المعلومات فيتوزعون المقالات وهذا الثلاثي كان يشرف على الجريدة فلايعودون الى دورهم الاّ والجريدة في يدهم . كان سامي يعود الى الدار والتعب باد على وجهه والنعاس في عينيه كنت أهيء له العشاء مع طشت ماء ساخن وملح لتمتص هذه المياه الساخنة من القدمين تعب ساعات عديدة من الوقوف .

تساءلت بيني وبين نفسي وأنا أحادث حرم الدكتور عدنان الفرا ترى هل يمكن أن يكون الجهد الكبير والعمل المستمر بدون رحمة هو العامل

المشترك بين زوجي وزوجها لذا كانت اعمالهما كثيرة وأعمارهما قصيرة ؟! . . .

وهنا أتذكر حين رجعنا من الولايات المتحدة بعد ان رفض الأطباء اجراء العملية لسامي قال :- انني مسؤول عن هذا كله . انني مسؤول عنه باندفاعي الوحشي في القيام بأعمال فيها من شدة الاجهاد وقوة الانفعال ما يضني الأصحاء فكيف بمن ركبتهم علة العلل ولذا سأطلب احالتي على التقاعد .

اليوم هو العيد القومي ليوغسلافيا ولذا ذكرياتي عن يوغسلافيا تسبق ما عداها تريد أن تخرج الى النور لقد ذهبت الى أيام الوحدة حين دعي وفد ثقافي من الجمهورية العربية المتحدة اربعة أدباء الاستاذ عبد المنعم الصاوي والاستاذ نجيب محفوظ من الاقليم الجنوبي والدكتور عبد الله عبد الدائم والدكتور سامي الدروبي عن الأقليم الشمالي . وحين عاد سامي كان معه مجموعة كتب وقد اختار منها كتابين لكاتب كان يجهله فاكتشفه في تلك الزيارة . انه الكاتب الفذ الأديب ايفو أندريتش ، قال :ـ «كم أنا مسرور باكتشافي لهذا الأديب وسوف أترجم له هذين الكتابين وفعلا بدأ بالعمل وكان الكتاب الأول جسر على نهر درينا اشترت ترجمة هذا الكتاب وزارة الثقافة في الاقليم الجنوبي وطبعت هذه القصة وبعد مايقرب من ست أشهر من تاريخ نشره عاد سامي الى الدار سعيدا ذات يوم فقال تصوري ان كاتب كتاب جسر على نهر درينا قد منح جائزة نوبل فانتقلت الفرحة اليّ ونهضت وقبلته باعتزاز وقلت له كم أنا فخورة بحسن اختيارك وغيرتك حيث تأبى أن تقرأ وتستمتع باي كتاب رائع لتحتفظ به لنفسك انك لاتتمتع وترتاح حقا مالم تترجمه الى العربية وتمتع به قراء العربية ليستمتعوا كما استمتعت ولقد كتب بهذا الموضوع الاستاذ فايز قنديل في جريدة البعث مايلي :ـ

في الثلث الأول من هذا القرن العشرين نقل أحمد لطفي السيد باشا الى اللغة العربية جمهورية افلاطون . وكتاب الكون والفساد لأرسطو ، فامتدحه شاعر النيل حافظ ابراهيم بقول :

انـي قـرأت كتابـه بين الخشـوع والاعتبار
لماذا المترجَـم مائل جنـب المـؤلف في اطار
وعليهمـا نور يفيض من المهابـة والوقار

ولو أدرك حافظ ابراهيم الدكتور سامي الدروبي ، وقرأ تعريبه الملهم لرواية الكاتب اليوغسلافي الشهير «ايفو اندريتش» الموسومة «جسر على نهر درينا» اذن لقال فيه ما قاله في أحمد لطفي السيد . . . .

لقد تحدث الكتاب والنقاد خلال الشهر الماضي عن ايفو اندريتش وجسره الذي كان معبرا لتاريخ وطنه من خلال تاريخ مدينة فوفوا مقدارا عظيما من حق كاتب يوغسلافيا العالمي ، ولكنهم نسوا مسألة مهمة للغاية هي أن الذي عرفهم بايفو اندريتش ، كما انطقه بالعربية ، هو استاذ الفلسفة والأديب اللامع السفير حاليا في وزارة الخارجية أعني الدكتور سامي الدروبي . . .
بطبيعة الحال الدكتور سامي الدروبي ليس جنديا مجهولا في الأدب أو الفلسفة أو السياسة ، او النضال ، ولعله لا يأبه كثيرا بأن يعرف الناس أنه هو الذي أنطق كاتب يوغسلافيا بالعربية ، بمقدار ما يأبه بأن يعرف المثقف العربي وجمهرة القراء العرب ، تلك الرواية الخالدة . . . والمسألة طبعا ليست تثبيت حق أدبي لصاحب حق ، بمقدار ماهي تسجيل تلك الحقيقة التي تؤكد أن سامي الدروبي استخدم الجسر على نهر الدرينا ، ليكون جسرا يعبر عليه المثقف العربي الى أدب رفيع غير معروف لدينا ، وربما لدى العالم أيضا ونعني الأدب اليوغسلافي اذ أن هذا المثقف العربي أدرك الان ، أن في العالم ادابا أخرى غير الادب الفرنسي أو الانجليزي او الالماني أو الروسي ، وهي من أشهر الاداب حتى الآن فيما نعلم . . . .
وأذكر حين عين زوجي سفيرا في يوغسلافيا وقمت بزيارة المجاملة لحرم الرئيس تيتو . اصطحبت معي كتابين جسر على نهر درينا وأخبار مدينة ترافنك لايفواندرتش ترجمة زوجي قلت لها :-
- ارجو من حرم السيد الرئيس أن تقبل مني هدية رمزية عزيزة علي جدا هذين الكتابين اللذين ترجمهما زوجي من الادب اليوغسلافي ، مع علمي بأنك لن تقرأيهما لعدم معرفتك باللغة العربية . فضمتني الى صدرها وقبلتني وقالت . قد لا اقرأهما أنا ومع هذا أشكرك جدا على هديتك الثمينة جدا لانه من دواعي سرورنا الرئيس وأنا أن تضم مكتبة قصر الضيافة في بلغراد كتبا مترجمة من أدبنا الى اللغة العربية وكثيرا ما نستقبل رؤساء دول وضيوف عرب أصدقاء ويسعدنا أن يقرؤا أدبنا بلغتهم . وحين زار سامي الرئيس تيتو مودعا قلده الرئيس تيتو وساما قال له : انني أقلدك هذا الوسام لاكسفير فحسب بل ككاتب وأديب . وبقي سامي لآخر عمره يعتز أنه كاتب وأديب

أكثر من صفته كسفير .

حين دعينا الى الاتحاد السوفييتي وسئلنا عما يرغب أن يزور هناك قال : حبذا لو نزور قرية تولستوي وكان يترجم له في تلك الفترة كتاب لحن كرويتزر . وفعلا قمنا بالزيارة ولن أنسى ملاحظة المستشرق الأستاذ فلادمير كراسنوفسكي الذي كنا برفقته في تلك الرحلة حين قال كأن الدكتور سامي بزيارته هذه يريد أن يعايش تولستوي ليفهم منها عميقا روح الكاتب الذي يترجم له ، في طريق العودة لموسكو جلسنا نتناول وجبة خفيفة على ضفة نهر صغير واذا بقارب يجذف به رجل مسن ذو لحية بيضاء فحيانا وسألنا اذا كنا نرغب في رحلة بقاربه وفعلا قفزنا الى القارب وجلسنا قربه وهو يجذف كان منظره وكأنه هارب من التاريخ من احدى كتب تولستوي في نظرة عينيه عمق غريب سأله أحدنا ما رأيك في خروتشوف . . . فنظر الى ثيابه . . . والى قاربه . . . والى المجذاف الذي بين يديه وصمت برهة ليرد بعدها :- هو لا يسأل عني وأنا لا أسأل عنه . . . حقا كان هذا الرجل هاربا من احدى كتب تولستوي .

كما أنني لااستطيع ان انسى الأندهاش الذي ارتسم على وجه المستشرق كراسنوفكي حين زرنا مدينة لينغراد وكان سامي يصر على تسميتها بطرسبرج فكان حين نسير بشوارعها يكاد يقودنا وكأنه يعرف معالمها هنا الجسر الذي ذكره دوستويفسكي في قصته الليالي البيضاء . وفي احدى الشوارع وقف سامي قليلا وقال :- أظن أن قصة الجريمة والعقاب حدثت في هذا المنزل أو في هذا المنزل وفي هذا الركن اجتمعت هيلين الى الأمير .

وعن قصة مذلون مهانون . . . لن أنسى منظر الاندهاش والاعجاب اللذين ارتسما على وجه مرافقنا الاستاذ المستشرق فلادير كراسنوفسكي فقال :- سيدتي ألم أقل لك أن زوجك لا يقرأ ويترجم فحسب بل يعايش المؤلف . واكمل نعم إنه يعايشه فعلا . لا أدري لماذا . تطفو ثانية ذكرى دوستويفسكي .



سامي الدروبي .. على نهر الدرينا

فايز قنديل

في الثلث الاول من هذا القرن العشرين ، نقل احمد لطفي السيد (باشا) الى اللغة العربية جمهورية افلاطون ، وكتب الكون والفساد لارسطو ، فامتدحه شاعر النيل حافظ ابراهيم بقوله :

انـي قـرات كتابـه بين الخشوع والاعتبـار
فـاذا المترجم ماثل جنـب المؤلف في اطـار
وعليهمـا نـور يفيض مـن المهابـة والوقار

ولو ادرك حافظ ابراهيم الدكتور سامي الدروبي ، وقرأ تعريبه الملهم لرواية الكاتب اليوغوسلافي الشهير « ايفو اندريتش » الموسومة « جسر على نهر درينا » اذن لقال فيه ما قاله في احمد لطفي السيد ..

لقد تحدث الكتاب والنقاد خلال الشهر الماضي عن ايفو اندريتش، وجسره الذي كان معبرا لتاريخ وطنه من خلال تاريخ مدينة، حلوه ومره، اقتصارا عليها من حق كاتب يوغوسلافيا العالمي ، ولكنهم نسوا مسألة مهمة للغاية هي ان الذي عرفهم بايفو اندريتش ، كما انطقه بالعربية ، هو استاذ الفلسفة ، والاديب اللامع السفير حاليا في وزارة الخارجية، اعني الدكتور سامي الدروبي .. بطبيعة الحال الدكتور سامي الدروبي ليس جنديا مجهولا في الادب او الفلسفة او السياسة ، او النضال ، ولكنه لا يطلب كثيرا ، بان يعرف الناس انه هو الذي انطق كاتب يوغوسلافيا بالعربية، بمقدار ما يطلب بان يعرف المثقف العربي وجمهرة القراء العرب ، تلك الرواية الخالدة .. والمسألة طبعا ليست تثبيت حق ادبي لصاحب حق، بمقدار ما هي تسجيل تلك الحقيقة التي تؤكد ان سامي الدروبي انما تخدم الجسر على نهر الدرينا ، ليكون جسرا يعبر عليه المثقف العربي الى ادب رفيع غير معروف لدينا ، وربما لدى العالم ايضا ونعني الادب اليوغوسلافي اذ ان هذا المثقف العربي ادرك الان ، ان في العالم ادابا اخرى غير الادب الفرنسي او الانجليزي او الالماني او الروسي ، وهي اشهر الاداب حتى الان فيما نعلم ..

من العبث ان نوجز « جسر الدرينا » للقارىء ، واوغل منه في العبث ان «نوجز» جمال الرواية وشاعريتها ، اذا جاز اصلا تلخيص الجمال كما يجوز تلخيص دراسة سياسية او اقتصادية او حتى رواية ومسرحية ولكني استطيع ان اقول كقارىء فقط انني لا انسى من الرواية التي قرأتها منذ خمسة عشر عاما ، عبارة ترسم لي شخصية من لحم ودم ، حيث وصفه الكاتب عندما ابتسم ، بان شرارات الذهب تتناثر من عيونه ووجنتيه .. ولا انسى مشهد الاعدام المخيف على الخازوق ، والذي لا شك في انه يحول حياة من قراه الى سواد بل الى ظلام ، كلما تذكر المشهد ، كما انني لا انسى مشهد التقاليد الشعبية التي جعلت السماء تضيء ليلة الاعدام بملايين الشموع الوهاجة المتصاعدة من الجسر وحتى السماء، مما يذكرنا بالصعود الى الفردوس في «جحيم دانتي» ويدلنا على عمق تاثير قصة المعراج الشريف في الضمير الانساني خارج «دار الاسلام» وكيف انسى مشهد الفلاحين الذين يساومون ممثل السلطة «العثمانية» لتسلم جثة الرجل التعيس ، في عباءة او في «قفاطين» على الاصح ، يذكرنا بمساومات الفلاح العربي «الانتخابية» لتشويه قضية صغيرة مع ممثل «الريجي» او

البقية على الصفحة السابعة

مقال فايز قنديل (١)

حديث الصباح

تتمة ما نشر على الصفحة ٨

ومثلي شربة الانتاج الزراعي ومكتب الحبوب قبل ظهور التعاونيات .. وما دمنا بصدد القناطر والجسور ، فلا بد من ان نقول ان سامي الدروبي لم يكن جسر الثقافة العربية الى الثقافة اليوغوسلافية فحسب ، بل لعله اذا جاز التعبير كان جسرا هائلا بين الثقافة العربية والثقافة الروسية ولا سيما القمم العليا لهذه الثقافة وأعني فيودور دوستويفسكي وتولستوي ...

من الحق ان يقال ان الادباء العرب لم يقصروا قبل سامي الدروبي في نقل عيون الادب الروسي الى العربية ، فلا شك ان الاديبين الطبيبين فؤاد ايوب وسهيل ايوب من سورية ، والاستاذ نجاتي صدقي من فلسطين والاستاذ محمد السباعي من مصر قربوا بسهم ضئيل هذا المجال ، ولكنهم رغم جهودهم . قدموا من الفيض غيضا ، ولكن سامي الدروبي نقل عالم دوستويفسكي الرحيب ، والرهيب ايضا ، الى العربية ، بتمامه وكماله ، بكواكبه ونجومه وسياراته ونيازكه ومذنباته . ان المكتبة العربية هي احدى المكتبات العالمية القليلة التي تفخر «بوضع جنسيتها» الى كاتب روسيا العبقري دوستويفسكي .. عندما نقل الاستاذ نزيه الحكيم وانعني اندريه جيد «اوديب وثيسيوس» الى اللغة العربية قال فيه الدكتور طه حسين انه علم اوديب وثيسيوس واندريه جيد اللغة العربية .. وعندما «استعرب» دوستويفسكي على يدي سامي الدروبي ، قال اديب عربي ممتاز عبارة تحمل من الحقيقة اكثر مما تحمل من المرح: ان دوستويفسكي هو الذي ترجم سامي الدروبي الى الروسية .. ولكي ندرك العبء العظيم الذي نهض به سامي الدروبي ، فقد نتذكر انه عرب رواية «نيتوتشكا» في عام ١٩٥٤ ، اي انه يعاشر دوستويفسكي منذ ربع قرن تقريبا ، بلا انقطاع ، فالمسألة ليست لهوا ، بل هي اشغال شاقة .. يخفف منها تيارات الفكر والجمال .. ثم ان اختيار دوستويفسكي بالذات اختيار عظيم في ذاته ، اليس شكسبير هو الذي يدعى شاعر النفس الانسانية ، انني لا ابغي المقارنة بين العملاقين ، ولكن لو خيرت في اعطاء هذا اللقب لفنان آخر مع شكسبير وربما قبل شكسبير ، لقلت انه دوستويفسكي .. نحن نقول هذا ، ولكن «البير كامو» نقده عمليا ، فالكاتب الفرنسي الكبير الذي عبر عن مشكلة الانسان في الخمسينات ربما وجد نفسه قاصرا عن بلوغ شأو دوستويفسكي عندما حول «الجريمة والعقاب» الى مسرحية شهيرة .. مجرد رأي يصيب او لا يصيب ..

وما دمنا في صدد شكسبير ، استطرادا ، لا مقابلة مع دوستويفسكي ، فنحن نتذكر ان الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية شكلت لجنة لتعريب الآثار الكاملة لوليام شكسبير ، برئاسة المرحوم الدكتور طه حسين منذ نحو خمسة عشر عاما ، ولما تنته بعد من «تعليم» شكسبير اللغة العربية ، بينما قام سامي الدروبي في المدة نفسها تقريبا وحده دون معين ، بالمهمة نفسها ازاء دوستويفسكي .. هل يقال هنا ان المبادرة الفردية افضل من اللجان ؟؟ هذا ممكن شريطة ان نفهم المبادرة الفردية بمعناها النبيل ، اي توفر العبقرية المناسبة ، في لحظة مناسبة ، لعمل مناسب ، وهي مبادرة تختلف كما هو واضح ، عن المبادرة في عالم تجارة البناء وسمسرة الطيول واحتكار الارز والسكر ..

انني لا ازال الح ، ولعل قراء كثيرين يلحون معي ، على اهمية ، بل «عظمة» العمل الذي اضطلع به الدكتور سامي الدروبي .. ولدي البرهان والدليل .. فالجميع يذكرون بلا ريب قضية « بوريس باسترناك » اواخر الخمسينات . ليس يعنينا هنا الوجه الرجعي لباسترناك ، ودموعه الهاطلة على العالم القديم من خلال «الدكتور جيفاغو» ولكن الذي يعنينا ان لجنة جائزة نوبل منحت باسترناك الجائزة ، لانه نقل الى الروسية اعمال وليام شكسبير .. اي انه منح الجائزة ، لنفس العمل الذي قام به سامي الدروبي ازاء دوستويفسكي .. طبعا لسنا ندعو الى ترشيح سامي الدروبي لجائزة نوبل ، فالجائزة لم تعد مشرفة ولا معيارا عادلا من جهة وهي احتكار للمفكرين على جانبي الاطلنطي وانما منحت لكاتب اشتراكي مثل باسترناك او سولجنتسين ، فانما تمنح له لانه مضاد للاشتراكية ، وان منحت لشاعر اسيوي مثل «رابندرانات طاغور» فانها تمنح له رغم عبقريته الفاطلة ، من باب ادعاء لجنة الجائزة انها بريئة من العنصرية

.ماما كما توجت على عرش الجمال في العالم فتاة من العالم الثالث اسمها جوبجينا ونك .. على انني مع هذا اتساءل ، أليس هناك طريقة لا لتكريم سامي الدروبي ، بل لابراز ضخامة الحدث الثقافي الذي حققه سامي الدروبي .. من المعروف ان هناك جمعيات ثقافية منتشرة في جميع انحاء العالم ، تدعى «جماعات الدانتيين» او جماعات اصدقاء الشاعر الايطالي «دانتي» وترعاها الجامعات والاوساط الثقافية الايطالية ، وهي تقدم جوائز فوق التقديرية ، اعني جوائز «تتويجية» تمنح لمن ينقل من الكتاب «الكوميديا الالهية» من اللغة الايطالية الى لغته القومية وافد احرز الاديب العربي المصري «حسن عثمان» هذه الجائزة فبيض بهذا وجه العروبة في عالم الادب العالمي تماما كما فعل استاذنا وصديقنا سامي الدروبي .. انني اتساءل ولا اعرف فعلا ، هل هناك جمعيات «دوستويفسكية» مماثلة لترشح سامي الدروبي للجدارة بجائزتها ؟؟

ان لم يكن الامر كذلك ، فانني ألتمس وسيلة اخرى هي بين أيدينا فعلا ، فالمجمع العلمي العربي في دمشق «مجمع اللغة العربية» هي جائزة الجوائز التي تمنح للمبرزين والخالدين من الكتاب .. وهنا لن يكون المدخل «عملية دوستويفسكي» اذا جاز التعبير ، بل مساهمة سامي الدروبي الاساسية والرائدة في « تعليم » علم النفس والتحليل النفسي اللغة العربية ولنتذكر هنا ان سامي الدروبي بدأ مساهمته العظيمة في هذا المجال في اواسط الاربعينيات عندما عرب «سيكولوجية الضحك» لهنري برغسون في وقت كان قاموس علم النفس المعربي يفتقر الى مئات المفردات والمصطلحات التي امتاحها الدروبي من فلسفتنا العربية القديمة ، و نفض عنها غبار القرون فاستوت بشرا سويا . مجيبة بذلك عن سؤال ام بعد الان واردا هو : هل تصلح اللغة العربيـة لفروع المعرفة الحديثة ؟! وهو السؤال الذي ناقشته مؤخرا ندوة تدريس الفرنسية في الجامعات العربية .. ان سامي الدروبي ليس الوحيد في هذا المجال ولكنه من طلائع الرواد ، ولكني اتساءل عن وسائل ترشيحه لعضوية مجمع اللغة العربية فان كان عضوا دون أن أدري بذلك ، فانني اسحب تساؤلي ، راجيا له كل التوفيق في مهمته الضخمة الجديدة ، وهي الانتقال بالقارىء العربي الى ملحمة روسية جديدة .. فالدكتور سامي الدروبي هو الان في اوج عزيمته ومضائه لنقل تولستوي كاملا الى العربية ، لتعليمه العربية ، لانطاقـه العربية .. بعد دوستويفسكي ..

مقال فايز قنديل (٣)



مع حرم الرئيس تيتو

لا استطيع أن أصف لكم سعادة سامي حين أنهى المجلد الثامن عشر من المجموعة الكاملة لدوستويفسكي فقال لي : كم كنت أخشى وأنا أعلم حق العلم حالة قلبي وعلة العلل التي أعاني منها وكم من مرة تساءلت بيني وبين نفسي ترى هل سيمهلني هذا القلب لانجاز مثل هذا العمل الضخم وهأنذا قد أنجزته . فوالله لا تحدى قلبي وشرايينه المسدودة وصماماته المتضيقة ولأبدأ بتولستوي فنهض من سريره واتجه نحو المكتبة وتناول الجزء الأول من كتاب تولستوي الطفولة والمراهقة والشباب . وجلس الى المكتب ليباشر بالترجمة . فلم يسعني إلا أن اصرخ محتجة حرصا على صحته فأجابني ضاحكا . لا تتعبي نفسك سأظل أعمل وأعمل لأنني مؤمن أن الحياة بدون عطاء لا قيمة لها والموت اشرف منها وتابع كلامه باصرار سأعمل حتى النسمة الأخيرة من حياتي «وكم ردد هذه الجملة وكم سمعتها منه» . وفعلا كان له ما أراده قبل ساعة واحدة من الرحيل وقد أصر على الجلوس الى المكتب وأذكر صرخت محتجة عليه أيضا حرصا على صحته وخوفا من تعبه قال سأصلح كلمة كانت قد أقلقتني في الليلة السابقة ومسك القلم وأصلحها وهو يعلم أنه يقف على مشارف الأبدية قلت لنفسي وأنا أقف بقربه أضع له أنبوب الاوكسيجين في أنفه :ـ لله درك يا سامي ان كلمة واحدة تقلقك فلا تنام وترغب أن تقدمها صحيحة لقرائك وأنت بأشد الحاجة الى الراحة والنوم ولم أكن أعلم أنني في حضرة الوداع الأخير . اذ بعد ساعة واحدة فقط كان الرحيل . وما أن سمع صديقه العزيز جدا الاستاذ محمود العالم نعيه حتى اتصل يسأل ، مستفسرا عن وفاة سامي فكتبت له مجيبة عن استفساراته كلها . . .

الأخ العزيز محمود

ماذا أكتب وغياب سامي حرى أن يشل العقل والقلم واللسان لزوجة مثلي أجل يامحمود كنت أعرف أنه مريض . . . وأي مرض . . . ولكنني كنت أرفض وأبعد عن مخيلتي فكرة الرحلة التي لا عودة بعدها . . . آه ما أقساها من رحلة . . . كنت مع ليلى ومصباح أولادنا ، وسامي متمددا على سريره في غرفة النوم ، يناقش ليلى في المادة الأولى التي ستمتحن بها بعد يومين في

٢/١٤ وكان وجهه مشرقا . . . ذو رونق رائع وكان بصوته عروبة وبكلامه حكمة وكنا نتابع ذلك كله باهتمام . فاذا بالمنية تنقض عليه دون رأفة بنا . . . وبدون رحمة . فاذا بالصوت يصمت واذا بلون الوجه الوردي ينخطف واذا بالعينين اللتين يشع منهما الذكاء ينطفىء فيهما النور . . . آه يا محمود هل يعقل أن ذاك الفارس الذي بارز المرض وصارعه أياما بل شهورا بل سنين هذا الفارس البطل الشجاع وكنا جميعا نعجب ونُعجب من قدرة ذلك الفارس على هذا الصراع مع المرض . . . كان يصارع من أجلنا من أجل العطاء للثقافة وللوطن كما قلت يامحمود كان يضيء طرق الثقافة والوعي القومي والاجماعي لايمانه بالواقع العربي المعاصر . . . حتى هيء لي أنه أقوى من الموت وان ارادته في الحياة ستقهر المرض وسيكون ملحمة انسانية فذة في التحدي وظل ينتج حتى قبل ساعة من المنية وشبح الموت في غرفة نومنا . . . قام من سريره الى المكتب الصغير الذي وضع في غرفته وصحح جملة كان قد كتبها في الليلة السابقة . . . أجل يامحمود هل يصدق ان هذا الفارس يستسلم بهدوء بدون ضوضاء بجلال بكبرياء وبدون كلمة آه . . . لا لايصدق لا لا والف لا . . . أسرعت اليه كنت على يقين من أنني سأستمد من بطولته وشجاعته شجاعة ففتحت الاوكسيجين . . . وكنت اشعر أن علي أن اصارع ملك الموت الذي سيخطف سامي الحبيب منا وضعت فمي على فمه وبدأت أنفخ ومصباح ابني أخذ يعمل تنفس بالزراعين وليلى ابنتي تفرك القدمين وكنت اشعر انني أستمد من روح الله قوة ما تلبث أن تعيد الحياة اليه . كنت أشعر أن النبض بدأ يعود فاتشجع واستميت واستبسل وأنا أنفخ بكل ما اوتيت من قوة ولكن الحقيقة تعود الى من بين أصابعي بأن النبض قد توقف فارفض أن اصدق وأبرر عدم لمسي للنبض بالاضطراب ودام هذا الصراع دقائق رفعت راسي بعدها وكلي أمل أن أرى النور يشع من عيني سامي ولكن الذي أحسست به آنذاك نفس طاهر «ينفخ على وجهي وكان آخر نفس تلفظه الرئة وهذا ما يسمى عند العامية طلوع الروح الى الملكوت الاعلى . . . . آه يا أخي محمود ما أقسى تلك الثانية . . .

كان سامي مؤمنا أن ثقافتنا وتعاليمنا سيظلان ناقصين حتى تتم ترجمة الاعمال الكبرى للتراث الانساني الى اللغة العربية ترجمة دقيقة كاملة . فالطالب أو الشاب في روسيا وامريكا وفرنسا والمانيا وانكلترا واليابان أي في اي بلد متقدم يشب فيجد هذه الأعمال موجودة بلغته بصرف النظر عن لغتها الأصلية كما كان رحمه الله مؤمنا ومقتنعا أن التكثيف هو الذي يترك أثرا في العقل العربي وان الاعمال المتناثرة . يمكن أن تؤثر في فرد أو أفراد ولكن الأعمال المتكاملة تخلق كثافة ثقافية يمكنها أن تؤثر في الحركة الفكرية . فترجم الاعمال الكاملة ليرجسون بالاضافة للأعمال الكاملة لدوستويفسكي ، وانهى خمسة مجلدات من أعمال تولستوي ولكن المنية لم تمهله لينهي تولستوي كله . أجل بدأ يعمل من فجر حياته في اغناء الانسان العربي بروح العصر فيأخذ من الثقافة العالمية ينهلها من ينابيعها لا ليبقيها لنفسه ولكن ليعيد صهرها لتصبح عربية اللسان ولتكون مادة لثقافة الاجيال وأقبل سامي على هذه المهمة بجد لايعرف الكلل او الملل كأنه كان دوما في سباق مع الزمن كان لا يترك الكتاب من يده ولا تفوته ساعة بدون عطاء كان مصابا بالأرق فوظف هذا الأرق في خدمة العمل . ولن أنسى حين ذهبنا الى أمريكا للعلاج قبل الرحيل بأشهر قليلة حين شاهد لأول مرة على شاشة التلفزيون في غرفته بمستشفى القلب في كليفلاند كلينك اعلانا عن آلة تسجيل الدكتافون التي تسهل املاء ما يسجل على شريطها . وكانت قد تدهورت صحته وتفاقم مرضه حتى لم يعد يستطيع الجلوس الى مكتبه للعمل فلم ييأس ولم يفقد الأمل في القدرة على العطاء . فطلب من الدكتورة هيفاء النص السورية الأصل والمقيمة هناك والتي كانت تشرف على صحته أن يشتري هذا الجهاز وفعلا اتصلت بالهاتف وحضر البائع يحمل النماذج المتعددة لهذا الجهاز وبدأ زوجي يسمع شرح البائع لهذه الآلة وأذكر أن سامي مسك الكتاب بيده ونظر الى ساعته ليضبط الوقت وبدأ يسجل وقال لي :ـ تصوري إن هذه الطريقة توفر ثلاثة أرباع الوقت على الكاتب انظري كم تغني الحضارة الفكر الانساني . والتفت الى البائع يسأله عن الثمن أجابه سأخصم لك عشرين بالمئة من الثمن فسأله سامي بصفتي

دبلوماسي هذا الخصم ؟ فرد عليه وقد اكتسست وجهه ابتسامة ذات معنى عميق لا ياسيدي لكن بصفتك أديبا وأنا أشاهد الاوكسجين في أنفك والسيروم في ذراعك وعلى الرغم من ذلك كله ترغب في العمل والعطاء . والآن أقول أنا لو كانت هذه الآلة عنده ومنذ بدأ عطاؤه لأنتج أربعة اضعاف الثمانين كتابا التي خلفها .

كانت صلابته الروحية والعنف الذي عرف به منذ نعومة أظفاره لم يصقلها العمل الدبلوماسي أبدا . أول تصرف غير دبلوماسي كان حين عين سفيرا للمغرب وحدد موعد تقديم أوراق الاعتماد ومن سوء الحظ أنه قامت مشاكل بين المغرب والجزائر ووقفت سوريا بصف الجزائر مما اضطر المغرب لسحب سفيره من دمشق وسحب سفرائه من البلدان التي أخذت مثل هذا الموقف . . . ووصل السفير المغربي الى الرباط من دمشق . ولكن الخارجية السورية لم تستدعي سفيرها لكنه لم يتقيد سامي بالعرف المهني فحجز على أول طائرة عائدا الى دمشق مع العلم أنه زارنا مدير ادارة الوطن العربي في وزارة الخارجية المغربية وأخبرنا أن المغرب يعتز أن تكون سفيرا لسوريا عنده فأنت معروف ولك باع كبير بالتعريب . وأستاذ عدد كبير من المغاربة الذين درسوا في الجامعة السورية وحين رشحتك الخارجية السورية أتت الموافقة رأسا على تسميتك سفيرا هنا . كما أن السفراء للدول الأخرى التي سحبت المغرب سفراءها كما فعلت دمشق لم يغادروا الرباط تقيدا بالعرف المهني ولكن سامي أبى وسافر الى دمشق . . . كذلك كان تصرفه حين كانت الخلافات بين مصر وسوريا في أوجها وكان سامي قد عين سفيرا في بلغراد وقد علمنا بزيارة الرئيس عبد الناصر ليوغسلافيا وكنا في اجازة فقطعناها وعدنا إلى بلغراد ليكون سامي في شرف استقبال الرئيس عبد الناصر ، فوجىء الصديق حمدي أبو زيد سفير مصر بيوغسلافيا آنذاك بوصولنا قبل يوم من الزيارة فحضر لزيارتنا مساءاً في البيت برغم مشاغله الكثيرة بسبب استقبال الرئيس في صباح الغد . . . وقال لسامي أرجو أن لا تعلن عن وصولك حتى لا تحرج في أن تستقبل الرئيس عبد الناصر غداً أمام حكومتك فضحك سامي مقهقها وقال : لقد قطعت اجازتي خصيصا لأكون في استقبال السيد الرئيس .

ولقد فوجئت بأن الرئيس عبد الناصر لم ترافقه السيدة حرمه في تلك الزيارة ومعنى هذا أنه لا يتوجب على زوجات السفراء مرافقة أزواجهن في الاستقبال ولكنني أصريت على مرافقة زوجي وحين وصلنا إلى المطار واصطففنا حسب الأقدمية كنت زوجة السفير الوحيدة في الاستقبال وكان هناك ثلاث سيدات سفيرات . وصلت الطائرة وطل عبد الناصر من بابها وإذا بهدير من حناجر الطلاب السوريين يهتف ناصر ناصر . وإذا بالأهازيج السورية تطالب عبد الناصر «بدنا وحده مع النيل نخنق فيها اسرائيل . الوحدة عزة والانفصال مذلة . وإذا بنشيد دولة الوحدة والله زمان ياسلاحي . . . فانفعلت ولم أعد أستطيع أن أتمالك نفسي وبدأت مصيبة الانفصال توضح أمام ناظري الخطر القومي . . . وكان الرئيس عبد الناصر يصافح مستقبليه وما أن وصل أمام سامي وإذا بالرئيس يسلم عليه بحرارة ويسأله «ازايك يا أخ سامي» ؟ فقلت في نفسي سوريا تشتم عبد الناصر وعبد الناصر يسلم بحرارة على سفير سوريا فعندها قلت وقد صار دوري في السلام يا سيادة الرئيس الشعب السوري وحدوي والسجون ممتلئه بالوحدويين . . . ولا بد للانفصاليين أن يأخذوا جزاهم ذات يوم ابتسم عبد الناصر ونظر اليّ بدهشة وعمق والدموع تنهمر من عيني بغزارة واردفت وهذا صوت الطلبة السوريين يحييك باسم الشعب السوري . رأيت ابتسامة مشرقة تلوح على وجه الرئيس فنظر إلى جانبه حيث الرئيس تيتو كأنه يلفت نظره لما أقول وتلاقت نظرتي مع نظرة الرئيس تيتو فابتسم وما زلت أذكر أن دموعا ترقرقت في عينيه . في صبيحة اليوم التالي ظهرت في الصفحة الأولى من الصحف صورة الرئيس عبد الناصر وهو يسلم علي وتحتها كتب حرم السفير السوري تبكي وتطالب عبد الناصر باعادة الوحدة وأذكر أن الاستاذ محمد حسنين هيكل كان مع الوفد المصري في تلك الزيارة قال لنا في أرض المطار لا شك إن استقبالكم الحار هذا سيؤذي الانفصاليين في سوريا وفعلاً بعد ثلاثة أيام فقط زار سامي في المكتب شخص وقال : «علمنا باستقبالك الحار أنت وزوجتك للرئيس عبد الناصر ونحن نعرفكم أنكم وحدويون لم نأخذ عليكم تصرفكم هذا ولكن المأخذ أنك سمحت للطلاب السوريين أن

يقوموا بمثل هذا الاستقبال وكان بامكانك كسفير أن تسحب جوازات سفرهم وتعيدهم رأسا إلى سوريا . فرد عليه سامي : وهل هذا العمل ينسجم مع كوني بعثي ومبدأي الوحدة والحرية والاشتراكية . . . وقد توقعنا أن يستدعى سامي إلى دمشق ويعفى من عمله . . . وفعلاً أستدعيَ إلى دمشق ولكن لا ليعفى من عمله بل لتوكل إليه أحلى مهمة أن يسعى لاعادة العلاقات بين مصر وسوريا . أذكر إن السفير المصري الصديق حمدي أبو زيد قال لنا : حين وصل وفد السيد الرئيس عبد الناصر إلى قصر الضيافة سألني نائب الرئيس السيد زكريا محيي الدين عن اسم السيدة التي تحدثت مع الرئيس أثناء الاستقبال في أرض المطار ؟ فأجبته حرم سفير سوريا . لكن الرئيس عبد الناصر رد : ـ «الست زوجة الصديق سامي الدروبي ؟

ذهب سامي من بلغراد إلى دمشق فالقاهرة وبدأ يعمل كالمكوك بين القاهرة ودمشق ، كانت هناك فجوات كبيرة يجب التغلب عليها وجروح كثيرة يجب تضميدها وكان موضع الثقة بين الطرفين مما ساعد على أن تثمر مساعيه بعد أن عمل بجهد وعنف وبدون رحمة بصحته غير مدرك أن لجسده عليه حقاً فلم يتحمل قلبه هذا الجهد فأصيب بجلطة . . . . . وكان عليه أن يرتاح بعدها لكن ناقوس الخطر الذي أنذرنا لم يصده أو يكبح جماح هذه القدرة على العمل في سبيل انجاح مساعيه . وكانت عودة التقارب بين مصر وسوريا بالنسبة إليه أمر قومي ووطني يجب أن يتم مهما كان الثمن . . . وكم من مرة حين كنت أحاول أن أفرمل أي «أكبح جماح اندفاعه في العمل» حرصا على قلبه كان يقول ما قيمة حياتي مقابل اتمام هذا التقارب . . .

كانت سفارة سوريا في القاهرة قد حولت إلى معهد للتأهيل الدبلوماسي . . وكان كلما طلب مندوب سوريا الدائم في الجامعة العربية من وزارة الخارجية المصرية أن تعيد إلى سوريا هذا المنزل كان الرد دائما سوف تحل مشكلة بيت سوريا في القاهرة مع مشكلة بيوت السفارات كلها .

في إحدى الاجتماعات بين الرئيس عبد الناصر ووزير الخارجية محمود رياض وسامي . . . فوجىء سامي حين سمع الرئيس جمال يقول لوزير خارجيته «يا محمود خذ موظفين التأهيل الدبلوماسي من بيت سوريا وسلم

البيت للأخ سامي بأقصى سرعة وفعلا وبعد أسبوع استلمنا الدار . . . وبدأت أعمل جاهدة في تأثيث السفارة وإذا وفد سوري على أعلى مستوى يصل إلى القاهرة لاجراء مباحثات مع الرئيس عبد الناصر وانضم سامي إلى الوفد السوري وقبل سفر الوفد بيوم عاد سامي بعد منتصف الليل . وكنت لا أنام حتى يعود . نظرت إلى وجهه أحسست أن هناك شيئاً ما يريد أن يخبرني به وكان متردداً أن يقوله الآن أم يرجئه إلى الغد فسألته ما الخبر ؟ . ويظهر كان بصوتي لهجة من نفد صبره . .



استقبال سامي وزوجته وأولاده للرئيس عبدالناصر في مطار بلغراد.

فابتسم وقال : -

«أثناء العشاء على مائدة الرئيس عبد الناصر قال له رئيس الوفد السوري هل يمكن سيادة الرئيس أن نتعشى غداً معاً . . . فأجابه الرئيس» ماله نتعشى غداً في بيت الأخ سامي . أذكر أنني قفزت من السرير واقفه فرحة ومحملقة عيني وبدأت تسير أمام ناظري صور النواقص الكثيرة التي لم تنتهِ في الدار حيث أستطيع أن استقبل رئيس دولة ولم أنم تلك الليلة . كانت الورقة والقلم بيدي ورحت أكتب ما يجب علي انجازه آ أستطيع أن أنجز في يوم واحد ما كنت أحسب إنني لا أستطيع انجازه في شهر كامل ولكن يبدو عندما يضع الانسان أي إنسان طاقاته كلها في عمل ما يستطيع أن يأتي بالمعجرات منذ الساعة السادسة أيقظت الخدم كلهم وحددت لكل واحد عمله ، وما كادت الساعة الثامنة تنتهي حتى كنت قد استدعيت موظفي السفارة كلهم وعرضت عليهم الأمر وطلبت مساعدتهم ويشهد الله أنني وجدت عندهم أكثر مما كنت انتظر من حماسة واندفاع وأخذنا نتوزع الأعمال طلبت من أحدهم أن يذهب إلى المنطقة الحرة وينهي معاملة السجاد ويأتي به مهما كلف الأمر وكنا قد اشترينا السجاد قبل أيام قليله . وعهدت إلى موظف آخر اقامة زينة كهربائية في الحديقة التي تحيط بالبيت وفي مدخل العمارة وأن يفرش المدخل بالسجاد على الطريقة السورية وآخر مهمة الاتصال مع المديرية العامة للكهرباء من أجل تمديد خط كهربائي اضافي للبيت خوفاً من الطوارىء . وآخر يحضر عمال لتعليق الثريات وكانت عقدة العقد هي ستائر الشبابيك الثمانية والتي من حسن حظي أنني كنت قد اشتريت أقمشتها منذ يومين طلبت من السائق أن يحضر منجداً فقلت له حين حضر إلى البيت عندي شباك بحاجة لستارة وأريدك أن تنهيها قبل الساعة الخامسة مساء وسأدفع لك كل ما ترغب مع اكرامية ترضيك فوافق على طلبي وكان هذا مما شجعني واستطعنا أن نحضر سبعة منجدين كل راحد مسؤ ول عن ستاره واحدة وحين حضر المنجد الثامن فوجئت به ينظر اليّ بعينين زائغتين . وأنا أكرر أريد هذه الستارة أن تنتهي قبل الساعة الخامسة . فقال : «ياست هانم والنبي لوبليتها مش حتلحق تنشف الساعة الخامسة . فضحكت وتركته يرطن وتمنيت أن يكون عندي الوقت

لا سمع تعليقاته الظريفه . . . وبحثنا عن منجد ثامن وكان منظر ورشة المنجدين في البيت مثير للدهشة وقبل الخامسة كانت جميع الستائر قد انتهت . وفجأة خطر لي خاطر جعل جسمي يقشعر كله أليست على مسؤ ولية أمنية بالنسبة لطعام السيد الرئيس عبد الناصر الذي يعلم الله كم له من الأعداء وهل أنا واثقة من هؤ لاء الطباخين الذين لا أعرف هوياتهم السياسية ومن يدريني أن أحدهم عميل لدولة ما وخطر ببالي كل ما قرأته أو سمعته من مؤ امرات واغتيالات بالسموم ووجدت من واجبي أن أشرف بنفسي على المطبخ وعلى كل درة ملح سترش على الطعام فما كان مني إلاّ أن وضعت مئزراً ولبست شبشباً ووقفت أراقب كل شيء فاذا ناداني أحدهم ليأخذ رأي في أمرما كان عليّ ان أخرج كل من في المطبخ من طباخين وخدم وأقفل الباب بالمفتاح حتى أعود وكان هذا صعباً جداً وإذا ضابط الأمن قد وصل ليفحص البيت من كل جهة ويعطي للمأمورية التعليمات اللازمة ورائي وأنا ذاهبة آيبة هذا يسألني سؤ الاً وذاك يطلب طلباً كنت كالنحلة في دوران دائم فإذا هو يقول لي : «لا شك أن ربنا قد وفق حرم السفير فيك ما عدناش نشوف في اليومين دول هاوس كيبر زيك . ضحكت بيني وبين نفسي ثم اقترب مني وقال خبري حرم سيادة السفير أن طباخ سيادة الرئيس سيعد له طعاماً خاصاً حسب تعليمات الطبيب . عندئذ شعرت أن حملاً قد أزيح عن منكبي .

كنت قد اتصلت بالتلفون بتاجر فضة كنت قد تعرفت عليه قبل مدة قليلة في خان الخليل اسمه الحاج حسين علي العاجاني ، فقلت له : «يا حاج أنا زوجة السفير السوري واليوم عندي دعوة في داري وأرغب في أن أستأجر من محلكم أدوات فضية للمائدة تكفي أربعة وعشرين شخصاً . فقال : «أعطني العنوان وسوف تصل الفضية لعندك ريثما نلمعها فقط وفعلا قبل الساعة الثانية ظهراً وصلت سيارة نقل صغيرة وهبط منها شابان حملا إلى داخل الدار ثلاثة أسبته كبيرة تحمل كل ما أردنه كاملاً . وأذكر إنني اتصلت بالتاجر بعد الوليمه وشكرته ، وسألته عن الأجر الذي علي أن ادفعه ، لأرسله مع الفضيات فقال : «عيب يا ست هانم دا شرف كبير لفضية العاجاني أن تدخل السفارة السورية ثلاثة بالله العظيم لا آخذ ولا مليم . فضحكت وقلت له

إنك حقاً لتاجر كريم وذكي أيضاً وسوف تصبح السفارة السورية والوفود والزوار السوريون زبائن للحاج العاجاتي .

في الساعة السابعة كنا قد انتهينا من اعداد كل شيء وكدت لا أصدق ما تراه عيناي صعدت إلى غرفتي لا ستريح قليلاً وارتدي ثيابي . وصل سامي قبل الضيوف بقليل تفقد البيت والحديقة والمطبخ ثم صعد إلى غرفتي وقال لي والدهشة تملأ عينيه كيف استطعت أن تنجزي هذا كله في بضع ساعات ، حتى الستائر علقتها . أنا أعرف أنني تزوجت من بنات الأنس وليس من بنات الجن . وكان هذا أظرف مديح سمعته منه . قلت : اليد الواحدة لا تصفق ياعزيزي الفضل يعود أيضاً إلى موظفي سفارتك الذين استجابوا لندائي وعملوا جهدهم لمساعدتي .



في انتظار وصول الرئيس عبدالناصر إلى دار الدروبي .



استقبال الرئيس عبدالناصر في دار الدروبي

كنت قد انتهيت من زينتي تأبطت ذراع زوجي ونزلنا الدرج وأنا واثقة من نفسي كل الثقة وكان منظري قد تغير طبعاً وكان يقف عند أسفل السلم ضابط الأمن نظر إلى بعينين مشدوهتين مندهشتين وتمتم بصوت خفيض وكلمات متلعثمة وهو يسلم علي لا مؤاخذة ـ يا فندم . أصرت ابنتي ليلى أن تقدم بنفسها القهوة المره للضيوف وبقيت في الصالون تحوم فرأت الرئيس عبد الناصر يحاول أن يشعل سيجاره فاقتربت منه وقالت له : «سيادة الرئيس هل أستطيع أن أطلب منك حاجة ؟ فانحنى ليسمع من الطفلة قائلا : «أوي أوي» . فقالت : ـ «أرجوك بلاش تدخين نخاف على صحتك من السيجارة فإذا به يطفىء السيجارة ويقبلها . ويلتفت إلى وزير الخارجية الذي كان يقربه ويقول له : «كنت أتوقع أن تطلب مني أن أمضي على اوتوغراف أو أي مطلب كهذا ، وهل يعقل هذه الطفلة تخاف على صحتي . وقد نقل لي هذا الحديث السيد وزير الخارجية حين فوجئنا في صباح اليوم التالي بزيارتنا في العاشرة صباحاً وقد حضر من قصر القبة وقال لي :

«يا أم مصباح حضرت خصيصاً قبل السفر لا شكرك على الجهد الذي بذلته ليكون كل شيء على أحسن حال لا أكتمك حين قال الرئيس عبد الناصر أول أمس سنتعشى في بيت الأخ سامي تصورت البيت الذي لم ينته تأثيثه وتصورت كم سيصعب عليك كزوجة سفير مسؤولة أن لا يكون استقبالك لرؤساء مصر وسورية على المستوى اللائق بالمدعوين . وكنت أنظر أمس إلى الدكتور سامي وهو معنا طول النهار وأتساءل كيف ستتدبر هذه السيدة الأمور لوحدها . وحين حضرت ورأيت هذا النجاح قررت أن أحضر قبل السفر لا شكرك على مابذلته من جهد في سبيل تبيض وجه سوريا ولا شك يا أم مصباح أن الرئيس عبد الناصر حين قال أول أمس أنه سيتعشى في داركم كان تكريما للدكتور سامي لما بذل من جهد في التقارب بين مصر وسوريا . فودعنا وذهب معه سامي إلى قصر القبه فالمطار حيث غادر الوفد مصر . .

إن العمل الدبلوماسي لم يصقل شيئاً من صلابة شخصية سامي ففي إحدى الاجتماعات بين الوفدين المصري والسوري بحث أمر أن يعاد التمثيل الدبلوماسي بينهما ويسمى سامي سفيراً لسوريا في مصر . فقال معتذراً نحن

هنا لتعيد الوحدة لا لتكرس الانفصال ، أوجدوا شخصاً غيري يقبل أن يصبح سفيراً ... لكن الرئيس عبد الناصر أجابه : «ان الانفصال قد وقع فعلاً وهناك مشاكل كثيرة يجب حلها وإزالتها . ووجودك أنت سفيراً هنا يساعد على ذلك وحين ينضج التقارب الوحدوي سوف تغلق السفارة وأنا أصر على ترشيحك سفيراً هنا لهذا لمح سامي بكلمته في تقديم أوراق اعتماده أمام الرئيس عبد الناصر في السادس عشر من نيسان عام ١٩٦٦ إلى هذا إذ قال :

سيادة الرئيس :

إذا كان يسعدني ويشرفني أن أقف أمامكم ، مستشرفاً معاني الرجولة والبطولة فإنه ليحز في نفسي أن تكون وقفتي هذه كوقفة أجنبي ، كأنني ما كنت في يوم مجيد من أيام الشموخ مواطناً في جمهورية أنت رئيسها ، إلى إن استطاع الأستعمار متحالفا مع الرجعية أن يفصم عري الوحدة الرائدة في صباح كالح من أصباح خريف حزين يقال له ٢٨ أيلول ، صباح هو في تاريخ أمتنا لطخة عار ستمحى ولكن عزائي عن هذه الوقفة التي تطعن قلبي يا سيادة الرئيس والتي كان يمكن أن تشعرني بالخزي حتى الموت ، أنك وأنت تطل على التاريخ فترى سيرته رؤ ية نبي وتصنعه صنع الأبطال قد ارتضيت لي هذه الوقفه ، خطوة نحو لقاء مثمر بين قوى تقدميه ثورية ، يضع أمتنا في طريقها إلى وحدة تمتد جذورها عميقة في الأرض فلا انتكاس ، وتشمخ راسخة كالطود فلا تزعزعها رياح ..

ذلك عزائي يا سيادة الرئيس وذلك شفيعي عندك ، وشفيعي عند جماهير أمتنا العربية التي لا تعترف بالانفصال إلا جريمة وشفيع من ندبوني لهذه الوقفه ثواراً شجعانا يقفون في معركة النضال العربي الواحد على خط النار ، ويؤ منون بلقاء القوى الثورية العربية لا بديلاً للوحدة ، بل خطوة نحوها» .

وبعد أن انتهى الدكتور سامي الدروبي من إلقاء كلمته ساد الصمت في القاعة لحظة ، ثم بدأ الرئيس جمال عبد الناصر يرد على كلمة السفير السوري قائلاً له :

يسعدني أن استقبلكم في الجمهورية العربية المتحدة لا كأجنبي ولكني استقبلكم كابن من أبناء الأمة العربية التي هي أمة واحدة فتلك حقيقة تاريخية واقعة .

إن الشعب العربي في مصر يكن دائما الاعزاز والتقدير للشعب العربي في سوريا .

والشعوب في نضالها نحو أمانيها قد تنتصر مرة وقد تصيبها النكسة مرة لكن اصرارها على تحقيق رغبتها يحرز دائماً الانتصار في النهاية ، وان الأفراد مآلهم إلى الزوال دائما ، أما الشعوب فهي الباقية على نضالها لتحقيق أمانيها وأهدافها» .

وأرجو أن أحملكم تحياتي وتمنياتي إلى الاخ الرئيس وإلى الحكومة وإلى الشعب العربي السوري . . .

وقد كتبت جريدة الاهرام في صفحتها الاولى بتاريخ ١٧/ ابريل ١٩٦٧ ما يلي : -

مشهد مؤثر من مشاهد التاريخ العربيالمعاصر .

سفير سوريا يبكي وهو يقدم أوراق اعتماده أمس إلى الرئيس جمال عبد الناصر .

سامي الدروبي يقول في كلمته : إنه ليحز في نفسي أن تكون وقفتي هذه كأجنبي كأنني ما كنت في يوم مجيد من أيام الشموخ مواطنا في جمهورية أنت رئيسها .

وقد كتب فيليب جلاب في مجلة آخر ساعة .

صورة للتاريخ : لحظة التأثر التي عاشها سفير سوريا أمام عبد الناصر

بكى الدكتور سامي الدروبي وهو يقدم أوراق اعتماده سفيرا للجمهورية السورية لأول مرة بعد الوحدة وبعد الانفصال . وذكر الكلمة ، ورد الرئيس عبد الناصر عليها وتابع فيليب جلاب يقول :

سامي الدروبي . . . ثائر أو دبلوماسي :

مدى علمنا أن تاريخ الدبلوماسية لم يسجل موقفا كموقف الدكتور سامي الدروبي . . . ومدى علمنا أيضا أن المواقف والاعمال الاصيلة تحدث

دائماً ولا تتكرر . . ولكن الدقة والامانة . . أمام الناس والتاريخ تحتم الاشارة إلى أن الدكتور سامي الدروبي بتاريخه الدبلوماسي - المعروف قبل وبعد منصبه الحالي لا يمكن اعتباره في القاهرة دبلوماسيا بالمعنى التقليدي المتعارف عليه في العالم . . . أولا لاسباب وسمات خاصةلا يعرفها أصدقاء وأعداء سامي الدروبي وثانيا لان ما بين مصر وسوريا ليس ما يمكن تصنيفه تحت عنوان ، علاقات دبلوماسيه طيبة أو سيئة عادية أو ممتازة ، أيا كانت النظم والاشكال .

وليس سرا أن اختيار سامي الدروبي في هذا المكان بالتحديد في تلك الفترة بالذات كان مبعثا لثقة بلا حدود في وقت لم يكن يبدو فيه للوهلة الاولى في علاقات القوى الثورية فرق بين الخبيث والطيب ، وكان كل شيء مختلطا وغائما . . . وليس سرا أن سامي الدروبي لعب دورا قد يوصف أحيانا بأنه تاريخي ، ويوصف دائما بأنه قومي وثوري ، والذين عاصروه وهو يجري ما بين القاهرة ودمشق بعد أن ترك منصبه الوادع والمريح في بلغراد كانوا يحسون أن التاريخ يثقل أحيانا على رجل واحد بمهام لا تؤ ديها أقل من فرقة من الرجال ! وفي وقت لم تكن تجدى فيه كثيرا الحسابات والتقديرات وفترة من أحرج فترات التجمع الرجعي والاستعماري ، كان قبول سامي الدروبي لمهمته الهامة بين القاهرة ودمشق عبئا على أعصابه وعلى قلبه (المطعون) ودليلا لدى الكثيرين على أن هناك شيئا جديدا في دمشق هذه المرة يختلف عما تتابع عليها منذ ذلك الصباح الكالح من أصباح خريف حزين يقال له ٢٨ أيلول ١٩٦١ .

وربما لا يرى أحد في موقف سامي الدروبي اليوم أكثر من تعبير مركز ومخلص لأحاسيس تسود على المستوى الشعبي والرسمي ومع ذلك ففي ظروف لم تكن مواتيه من الناحية الرسمية في سوريا اتخذ سامي الدروبي وكان سفيرا لدمشق في بلغراد في سبتمبر ١٩٦٥ ، نفس الموقف الذي تمليه معتقداته وعواطفه وشجاعته الثورية والشخصية . . . فتصرف يومئذ بوحي من واجبات الثوري العربي دون التزام بقيود وتقاليد الموظف الدبلوماسي .

كان الرئيس عبد الناصر في زيارة رسمية ليوغسلافيا واصطف السفراء

كالعادة ينتظرون دورهم في تحية الرئيس وكان الجميع (بسبب ما يجري في دمشق يومئذ من تيارات غريبة) يضعون عيونهم على السفير السوري ، كيف سيتصرف ؟ بل تساءل صحفي (تركي) بجانبنا : هل سيحضر السفير السوري يا ترى ؟ وما أن ظهر الرئيس عبد الناصر حتى شهد المطار أبلغ وأحر وداع . . . كان سامي الدروبي وزوجته وأطفاله قد أعدوا تحية خاصة للرئيس وكان أطفال سامي الدروبي يلقون الاناشيد لتحية عبد الناصر ومن ورائهم سامي الدروبي وزوجته . وللحظة صمت هدير الجماهير والطلبة العرب في مطار بلغراد حتى لا يفوتهم شيء من المشهد . . . ولم يكن سامي الدروبي يومئذ إلا كما هو اليوم ابن من أبناء الامة العربية بدرجة سفير .

فيليب جلاب

ليلى الدردي تطلب من عبدالناصر الامتناع عن التدخين حفاظا على صحته .

وبما أنني أتحدث عن أوراق اعتماده فانني أنقل لكم ما حدثني به سامي حين عاد من زيارة طرابلس حين دعت ليبيا دول المواجهة لهناك ، وسافر سامي من القاهرة مع الرئيس عبد الناصر . قال : حين وصل الرئيسان عبد الناصر والقذافي إلى قصر الضيافة وعرّف السيد الرئيس عبد الناصر سامي بالرئيس القذافي فوجىء سامي بالرئيس القذافي يقول له يا سفير العرب حين سمعنا كلمة اعتمادك التي قلتها أمام الرئيس عبد الناصر شجعتنا وبعثت فينا حماسا لا مثيل له وقد حفظت تلك الكلمة منذ ذلك اليوم فتلاها أمام الجميع . . .

حدثنا سمير الدروبي فقال حين كنت مستشارا ثقافيا في واشنطن دعينا إلى حفلة تكريم أقامها سفير الكويت على شرف الوزير المستشار الفرنسي في واشنطن والذي عين سفيراً لفرنسا في الكويت . وحين عرف السفير الكويتي سمير الدروبي على السفير الفرنسي الجديد قال السفير . . . اليوم قرأت تقريرا عن السفير السوري في القاهرة وأظن أن اسمه يشبه اسمك دروبي فضحك سمير وقال له : إن السفير السوري في القاهرة سامي الدروبي هو أخي . وسأل السفير مندهشا ما علاقة أخي بتقرير من الخارجية الفرنسية يصل إلى واشنطن ؟؟ لكن اندهاشه لم يطل إذ قال له السفير سمعنا أنه قدم أوراق اعتماده بشكل لم يسبق في الدبلوماسيه العالمية له مثيل وهذا أخذ كنموذج عن الشخصية العربية حتى أعرف مع من سأمثل بلادي .

وقد كتب كبير أمناء القصر الجمهوري المصري السيد صلاح الشاهد في كتابه ذكرياتي في عهدين ما يلي عن هذا الموضوع .

السفير الذي أبكى عبد الناصر .

في ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦١ وقع الانفصال السوري عن الجمهورية العربية المتحدة وكانت كارثة شديدة الوقع على الرئيس عبد الناصر لاسباب لا محل للخوض فيها ثم تدهورت العلاقات بين مصر وسوريا ووصلت إلى حد الاتهام بتدبير المؤامرات .

ثم رجعت العلاقات بين البلدين الشقيقين إلى شيء من الصفاء . . . وأعيدت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين .

وتمت مراسم تقديم أوراق الاعتماد ويقضي العرف الدبلوماسي أن يقول السفير كلمة قصيرة يقدم بعدها أوراق الاعتماد إلى رئيس الدولة .

ووقف الدكتور سامي الدروبي وارتجل الكلمة أمام الرئيس في صوت متهدج تكاد تغمره العبرات وكان السفير بليغا ومؤثرا .

وكان الموقف يحفه جلال ما دونه جلال ، يثير في النفوس حلو الذكريات ومرها ، وعظم التجربة الرائدة وما انتهت إليه .

وبعد أن ألقي السفير كلمته سلم أوراق اعتماده إلى الرئيس عبد الناصر الذي سلمها إلي . . . وتسربت الدموع إلى مآقي الحاضرين .

وبكى عبد الناصر ، وكنا جميعا نبكي ، علي صبري . . . والفريق سعد الدين متولى كبير الياوان وأنا .

وانعقد لسان عبد الناصر الذرب في مثل هذه المواقف لتتكلم دموعه حسرة وألما ولا أنسى ما حييت أن هذه هي المرة الاولى في تاريخ المراسم في العالم أجمع التي كان رئيس الدولة يبكي وهو يتسلم أوراق اعتماد أحد السفراء .

سأختم حديثي بكلمة وصلتنا من الكويت من السيد خالد سعود الزيد ولم نكن نعرفه :-

نقلت وكالات الانباء أن الاستاذ سامي الدروبي أول سفير لسوريا بعد الوحدة والانفصال بكي وهو يقدم أوراق اعتماده لسيادة الرئيس جمال عبد الناصر .

وهذه هي القصيدة المرسلة إليه

ذكرتنيها فلبست البين ما وقعا
ذكرتنيها فقلبي هالك جزعا

حاولت نسيان يوم الانفصال فلم
أذكره يوما لاني لست مقتنعا

فجاء تقديمك الاوراق فاجعة
يا ويحها لحظة أودت بمن سمعا

كفكفت دمعي فما استطاعت دوافعه
كتما ، فأطلقته فانهال مندفعا

لا تلحين إن بكيت اليوم محترقا
ففي الحنايا من الآلام ما فجعا

بالامس كنا يدا والله يكلؤنا
واليوم صرنا لذي الاطماع منتجعا

وسر أعداءنا يوم نساء به
وكم أساءهم اليوم الذي جمعا

لادردرك يوم الانفصال فما
ذكرتك الدهر الا صرت ممتقعا

أواه الردة السوداء وقعتها
أوهى على القلب مما حل به وقعا

فلست أعجب لما ناح مبتسا
بالأمس سامبي فأبكانا بما صنعا

فقد تشتت شمل كان مؤتلفا
وقد تقطع عقد كان مجتمعا



الدكتور الدروبي يقدم أوراق اعتماده لعبدالناصر .

صورة للتاريخ

لحظة التأثر التي عاشها سفير سوريا أمام عبد الناصر

بقلم : فيليب جلاب



سامي الدروبي .. ثائر أو دبلوماسي !

وكتب فيليب جلاب يقول :

« تصوير جمال يوسف »

فيليب جلاب

لحظة التأثر التي عاشها سفير سورية أمام عبدالناصر .

كان الرئيس عبد الناصر دائماً يشعر بالثقة التي يكنها له مثلاً قال لي زوجي بعد احدى الاجتماعات في القصر بين الوفد السوري والوفد المصري . طرحت عدة أمور منها السياسي ومنها ما كان لمصالح المواطنين من البلدين . فاقترح وزير الخارجية أن تؤلف لجنتين ويسمى لكل لجنة رئيساً لحل تلك المشاكل فرد الرئيس عبد الناصر قائلاً : «وماله ؟ الدكتور سامي الدروبي رئيساً للجنة المصرية . فضحك الجميع وكانت فعلاً ثقة متبادلة . . . .

أجل كانت كما قلت صلابة سامي الروحية التي كونت شخصيته أقوى من أن يصقلها العمل الدبلوماسي في احدى الاجتماعات صادف أن رئيس الوفد السوري كان يذكر في حديثه أرقاماً غير دقيقة فلم يستطع سامي أن يسكت لأنه اقتنع أن سكوته سيفقده ورقة الثقة التي حمل أمانتها في التقارب وإزالة سوء التفاهم بين مصر وسوريا ولم يتقيد بالعرف المهني فالتفت إلى رئيس الوفد وقال له بأدب ليلفت نظره أظن أن هذه الأرقام من الذاكرة والذاكرة كثيراً ما تخون فتجهم الجميع وكأن على رؤوسهم الطير وإذا بالرئيس عبد الناصر يقول لوزير الدولة لشؤون رئاسة الجمهورية السيد عبد المجيد فريد «ضع كرسي الأخ سامي هنا هو» فضحك الجميع . . . فتابع رئيس الوفد السوري قوله حقاً إن هذه الأرقام من الذاكرة وأنا لا أعتمدها ولكنها تقريبية وحين انتهى الاجتماع وخرجوا من القاعة قدم سامي استقالته . وقال لرئيس الوفد لم أكن دبلوماسياً حين لفت نظرك ولكن خوفي من أن افقد ورقة الثقة التي تتيح لي أن أعمل على إزالة سوء التفاهم بين مصر وسوريا دفعتني لأن أقول ما قلت ولو كان منافياً للعرف الدبلوماسي ، وقد قررت أن أعود معكم في طائرتكم إلى سوريا ولا تتصوروا أبداً أنني سأبقى هنا لاجئاً سياسياً . لكن رئيس الوفد مزق ورقة الاستقالة دون أن يفتحها وشكر سامي على تصرفه هذا . . .

كانت إقامتنا في القاهرة أمتع وأخصب فترة من حياتنا الدبلوماسية . . لن أنسى حين اجتمعنا زوجات السفراء العرب بالقاهرة وقررنا المشاركة بعمل جماعي بعد النكسة في عام ١٩٦٧ قد عملنا جميعنا في مستشفى القوات المسلحة في المعادي وكنت أعمل مع حرم سفير الكويت السيدة سميرة الدباغ في القسم

المخصص للمحروقين بالنابالم كان الاستغراق الكلي في خدمة هؤلاء المحروقين هو الشيء الوحيد الذي ينسينا أنفسنا وينسينا مؤقتاً ضربة النكبة التي هزتنا حتى الأعماق . . . كم كان منظر العمل النسائي العربي الوحدوي له تأثير في نفوس أبنائنا الجنود المصريين المحروقين من أجل القضية القومية المشتركة . وشهد الله أن أزواجنا كانوا يشجعوننا ويدفعوننا لهذا العمل على الرغم من اهمالنا لبيوتنا وأولادنا وأذكر في مساء يوم اتصلت معي رئيسة الممرضات في قسم النابالم . . . وقالت بأن أحد المحروقين يرفض أن يتناول السوائل المخصصة له لأن نفسه أن يأكل خيار . وأنت تعلمين أن وضع حرقه في الوجه لا يستطيع أن يمضغ . . . ويؤسفنا أننا نزعجك في هذا المساء ولكن المحروق يلح في طلب أبله الحنينة احسان فماذا نفعل ؟ سمع زوجي هذا وكان قد ذهب السائق إلى داره . فقال لي سامي :

«لا تخذليه يا أبلة ياحنينة وسوف أسوق بك أنا لهناك ولن أخذلك بالتالي . هذا جندي محروق من أجل البلد فلا تبخلي عليه . اذهبي وحاولي أن تساعديهم . وفعلاً ذهبت وقد اشتريت خياراً وأخذت مبشرة فبشرت له الخيار ووضعت ماء الخيار في الابريق «ذو البزبوزة» المخصص لاطعامهم وقلت له بنفسك خيار ياولدي خذ سائل الخيار وخذ وجبتك التي بها الأدوية حتى تقوى وربنا يشفيك حتى تستطيع أن تأكل كل شيء . فانبسطت أساريره وقال «مش قلت لكم أبلة الحنينية حتجيبها « . . . وانفجر باكياً لأنه تصرف كطفل فخجل من نفسه واعتذر عن الازعاج . . . لكنني لم أشعر براحة كما شعرت في تلك الليلة وهذه نص الرسالة التي أرسلها اللواء عبد الحميد المرنجي رئيس مستشفى القوات المسلحة إلى زوجي .

مستشفى القوات المسلحة بالمعادي

مكتب القائد

القيد : ١٠٤٢٠ الملف ٠١/ ٣٣٧

التاريخ ٣/ ٧/ ١٩٦٧ . . . . جـ/ ٥ بريد حربي

السيد الفاضل/ سفير الجمهورية السورية

بعد التحية ،

يسعدني أن أسجل لسيادتكم بالشكر والامتنان الدور الانساني النبيل الذي قامت به السيدة الفاضلة حرمكم في تضميد جراح وتخفيف آلام مصابي وجرحى العمليات الحربية التي شنتها قوى الغدر والخيانة ضد الأمة العربية .

ﷺ لقد كان للرعاية الطبية الرحيمة التي قدمتها تلك الأيادي الكريمة أثر كبير في تماثلهم للشفاء مما قوى عزيمتهم وحثهم على تجديد النضال لرد العدوان والظفر بالنصر لأمتنا العربية والله ولي التوفيق .

لواء طبيب محمد عبد الحميد مرتجي

مدير مستشفى القوات المسلحة بالمعادي

مستشفى القوات المسلحة بالمعادى
مكتب القائد

النمـــــد : ٢٠٠٩٠١ الملف : ٨

التاريـــخ : ١٩٦٧/٧/٣   ج / ٥ بريـــــد حربى

السـيد الفاضل / سفير الجمهورية السورية

بعد التحيـــة

يسعدنى أن اسجل لسيادتكم بالشكر والامتنان الدور الانسانى النبيل الذى قامت به السيدة الفاضلة حرمكم فى تضميد جراح وتخفيف آلام بعض جرحى العمليات الحربية التى شنتها قوى الغدر والخيانة ضد الامة العربيـــة .

ولقد كان للرعاية الطيبة الكريمة التى قدمتها تلك الايادى الكريمة اثر كبير فى تماثلهم للشفاء مما قوى عزيمتهم وشجعهم على تجديد النضال لصد العدوان والظفر بالنصر لامتنا العربية والله ولى التوفيق .

لواء طبيب / محمد عبد الحميد مرتضى
مدير مستشفى القوات المسلحة بالمعـادى
([توقيع]   )

رسالة مدير مستشفى القوات المسلحة بالمعادي بالقاهرة .



من لقاءات العمل النسائي بعد حزيران
من اليمين لليسار ـ حرم سفير المغرب المهدي زنطار
ـ الشيخة سعاد الصباح
ـ احسان الدروبي

بعد نكسة ١٩٦٧ مباشرة طلبنا من سكرتيرة السفارة أن تعتذر عن أي موعد زيارة للسلك الأجنبي لأن حالتي النفسية سيئة جداً بعد الهزيمة وبأي وجه سأقابل الأجانب . في يوم عدت من مستشفى المعادي فكلمتني السكرتيرة تخبرني أن سفارة فيتنام اتصلت معها عدة مرات تطلب موعداً لزيارة حرم السفير . . . .وتسألني ماذا أجيبها على الحاحها هذا . . . لم أر بداً من استقبالها ولسان حالي يقول : «الحال واحد وكلانا نضرب من أمريكا وحليفتها . . . » المهم حضرت هذه السيدة ما أن جلست حتى أخذت تحدثني عن سوريا . . . وكيف أن المعلم وتقصد «هوتشه منه» كان يعتبر سوريا هي مركز الاشعاع النضالي إبان الثورة السورية في العشرينات حين كانت فرنسا في عز جبروتها وكنا كلانا تحت الاستعمار الفرنسي وكانت أخبار الثورة السورية هي الدفعات المحفوفة فكرياً وثورياً لتأجج الشعب الفيتنامي . . والمعلم مهمته تسليط الأنوار على بطولات الشعب السوري الذي أقلق فرنسا وكم تحدثت عن أعمال الثورة السورية بدقة أثارت اعجابي ودهشتي كيف وصلتها كل هذه المعلومات وقبل أن تنتهي الزيارة أخرجت من حقيبة يدها خاتماً وأهدتني إياه مصنوع من حطام الطائرة رقم ٢٠٠٤ ومعنى هذا الاذلال لأمريكا من الشعب الفيتنامي . . . . ولا أكتم كم رفعت هذه السيدة الفاضلة من معنوياتي بزيارتها هذه .

حدد لسامي موعد مع طبيب في لندن مختص بأمراض القلب للكشف عن امكانية اجراء عملية جراحية . وتصادف أن يحدد موعد مجيء وفد مصري إلى سوريا لأول مرة بعد الانفصال برئاسة رئيس مجلس الشعب المصري في نفس موعد سفرنا إلى لندن . وأرجأ سامي سفرتنا على الرغم من ضرورتها الملحة لبعد انتهاء الزيارة لسوريا . . . وفعلاً جئت مع الأولاد إلى دمشق ~~وفي~~
~~هذه الزيارة المشؤومة فقدت ابنتي سلمى حيث اختنقت مع الأولاد إلى دمشق~~
وفي هذه الزيارة المشؤومة فقدت ابنتي سلمى حيث اختنقت بالغاز وهي تستحم وكان سامي أول من شم رائحة الغاز فتح باب الحمام وإذا بالصبية متمددة في أرضه فحملها رغم مرضه وسار بها عدة خطوات فإذا به يصرخ قلبي وتنهار قواه ويبيض وجهه وتسقط سلمى من بين يديه ويسقط هو بقربها

فحملته لسريره ووضعت في فمه عدة حبات من الحبوب الموسعة للشرايين .

واتصلت مع الدكتور جمال أتاسي مستنجدة به فحضر مع دكتور القلب أبو الخير أتاسي . وكانت في هذه الأثناء الدكتورة الهام الدروبي أخت زوجي تحاول أن تسعف سلمى المسجاة في مدخل الدار والمختنقة بالغاز ، فقالت الدكتورة الحالة سيئة جداً ربما استطعنا اسعافها في المستشفى بالاستعانة بالجراحة فحملتها وذهبت إلى مستشفى المواساة وبقيت الدكتورة الهام عند أخيها .

حملت الصبية إلى غرفة الاسعاف واجتمع حولها عدد من الأطباء . وقد صعقت كيف لاتنقل لغرفة العمليات فصحت أين طبيب القلب الجراح ؟ لماذا لا تسرعون بالجراحة . فقال لي الدكتور الجراح وعرفت فيما بعد أنه الأستاذ سامي القباني سيدتي لم تعد تفيد الجراحة إنها في هذه الحالة تشريح جثة عندها صحت الله أكبر هل يعقل ما أسمع وأحسست أن جمرة نار تتوهج في أحشائي وتحرق قلبي وكبدي . فقلت كيف سيتحمل قلب سامي الضعيف هذه الفاجعة وتضرعت إلى الله أن يقبل سلمى فداء عن سامي كما قبل الكبش فداء عن اسماعيل . كان المفروض أن نحمل الصبية إلى دار أبيها ليتم مراسم الجنازة من هناك . ولكن من شدة خوفي على والدها أخذناها لدار جدتها أم سامي ومن هناك تم كل شيء . ولم أكن أعلم أن سامي ليس في الدار بل كان قد حمل لغرفة الانعاش المشدد في المستشفى العسكري لتدهور حالة قلبه . كان كل ما يمر أمامي يهيء لي أنه كابوس . . . سجيت الصبية على السرير وجلست على الأرض ووضعت القرآن الكريم على الوسادة قرب رأسها وبدأت أقرأ بالقرآن . . وكانت نار تشتعل في قلبي تحرق كبدي . . . وأنا في حالة استسلام لقضاء الله انظر إليها وأصيح مش معقول أنها نائمة أين الطبيب ليعيد الفحص .

فيذخل طبيب ويثبت ما قيل وبقيت على هذه الحال حتى قمت بنفسي بعملية غسلها إن جميع الأحباب الذين اكتظت بهم الدار حاولوا أن يمنعوني من هذه المهمة لكنني لم أستمع حتى ولا لتضرع أمي الخائفة علي . . . فقلت بعنف لا أحد يتدخل لم أخدم هذه الصبية لا بحفل شهادة ولاخطوبة . .

ولا زواج . . . دعوني وشأني مع حبيبتي سلمى في الدقائق الأخيرة التي لها على وجه الأرض . وكنت أنوي أن أرافق الجثمان إلى المقبرة لأكون مكان والدها ولكن في تلك اللحظة قيل لي كلمي سامي على الهاتف ، ما إن مسكت الهاتف حتى سمعت صوت به الضعف والعنف . يقول «احسان خافي الله لماذا لم تطمنيني عن سلمى كيف هي الآن . . . احضري حالاً أريد أن أراك قلت حاضر وأدركت فوراً أن سامي لم يعلم بعد بالفاجعة التي حلت بنا لأن أحداً لم يتجرأ على اخباره وهو في تلك الحالة الخطرة . ولم يقبل أحد من جميع أفراد العائلة والأحباب على اصطحابي لعنده ، سوى الصديقتين رفقة كمال ورياض عناية ، في الطريق إلى المستشفى العسكري كنت أقول يارب ألهمني ماذا أقول له . . . كيف سيتحمل هذه المصيبة ؟ واقتنعت أخيراً أن منظري هو أعمق كلام ، وصلنا إلى باب غرفته وكان وزير الخارجية ورئيس الأركان خارج الغرفة فقالا لي إن سامي ثروة للوطن . . . ووضع قلبه سيء جداً كما تعلمين . لذا لم نعلمه نحن . وتشجعي عليك مسؤ ولية كبرى حاولي ألا تنهاري أمامه . . دخلت والنار تتأجج في الفؤ اد وتحرق الكبد . . وكانت طرقات قلبي غير منتظمة تتراوح بين الطرقات العنيفة التي تهزني وبين لا طرقات اطلاقاً كأنها توقفت . . المهم دخلت لغرفته كان أنبوب الأوكسجين في أنفه والسيروم في ذراعه والدكتور أبو الخير أتاسي والدكتور ناظم البني أمامه . بجهد وبعنف وعتاب قال سامي«خافي الله لماذالم تطمنيني عن سلمى حتى الآن . . قلت يا رب ، جلست على حافة سريره ، ومسكت يده بين يدي الاثنتين وأجبته بدون انفعال كأن سلمى ليست النار التي تحرق كبدي «يا سامي إن الأوكسجين مازال في أنف سلمى وليس فيها من علائم الحياة سوى النفس طالع نازل ويؤ كد لي الأطباء أن مركزاً من مراكز المخ قد تلف وكم من مرة حاولت أن أسحب الأوكسجين من أنفها حتى لاتصبح سلمى الذكية بلهاء . ولكنني شعرت أنه ليس من حقي لوحدي أن آخذ هذا القرار . فحضرت لأستشيرك . . وحاولت أن أبلع ريقي عبثاً . . فإذا به يتضرع إلى الله بخشوع يارب يا رب ريح سلمى خذ سلمى لاتترك الصبية الذكية بلهاء ذات عاهة ، ولم أسمع بعد ذلك شيئاً لقد فتحت عيني فإذا أنا

متمددة على سرير في غرفة ثانية يسعفونني وسمعت أحدهم يقول ـ كم كنا نخاف أن نخبره بموت سلمى فإذا به يتمنى لها الموت بعد أن بلغ بهذه الطريقة الذكية . عرفت وأنا بين الصحو والغيبوبة صوت الصديقة رفقة كمال وهي تجيبه إنه وحي من الله ألهم احسان أن تقول هكذا . كانَ جمع من الأصدقاء والأطباء في غرفة سامي حين رن جرس الهاتف وقيل لي تكلمي مع مصر . كان المتحدث سامي شرف وزير الدولة لشؤ ون رئاسة الجمهورية سأل عن سامي وقال السيد الرئيس عبد الناصر يريد أن يطمئن عن صحة الدكتور ويحدثه . . . أعطيت سامي السماعة فإذا عينا سامي تتسعان وسمعناه يقول .

«سيادة الرئيس ماذا تكون سلمى بالنسبة للأبطال الضباط الشباب الذين يستشهدون كل يوم في حرب الاستنزاف» . . . كان عبد الناصر يردد قلبنا معاك ياسامي الأخوان كلهم هنا منتظرينك . شد حيلك ربنا يقويك . . . وكان يتورد وجه سامي ما أن انتهت المكالمة . حتى سمعنا وزير الخارجية يقول للدكتور أبو الخير أتاسي ضاحكاً . . . يادكتور إن هذه المكالمة التلفونية فاقت كل أدويتك الصحية .

مكث سامي في المستشفى عشرة أيام وفي نفس اليوم الذي خرج به من هناك اتصلت معنا الخارجية السورية وأبلغتنا أن السيدة جهان السادات والسيدة حرم الأستاذ أحمد بهاء الدين ستحضران للتعزية وعدنا معاً إلى القاهرة بعد أن سمح لسامي بركوب الطائرة . وفي اليوم التالي لوصولنا حضر الرئيس عبد الناصر لدارنا معزياً جلس في الصالون ونظر طويلاً إلى صورة زيتية لابنتي الراحلة سلمى ثم قال :

«صعبت على الصبية الحلوة أن تموت مثل هذه الموتة الفظيعة أن ينفجر الغاز وتحترق وتتشوه وتتألم هذا الألم الفظيع فقلت مقاطعة لا ياسيادة الرئيس لم تتشوه ولم تحترق لقد سممت بالغاز واختنقت دون أن تشعر بشيء كأنها نائمة . فقاطعني سامي ملفتاً نظري أن تعزية الرئيس رئيسة التعازي فقد كان من الممكن أن تموت ابنتنا وقد انفجر الغاز حقاً واحترقت وتعذبت وتشوهت . فإذا بقلبي يبرد طالما الأجل محدود فإذا جاء أجلهم لايستقدمون ساعة ولا يستأخرون .

مكثنا أسبوعاً بالقاهرة نستقبل المعزين والأحباب . . . وبعد ذلك استدعي سامي إلى الاسكندرية وكعادتنا كانت العائلة كلها تسافر مع سامي . حجزنا في فندق فلسطين وحين وصلنا كان في صالون الفندق ممثل الرئيس عبد الناصر حسن صبري الخولي فاستقبلنا وبلغنا سنكون ضيوف الرئيس عبد الناصر أمر أن تحجز لنا استراحة استانلي فذهبنا لهناك . مضت ثلاثة أيام والرئيس لم يحدد موعد لزيارة سامي . . . وفي صباح اليوم الرابع نهض وقال بشيء من الانفعال هيىء الحقائب لن أنتظر أكثر ما انتظرت وحين هبط إلى الصالون كان السيد حسن صبري الخولي قد حضر لزيارتنا قال له سامي : «يظهر أن السيد الرئيس مشغول جداً وها قد مضى ثلاثة أيام منذ استدعيت ولم يتسع وقته ليقابلني . سنعود اليوم إلى القاهرة . وأرجو أن أبلغ حين يكون عند السيد الرئيس وقت أن أبلغ قبل ولو ساعتين لأحضر فوراً . . . وبينما كنت أحضر الحقائب إذا بالهاتف يرن . وإذا بالموعد يحدد في الساعة السادسة مساء .

عاد سامي من المقابلة خجولاً من نفسه إذ ظن أن السيد الرئيس قد أهمله ، تلك الأيام الثلاثة قبل استقباله أي منذ وصولنا للاسكندرية . وبدأ حديثه تصوري أول ما قابلت السيد الرئيس قال : «علمت من البروتوكول أن رئيس الدولة له الحق أن يستدعي السفير المعتمد إلى أي مكان في بلاده وأنا أرغب أن أستدعيك شهر اغسطس كله في الاسكندرية ، وضحك وتابع إنك وزوجك بعد المصيبة التي حلت بكما بحاجة ماسة لتغير الجو وستظلون معنا شهراً كاملاً .

فشكره سامي وخجل من نفسه وفي هذه الزيارة علم سامي من السيد الرئيس أنه هو أيضاً أصيب بالقلب (لكن هذا الخبر كتمه عنى) ، وأظن أن هذا الخبر كان من الأشياء القليلة التي لم أطلع عليها . وأخبره أن هناك دواء يابانياً جديداً لترميم الشرايين وافق الأطباء الروس على استعماله وهو يشعر بتحسن وأعطى سامي علبة ممتلئة بهذا الدواء . . .



تعزية عبدالناصر بوفاة كلي الدروبي .

سلمى



تعزية عبد لناصر بوفاة ليلي الدروبي

سـلمى

حين اشتدت وطأة المرض على سامي مكث في البيت للراحة وفي صباح يوم دق جرس الهاتف وقال لي المتحدث هنا الرئاسة السيد الرئيس سيزوركم ليعيد الدكتور سامي في الساعة الحادية عشرة . فذهبت وأخبرت سامي بذلك ، فسألني من هو المتكلم من الرئاسة ؟ أجبته لا أعرف . قال : لمَ لم تسألي عن اسمه ؟ قلت : «فاتني ذلك» قال : «هذا خطأ لا يغتفر لمن عمل بالسلك الدبلوماسي فترة طويلة . . . هل رئيس الدولة عنده الوقت الكافي ليزور المرضى من السفراء ؟ وهل سمعت قبل هذا عن مثل ذلك ؟ وأحسست بصوته رنة عتاب مع لفت نظر انني لم أتصرف كما يليق بزوجة سفير ، ثم ألم يخطر ببالك ان يكون أحد الأصحاب قد أحب ان يعمل معنا مقلباً . ولم تمض نصف ساعة حين خرجت الى الشرفة المطلة على الشارع فرأيت سيارات المحافظة تغسل الأشجار وعمال البلدية تنظف الشارع أسرعت لغرفة نوم سامي وقلت بثقة :ـ «سامي الرئيس سيحضر بكل تأكيد لزيارتنا لأن محافظ القاهرة مهتماً جداً بنظافة شارعنا ونظافة أشجاره في هذا اليوم بالذات . . . وفعلاً في تمام الساعة الحادية عشرة وصل السيد الرئيس عبد الناصر . . . قلت للسيد الرئيس : لامني اليوم الدروبي بعنف وقصصت عليه ما حصل فضحك والتفت اليه وقال :ـ

«أشعر يا أخ سامي ان وجع قلبك ده جالك وانت تبني الكوبري بين سوريا ومصر طوبه طوبه» أي وانت تبني الجسر بين سوريا ومصر حجراً حجراً . وتابع يقول سافر الى امريكا وخذ الدواء الياباني معك وقد أصر أن يرافقنا طبيبه الخاص الأستاذ الدكتور حمدي السيد اخصائي القلب .

لم أفهم سر الدواء الياباني لأن خبر اصابة قلب الرئيس عبد الناصر كان قد كتمه عني سامي واظن أنه من الأمور القلائل التي لم يطلعني عليها ولم أعرف الاّ بعد وفاة الرئيس حين سمعني ألطم وأقول مش معقول عبد الناصر عنده مرض قلب ، فقال نعم ان الرئيس مصاب بالقلب ولم أخبرك يا إحسان وأنا أعلم ذلك منذ أعطاني الرئيس عبد الناصر الدواء الياباني الجديد ولكن هذا كان يجب أن يبقى سراً ولم أطلعك عليه .

حضر حامل رسالة من دمشق فكان على سامي أن يتصل بالرئاسة ويطلب تحديد موعد وكانوا قد عودوه أن يجاب لتحديد الموعد بأقصى سرعة . ولكن في هذه المرة تأخر تحديد الموعد أربع وعشرين ساعة مضت ثقيلة . . . فاستغربنا وضيفنا منتظر ، وأذكر حوالي الساعة السادسة مساء حدد الموعد وذهب سامي رأساً وحين عاد كان مستبشراً سعيداً سعادة لا توصف إذ أن تأخير تحديد المقابلة كان سببه شيء يثلج القلب لقد كان سببه ان الرئيس عبد الناصر لم يكن في القاهرة بل كان يحضر عملية لعبور الجيش المصري حية على قناة القناطر الخيرية أشبه ما تكون بقناة السويس وعمل ميداني حي ، كان يقوم به الأبطال المصريون أمام الرئيس عبد الناصر استعداداً وتهيئة ليوم العبور الذي لم يره في حرب تشرين سنة ١٩٧٣ .

سافر حامل الرسالة إلى دمشق وحضر في اليوم الثاني اللواء مصطفى طلاس واجتمعا مع الرئيس عبد الناصر هو وسامي اجتماعاً مطولاً لم يحسب له أن يأخذ هذا الوقت فمضى وقت الغداء فاقترح الرئيس أن يتناولا الغداء غير رسمي معه . ولا شك أن اللواء طلاس يذكركم كان ذاك الغداء بسيطاً .

بعد أيام كان مؤتمر دول المواجهة في ليبيا . اتصلت الرئاسة بسامي ليسافر بطائرة الرئيس عبد الناصر . وحين عاد سامي جلست أمامه كالعادة لاصغي الى حديثه عن رحلته قال :ـ

ما أن صعدت الى الطائرة حتى قادني مدير التشريفات وأجلسني في مقصورة السيد الرئيس وقال لي هذا مكانك بناء على أمر من السيد الرئيس . وبدأ السيد الرئيس الحديث قائلاً :ـ

«حمداً لله أن صحتك تحسنت واستطعت أن تحضر معنا وأنا قد طلبت أن يرافقنا الدكتور / حمدي السيد لتبقى تحت اشرافه اننا مقدمون على عمل وحدوي ولعلمي بإيمانك وحبك للوحدة حرصت أن تعيش معنا هذه الأيام .

وحين وصلنا الى قصر الضيافة وعرفني على الرئيس القذافي قائلاً له :

«أعرفك على الدكتور سامي الدروبي سفير سوريا الوحدوي بل سفير العرب . فإذا بالرئيس القذافي يحتضنني ويقبلني ويجيب الرئيس عبد الناصر نحن نعرف الدروبي منذ أن قدم لسيادتكم اوراق اعتماده وكنا ضباطاً قبل

الثورة وانني احفظ كلمته من كثرة ما رددتها أنا والرفاق . . . وأخذ يرددها أمام الجميع .

وكانت مباحثات طرابلس وهذه ايضاً سأتركها لمذكراته حين تنشر ولكنني أذكر هذه الحادثة فقط في طريق العودة من ليبيا قادَ رئيس التشريفات سامي إلى الكرسي الذي بجانب الرئيس عبد الناصر وقال له وهو يبتسم : «حسب أوامر السيد الرئيس» .

بعد الاقلاع بدقائق ارسل وزير الخارجية السيد محمود رياض ورقة الى السيد الرئيس فضها وقرأها فطلب من حامل الورقة أن يستدعي وزير الخارجية فاستأذن سامي ليغير مكانه ليفسح المجال لاختلاء السيد الرئيس بوزير خارجيته ولكن السيد الرئيس عبد الناصر قال لا يا سامي لتبقى معنا ويجب ان تعرف حكاية مبادرة روجرز . . . قال محمود رياض سيدي الرئيس وصلت تلك الاشارة عن مبادرة روجرز فما رأي سيادتكم وتحدثوا عنها وعن أبعادها بحضور سامي ومشاركته للحديث فأجاب السيد الرئيس :- «سنوافق على المبادرة لأنها فرصة أن تبنى قواعد الصواريخ سام ستة على ضفاف القناة حتى تحمى العمق المصري ولا تكرر أمثال ضرب مدرسة أطفال بحر البقر ، أو مركز توليد كهرباء كوم حمادة . وإن وقف حرب الاستنزاف ووقف اطلاق النار هو فرصة لتقديم بطاريات صواريخ سام على طول خط القناة كما ذكرت» . ولا شك أنه كان للمواقع الجديدة التي اكتسبتها الصواريخ دور بالغ الأهمية في تقرير مصير معركة العبور فيما بعد في حرب تشرين ١٩٧٣ وقد أحيطت المعلومات بالسرية لذا سافر سامي شخصياً الى دمشق لتبليغ ذلك ، ولتعرف دمشق أن الرئيس لن يجد حرجاً في إجهاض مبادرة روجرز بعد تحقيق هدفه العسكري في اقامة الصواريخ . . . وكانت صعوبة هذه المهمة على سامي لا بالنسبة لدمشق ولكن بالنسبة لإزالة الحيرة والتساءلات عند كثيرين من القيادة الفلسطينية .

وفي صبيحة الغد سافر الرئيس عبد الناصر الى موسكو وكما هو معلوم أعلنت الموافقة على المبادرة الامريكية . وسافر سامي الى دمشق . . . وهناك تفاصيل في مذكراته عن تلك الحقبة والاستعداد للحرب . . .

كان لتلفزيون مصر برنامج اسبوعي يدعى شريط تسجيل يقدم لشخصية بارزة في ميدان من الميادين فعلى ضيف ذلك البرنامج ان يملء شريط تسجيل بموضوع يراه مناسباً .

وبما أن زوجة الكاتب هي العين التي تراه والاذن التي تسمع ما يقول وما يقال عنه كما سبق وقلت فإني احتفظت بتسجيل لذلك البرنامج وهأنذك أفرغه حرفياً في هذا الكتاب . إذ أن سامي طرح مشاكل ثقافية ما زالت حتى يومنا هذا موضوع اهتمام مثقفي الوطن العربي . . .

كانت تشرف على هذا البرنامج المرحومة السيدة سلوى حجازي . ابتدأت البرنامج قائلة :

النهار ده موعدكم مع حلقة جديدة من برنامج شريط تسجيل ونهديه اليوم إلى وجه ممتاز من وجوه الثقافة العربية الحديثة ساهم في مجالاتها المتعددة استاذ جامعي وأديب وسياسي . دخل الى السياسة من باب الثقافة . بهره التراث العربي فآمن بوحدته وبإمكانية تطويره . وبهره التراث العالمي فساهم في ترجمته الى اللغة العربية . استاذ علم النفس في جامعة دمشق ووزير التربية السابق وسفير سوريا في مصر حالياً الدكتور سامي الدروبي يرجع له الفضل في ترجمته الأعمال الكاملة للكاتب دوستويفسكي . أهلاً وسهلاً البرنامج يرحب بسيادتكم ويقدم لكم شريط التسجيل وسوف تقدم عليه الفقرات التي تحب ان تناقشها وأبدأ بأن اسألك .

لمن سوف تهدى هذا الشريط فقال ـ:

أهدي هذا الشريط الى الأخوة والأصدقاء الذين لبوا دعوتي الى المشاركة في ملء هذا الشريط ، ولكنني لا أهديه اليهم عرفاناً بجميلهم الصغير هذا ، وإنما أهديه اليهم عرفاناً بجميل كبير يسدونه لامتهم ، لأنهم من الوجوه البارزة التي تشارك في بناء نهضتنا الحديثة ، وفي صنع الثقافة العربية ، وفي إنشاء الفن العربي الحديث تصويراً وموسيقى وشعراً وأدباً ومسرحاً .

وأهديه كذلك الى الشعب العربي في مصر الذي يحمل العبء الأكبر في معركة النضال من أجل تحرير الأرض العربية ووحدة الأمة العربية ، ويبذل في ذلك أعظم التضحيات .

واهديه بعد هذا أو قبل هذا وفوق هذا الى الرجل الذي لن يراه ، الرجل الذي ليس كالرجال ، بل كرواسي الجبال عزماً وصموداً . . . الرجل الذي يحمل هموم أمته العربية كلها ، ويسهر حين ننام ، ويعمل حين قد نلهو . . . والذي تعقد على بطولته الآمال ، أهديه الى قائد أمتنا الكبير ، جمال عبد الناصر .

بدأت بالسؤ ال التالي . أيه رأي حضرتك يادكتور سامي ايه المفروض ان يتوفر بمن يقوم بمهمة الترجمة ؟ . . .

ـ لا أحسب انني استطيع الاجابة على هذا السؤ ال ارتجالاً ، فأحصي جميع الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يتصدى لترجمة الأعمال الأدبية خاصة .

الترجمة العلمية سهلة طبعاً وكذلك ترجمة الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس فلغة هذه العلوم لغة لا أقول أنها فقيرة على اطلاقي كلمة الفقر ولكن أقول أنها فقيرة نسبياً وانما الفن والثراء في لغة الأدب . أعتقد انني لا أضيف جديداً اذا قلت ان الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يتصدى لترجمة الاعمال الأدبية هي كما تحصى عادة وكما يعددها سائر الباحثين في هذا الأمر ثلاثة ـ التمكن من اللغة الأجنبية اولا التي تنقل عنها ثانياً التمكن من اللغة العربية التي ننقل اليها وثالثاً التمكن من المادة التي هي موضوع الكتاب او البحث الذي ننقله الى اللغة العربية . بالنسبة للتمكن من المادة ، هذا طبيعي في الترجمة العلمية والفلسفية والاجتماعية والسيكولوجية والتاريخية ، هو التخصص في هذه المادة والتمكن منها .

أما بالنسبة للأدب هي توفر الذوق الأدبي ، وهذا موهبة تصقل ولكنها لا تتعلم فمن لم يكن ذا موهبة لن يحقن بموهبة ولا يمكن ان يعلم كيف يتذوق الأدب . والتمكن من المادة هنا هو هذه الموهبة ، هذا الذوق الأدبي . ولكن ما معنى التمكن من العربية ومن اللغة الاجنبية بالنسبة للأدب ؟ لا تمكن من العربية بدون معرفة آدابها معرفة عميقة . لا يعرف العربية معرفة تؤهله لأن يمسك القلم وينقل اليها من لا يقرأ القرآن دائماً ، من لا يقرأ الجاحظ وأبا حيان التوحيدي ، ومَن لا يترنم بشعر المتنبي وأبي العلاء وأبي تمام لا يعرف العربية معرفة تؤهله لأن يمسك بالقلم وينقل اليها من لم يملك الكنوز الثرة

للغة العربية مختزنة في آدابها وتراثها .

نأتي الى التمكن من اللغة الأجنبية يصدق هنا ما يصدق على التمكن من اللغة العربية ليس كل من درس اللغة الفرنسية في المدرسة والجامعة بقادر على أن يترجم منها . وإنما ينبغي للمترجم في ميدان الأدب ، أن يعرف اللغة الأجنبية في آدابها . وأجاذف فأقول : أن عيار التمكن من اللغة الأجنبية هو الوصول الى القدرة على تذوق شعرها ، الاحساس بموسيقى شعرها . . . وقبل ذلك لا يكون ثمة معرفة تامة باللغة الأجنبية .

وأعود الى التمكن من المادة ، فأثير انه يعني ، بالاضافة الى الذوق الأدبي ، مصاحبة ومعاشرة المؤلف المترجم عنه . أعرف اناساً يشرعون في ترجمة رواية قبل أن يقرأوها كاملة .

ماذا يحدث حين لا تتوفر هذه الشروط في المترجم ؟

تحدث أحياناً مضحكات أو مبكيات . ولا أريد أن أضرب أمثلة صارخة وانما أكتفي بمثال واحد ، وقعت على إحدى الترجمات على مترجم ينقل عبارة . . . IL est Capble de tou كما يلي : هو قادر على كل شيء .

فالمترجم هنا : أما أنه يجهل ما الذي توحيه هذه العبارة في العربية ، لجهلة باللغة العربية . وإما انه لا يعرف معناها بالفرنسية . وإما أنه لجهلة بالعربية ، لم يهتد الى العبارة العربية المقابلة ؛ انه لا يتورع عن شيء ، أولا يحجم عن شيء . . . الخ .

ترى ما هي المخاوف أو إساءات الترجمات الرديئة ؟

ـ أفسدت اللغة العربية ، وهبطت بها الى الركاكة . الشباب متعطش الى قراءة الانتاج الاجنبي الدسم .

أفسدت المؤلفات المترجمة فاصبح الظن فيها سيئاً وأعطت سلاحاً لأهل الجمود الذين يرفضون الا التراث .

المترجم يجب أن يكون من أصحاب الأقلام ان يكون اديباً . أن اندره جيد ختم حياته الأدبية الحافلة على ترجمة بعض مسرحيات شكسبير .

ما هو مستوى الترجمة الموجودة حالياً التي تظهر في هذه الأيام ؟ الحقيقة انه يوجد الآن موجة كاسحة من الكتب المترجمة التى تظهر في أيامنا هذه بعضها

جيد وبعضها رديء . . . بل بعضها جيد جداً يستحق اعجابا كبيراً جدا . لا أنسى مثلا أن فيلكس فارس حين ترجم كتاب هكذا تكلم زرادشت لينتشه الى اللغة العربية قد أعطانا ترجمة تضاهي الأصل الفرنسي الذي ترجم عنه ذلك أن هذا الكتاب كتب في الاصل في اللغة الألمانية : اقول ان ترجمته هذه أفضل من الفرنسية التي نقل عنها الفضل في هذا ليس له وحده وانماهو ايضا وفي الدرجة الاولى الى اللغة العربيةالتي تبلغ من الغنى والثراء مالا تبلغه لغة أخرى في العالم فمكنته في أن يعيش فكر وروح نيتشه وشعر نيتشه هو كتاب نثر يكاد يكون شعراً وربما تفوق على الشعر فباللغة العربية طواعيتها له هو فيلكس فارس لابطواعيتها لمن لم يعاشرها ويصاحبها ومن لم يتمكن منها تمكنا كاملا أقول جاءت ترجمتها العربية خيرا من الترجمة الفرنسية فعلا .

لكن بكل أسف أكثر الترجمات التي تظهر لا تملك ما تملكه ترجمة فيلكس فارس او ترجمة غيره من المترجمين المجدين من نصاعة البيان واشراق الاسلوب وشفافية العبارة وما الى ذلك من ميزات يجب ان تتوفر في الترجمة .

دكتور سامي دائما تتكلم الفصحى السلسة وأنا أتساءل هل حضرتك من أنصار استعمال اللغة العربية الفصحى حتى في الحديث اليومي ؟

هذان سؤالان لا سؤال واحد ؟

١ ـ لماذا اتكلم الفصحى ؟

لأني اوثرها على العامية .

أما لماذا استسهل التكلم بالفصحى ؟

بالفعل أنا حين اصطنع العامية يتعثر لساني وأتلعثم حقيقة . وربما كان الفضل في أنني اتكلم بالفصحى بطلاقة كما تكرمت ووصفت كلامي هو أنني مارست مهنة التدريس على مدى عشرين عاما فكنت استعمل الفصحى ، وأيضا لأنني طفت في البلاد العربية ورأيت أن هذه اللغة الفصحى التي هي مقومة أساسية من مقومات وحدة الأمة العربية . . . هي اللغة التي استطيع أن أتخاطب بها مع جميع الناس في كل قطر من الاقطار العربية . . . فإذا لم اتكلم بالفصحى عزَّ علي غيري أن يفهمني . . . وعز علي أن أفهمه أيضا لانني متى تكلمت بفصحى فسيجيبنى بفصحى ما وعندئذ يسهل التخاطب

والتفاهم . وأظن أن هذه المشكلة ستثار بعد قليل حين سنتكلم مع الشاعر صلاح عبد الصبور والشاعر صلاح جاهين في قضية الفصحى والعامية لافي لغة التخاطب طبعا ولكن في الكتابة على الأقل سواء الكتابة للمسرح ، أو الغناء أو الكتابة الشعرية .

ننتقل الأن الى الفقرة الخاصة بالعامية والفصحى ونرحب بالاستاذ صلاح عبد الصبور والاستاذ صلاح جاهين .

الدكتور دروبي : - لا أريد أن أمهد للحوار الذي بين الاستاذ صلاح جاهين والاستاذ صلاح عبد الصبور عن الفصحى والعامية ولكن أرجو من الاستاذ عبد الصبور أن يقول لنا رأية :

الأستاذ عبد الصبور : - الواقع اريد ان اقول في قضية أي فن وقدرته على التوصيل ، أنا أتصور أن الفصحى ليس بمعنى التقليدية انما الفصحى المحررة التي وصلت الينا الآن من خلال التجارب الصحفية والادبية أصبحت أكثر قدرة على التوصيل من العامية حتى بين أوساط غير القراء . وأضرب مثل حين نرى مجموعة من العامة الذين لايجيدون القراءة والكتابة جالسين حول أحد الذين يستطيعون ان يقرأوا وهو يقرأ لهم الجريدة اليومية . وهي مكتوبة بالفصحى ، وهم يفهمونها وفي الواقع أنا أعتقد أن القضية لم تحل ، اننا عايشين في ثنائية لغوية هذه واقعة مسلّم بها في كل البلاد العربية ، يوجد عامية ويوجد فصحى ليس مهمتنا هي تجميد الوضع انما مهمتنا هي دفعة الى الامام بحيث تضيق المسافة بين العامية والفصحى وبحبث تتنازل الفصحى عن كثير من جلالها وتقليديتها . وترفع العامية أيضا لانه لاشك أن الفصحى أغنى من العامية ممكن أقول لك على أي معنى مثلا كلمة «الحب» وهي كلمة معروفة سنجد في الفصحى عشرات المترادفات حول الدرجات المختلفة والألوان المختلفة ، والمظاهر المختلفة لكلمة الحب بينما العامية لانها لغة استعمال يومي وليست لغة تفنن تعاني دائما من التحديد وضيق القاموس . . .

وهنا سألت السيدة سلوى حجازي : -

اية رأيك ياالاستاذ صلاح جاهين ؟

الاستاذ صلاح جاهين : -

والله الذي شايفه أنا غير كدة . . . أنا شايف في ناس عندهم فصاحة في اللغة العامية الى درجة انه في كل كلمة لها عدد أكبر من المترادفات التي في الفصحى خاصة في المساءل بتاعت الحياة اليومية .

وسألت السيدة سلوى الحجازي : -

طيب ايه رأيك لو أخذنا في كلمة الحب التي قال عنها الاستاذ صلاح عبد الصبور مرادفاته ايه قارن بين العامية والفصحى ؟

أجاب الاستاذ صلاح جاهين : -

أنا أحب أقول لحضرتك حاجة : كلمة الحب من المعاني المجردة ، والمجردات في الفصحى أغنى منها في العامية . بينما في العامية تجده في الحركات مثلا حركة مثل المشي تجدي فيها كذا مترادف أكثر منها في الفصحى نقدر نقول ان العامية حين تتكلم عن درجات الحب تستخدم ألفاظ مستعارة من الفصحى . ومع هذا أقول بصراحة في ناس أنا اطرب حين اسمعهم يتكلمون العامية المفروض أنا شاعر بيكتب بالعامية ، ولأنه ، ما فيش مراجع ضخمة كأن أرجع الى القرآن أو الكتب القديمة مافيش غير المرحوم بيرم التونسي ، اشعر بكثير من الأحيان بالاجداب . فأسافر لوالدتي واستمع اليها تتكلم بآخر فصاحة باالعامية .

أنا أرى أن الأستاذ صلاح جاهين استعمل كلمة أجداب فهو يزعم أنه يتكلم في العامية ترى لو قلنا هذه الكلمة لمن يتخاطب في العامية كل يوم والذين لا تتعدى مفرداتهم خمسماية كلمة وأقول هذا الرقم وأضع خطا تحته لأنني أحصيت بدراسة علمية قمت بها بالتعاون مع طلابي حين كنت استاذاً لعلم النفس في جامعة دمشق أحصيت كلمات التخاطب اليومي فإذا بها لا تعدو خمسماية كلمة أن كلمة اجداب لا يستعملها العامة . لكن صلاح جاهين اضطر أن يستعملها ليوصل الينا معنى من المعاني ، لا يستطيع أحد من العامة أن يبلغنا اياه بشكل من الاشكال .

صلاح جاهين :

اسمح لي سيادتك . . . أنا سبق اني قلت قبل شويه أن المجردات

موجودة في الفصحى أكثر . . . وإن العامية حين تريد أن تتكلم عن المجردات بتستعير من الفصحى ولكن في حاجات ثانية ، الفصحى ما تقدرش تتكلم فيها بدليل أن بعض الناس حين يريدوا أن يكتبوا يضعوا بين قوسين بعض التعبيرات العامية التي لا يمكن اطلاقاً أن نجدها في الفصحى . . .

صلاح عبد الصبور :-

لا شك أن الفصحى تعاني أيضاً من ظاهرة تجمد بعض الفاظها . أو كثير من الفاظها ذهبت دلالتها من عدم الاستعمال ومهمة كتاب الفصحى أيضاً هي احياء هذه الالفاظ واعطائها الدلالات . والمهمة يجب أن يقوم بها هذا الجيل من الادباء . هي اعطاء هذه الالفاظ دلالالتها من جديد . المثال الذي كان يقوله الاستاذ صلاح جاهين عن درجات المشي في اللغة الفصحى في الواقع لو رجعنا إلى أي قاموس سنجد أن هناك عشرين أو ثلاثين نوع للمشي للرجل فقط وعشرين أو ثلاثين نوع من المشي لكل من فصائل الحيوان . . . ولكن لا نستطيع أن نقول أنها جميعاً الآن الفاظ ميتة مهمة الكاتب الحديث ليس أن يتفاصح فيها إنما عندما تدعو الحاجة إلى استعمالها أن يحييها مرة ثانية من القاموس وهذا كان يعمله المرحوم المازني ويعمله الآن الدكتور حسين فوزي في مقالاته ونجيب محفوظ احياء لبعض الالفاظ .

الدكتور دروبي :

إذا تكرمتم اسمح لنفسي بأن نجري تجربة أمام المشاهدين . . . الاستاذ صلاح جاهين يزعم أن هناك مفردات في اللغة العامية تعبر عن درجات المشي وأنواعه تعجز الفصحى عن أدائها فليقل لنا ما هي تلك الكلمات . والأستاذ صلاح عبد الصبور زعم أيضاً مخطئاً في رأيي أن الكلمات التي تعبر عن درجات المشي المختلفة هي ميتة أنا أزعم خلافاً لرأييهما كليهما أن كل كلمة يمكن أن يأتني بها الآن الاستاذ صلاح جاهين زاعماً أنها تعبر عن لون من ألوان المشي لا تفي بالتعبير عنه اللغة الفصحى أستطيع الآن . . . الآن . أن آتي له بكلمة مقابلة من اللغة الفصحى التي تفهمها العامة ، وأنا القي القفاز متحدياً . . . .

صلاح جاهين :-

أنا شخصياً أمام الدكتور سامي الدروبي طبعاً بتلجلج زي التلميذ البليد لو أنا ما كنتش في الموقف العصيب ده كنت جبت كلمات كثيرة جداً وطبعاً المرجع الأساسي لي هو والدتي مثلا تقول لي والدتي «ياواد ما تستندلش كده» . يعني «لا يمشي ويقف ويلتفت ويتفرج» وهذا اسمه في العامية يستندل .

الدكتور سامي الدروبي : -

وهذا في الفصحى يقال لا تتسكع . . . لأن التسكع هو السير يمنة ويسرى وإلى الأمام وإلى الوراء ثم التوقف والالتفاف . والنظر هنا وهناك . . . .

صلاح جاهين : -

طيب لفظه بتمد . . .

الدكتور دروبي : -

استعجل . . غزى الخطى . . . أسرع في سيره . . .

صاح جاهين : -

لكن بتمد أحلى .

الدكتور دروبي : -

أحلى ؟ ومن الحكم ، أنا أقول أسرع . . ثم نحن الآن لسنا بصدد المناقشة في استعمال العامية في لغة التخاطب اليومي . نحن بصدد استعمال العامية في الشعر أنت شاعر تنظم في اللغة العامية . وأمامك الشاعر صلاح عبد الصبور ينظم باللغة الفصحى نحن نناقش هذه المشكلة لا بالنسبة إلى لغة التخاطب اليومي فلك أن تخاطب أمك باللغة التي تجيدها ولك أن ترد على أمك باللغة التي تجيدها وأنت تجيد الفصحى خيراً مني بطبيعة الحال . ولكن أنا اسألك هل من الضروري جداً إذا نظمت شعراً أن تقول يتسندل بدل أن تقول تتسكع ؟

صلاح جاهين : -

أنا كشاعر أختار كلمة اتسكع لأنني أحب اللغة الفصحى في الواقع .

الدكتور دروبي :

الموضوع المثار هو استعمال اللغة الفصحى واللغة العامية في الاعمال الفنية والادبية ولما دعوتك ودعوت الاستاذ عبد الصبور ضيوفا لهذا البرنامج لانك تنظم بالعامية ولأنه ينظم بالفصحى أما لغة التخاطب فلك مع والدتك كما تشاء كما قلت لك .

صلاح جاهين : -

أنا أعتقد أن اللغة هي الشيء الذي في اللسان . . . فالفرنسي مثلا أمه بتعلمه فرنساوي يطلع يكتب شعر بالفرنساوي طيب ليه أنا أتحرم من الكتابة باللغة التي علمتني إياها أمي ، ايش معنى كل شعوب العالم يكتبوا شعرا باللغات التي علمتها لهم أمهم وأنا لا ؟

الدروبي : -

هذا غير صحيح فأنا أقول لك وأنت تضرب مثالا بالفرنسية ان المسافة كبيرة جدا جدا بين اللغة الدارجة التي يتكلم بها الفرنسيون في باريس وبين لغة الشعر التي يكتب بها رانبو وغيره من الشعراء .

ثم إن القضية ليست قضية لغة فقط وإنما هي قضية لغة وفكر . والفكر لا يمكن أن يكون عاميا . لغة العامة وفكر العامة محدوده كما قلت وهذا مستنتج من دراسة قمت بها في جامعة دمشق كما سبق وذكرت لأن المفردات التي تتخاطب بها العامة لا تتجاوز الخمسمائة كلمة فهل تستطيع بهذه الكلمات المحدودة أن تعبر عن فكرك الفني الذي يبحث عن لطائف الخلافات بين الفكر والاحوال النفسية فلنضرب مثالا أشار إليه صلاح عبد الصبور بأن اللغة الفصحى غنية بالفاظ لا أول لها ولا آخر من أجل التعبير عن حالات النفس والفروق اللطيفة الدقيقة التي بينها لنأخذ مثلا معنى الحزن . . . ولننظر في المفردات في اللغة الفصحى . . . .

صلاح جاهين : - يا سلام في الاحوال دي . يا سلام في العامية كثيرة جدا مثال : متعكنن . . . متقريف في الحزن . . . مزقطط . . . مفرفش . . . في الفرح أهو أربع ألفاظ .

الدكتور الدروبي :- نحن الآن أمام تجربة أنا أقول لك مثلاً وهذا ما يحضرني الآن الحزن ، والشجن ، والاسى ، والكآبة ، والشجو ،

والكمد ، واللوعة ، والحسرة ، هذا ما يحضرني الآن وإذا رجعت إلى لسان العرب فأنا قادر على أن آتيك بمئة كلمة على الاقل تعبير عن معنى الحزن وليست مترادفات فكل واحدة منها تعبر عن حالة نفسية خاصة من الحزن . نهايته حتى لا نسيء استعمال الوقت أقول أنا واثق أن المستقبل للغة العربي الفصحى أن زوجتك اليوم تتكلم خيرا من أول ، وأولادك سيتكلمون الفصحى خيرا من زوجتك وهكذا بحكم انتشار الثقافة وزيادة التعليم .

سأقول كلمة عن الشاعر صلاح جاهين الذي أؤمن بأنه مجموعة مواهب لاحصر لها أنا يحزنني كثيرا أن أبناءنا وأحفادنا لن يتمتعوا ويتذوقوا ويقراؤا شعر صلاح جاهين ولكنهم سيقرأون شعر صلاح عبد الصبور جاهين لا يقل شاعرية عن أي شاعر آخر .

صلاح جاهين : ـ ده سبق أن قلت في المجادلة التي كانت على صفحات مجلة المصور بيني وبين الاستاذ صلاح عبد الصبور . أنا سايب لكم خلي الخلود لكم ونحن ناس غلابة .

الدكتور سامي الدروبي : ـ

أنا لا أتحدث عن خلود صلاح جاهين لا من قريب ولا من بعيد وإنما يهمني أجيال الامة العربية أن تحرم من شعر رائع كتبه صلاح جاهين .

صلاح جاهين : ـ احنا بنكتب بالعامية لنخاطب بعض الجماهير وبنعبر عن احساسات لا يمكن أن نعبر عنها بالفصحى ، ونحن نحس أن هذه الاشعار هي زى الطبقات الموجودة في أساسات السد العالي وهذه لا يراها إلا السمك .

فأنا لا يهمني أن يقرأ شعري بعد خمسين سنة . وإنما يهمني أن يلعب شعري الآن دور تطوير في اللغة . . . وجعلها تقترب من الدرجة التي سيادتك تتكلم عنها لن تستطع المخاطبة تتطور وتصل إلى الفصحى إلا إذا كتب في العامية يوميا . وأثريت يوما بعد يوم ، واستعارت الالفاظ واستعارت الاخيلة والصور وهذا النوع من العمل هو المفيد .

الدكتور سامي الدروبي : ـ

أظن أن الخطأ الاكبر هو هذا الظن بأن الشعب لا يفهم الفصحى أوكد

لك أن الشعب يفهم الفصحى مثل ما يفهم العامية . كما أوكد لك من لايستطيع أن يفهم الشعر الفصيح سيعجز أيضا عن فهم شعرك العامي . ولي تجربة علمية إحصائية قمت بها حين كنت أستاذاً بجامعة دمشق حين ترجمت نصوصا أدبية منها نثراً ومنها شعراً . وعرضتها على عينات من المجتمع الذي يقال أنه عامي . فتيقنت بطريقة علمية إحصائية أن من لا يفهم النص الفصيح لم يفهم أيضا النص المترجم إلى العامية . ذلك لان شعرك هو فكر وليس ألفاظا فقط . والعامي الذي لا يملك الفكر القادر أن يرقى به إلى مستوى الجمال الفني في شعرك لن تساعده اللغة العامية لاستساغة هذا الشعر . . .

أنا أرغب أن أقول لسيادتك أنني لا أكتب فقط بالعامية بل أكتب باللغة الفصحى أيضا . . .

الدكتور دروبي :-

لي تعقيب أخير في هذا الموضوع : ان وحدة الأمة العربية قائمة على وحدة لغتها . والاستعمار الذي لا يخشى شيئا كما يخشى وحدة الأمة العربية والذي يغذي تبعا لذلك النزعات الاقليمية بجميع الوسائل يهلل ويطرب للاصوات الداعية الى اصطناع العامية ، والتنازل عن هذه المقومة الكبرى من مقومات وحدة الأمة العربية . . .

قبل أن أتابع تفريغ هذا الشريط أتوقف قليلا وأذكر مايلي :-

في اليوم التالي لافتتاح المبنى الجديد لجريدة الاهرام حدثنا صديقنا الأستاذ أحمد بهاء الدين قال :

حين افتتح الرئيس عبد الناصر مبنى الاهرام وحين اجتمع مع هيئة التحرير التفت الى الأستاذ صلاح جاهين وقال له :-

ايه يا أستاذ صلاح أنا سمعت مناقشتك مع الدكتور الدكتور الدروبي في برنامج شريط تسجيل ، لقد صعبت عليّ في مناقشتك هذه رغم ماعرف عن طول لسانك . . .

فأجابه الاستاذ صلاح جاهين :-

سيادة الرئيس دي مبارزة غير متكافئة . . . ده سامي الدروبي قاموس

بحاله . . .

ضحكت هيئة التحرير المجتمعة مع السيد الرئيس .

أعود لأتابع تفريغ شريط التسجيل فالى الفقرة التالية :

السيدة سلوى حجازي :ـ

حضرتك أضفت شخصية الفنانة الكبيرة سهير بابلي .

الدكتور سامي الدروبي :ـ

عندنا الآن السيدة سهير البابلي . . . وقد مثلت باللغة العامية . . . ومثلت باللغة الفصحى . . . وأريد أن أحتكم اليها بكل بساطة بعد أن احتكمت الى جمهورها فقد حضرت مسرحيتها آه ياليل ياقمر باللغة العامية . . ومسرحيتها الأخيرة بلدي يا بلدي تكلمت بها باللغة الفصحى ولقد رأيت الأكف أكف الجماهير تلتهب تصفيقا من باب التعبير عن الاعجاب الهائل من قدرتها الرائعة على التمثيل فأريد أن أحتكم اليها والقي عليها السؤ ال التالي :

هل أحست وهي تمثل باللغة الفصحى أن هذه اللغة عائق يحول بينها وبين ما كانت تريد الافصاح عنه من تنغيم الصوت ، وتلوين الكلام وتعبير الوجه وحركات الجسم أيضا ، أم أنها أحست أنها تقدر فعلا أن تعبر عما تريد التعبير عنه بالفصحى والعامية بدرجة واحدة .

السيدة سهير البابلي :ـ

للغة العربية الفصحى ميزات أنها تطرب الوطن العربي كله ولكنها تتطلب مني جهدا أكبر مما تتطلبه مني حفظ مسرحية مكتوبة باللغة العامية . مثلا يكفيني قراءة نص بالعامية مرة أو مرتين بينما عليّ أن أبذل اضعاف هذا الجهد مع نص باللغة الفصحى لألين نطقي وحركات يدي وحركاتي كلها بصورة عامة . وان احترامي لتلك اللغة خاصة اذا كان النص من التراث فان الجهد يكون أكبر بكثير . . . ولا أكتم أن مردود هذا الجهد يكون رائعاً كما سبق وقلت حين يصفق لي الجمهور على مستوى الوطن العربي كله ، لا فقط على مستوى مصر كما هو في اللهجة العامية المحلية . . .

ويوجد نقطة أخرى أن هناك مواقف مختلفة كل موقف تصلح له لغة أخرى غير اللغة التي تصلح لموقف آخر . وكل شخصية يجب أن تتكلم بلسانها

ولا تنطق بلسان مستعار مثلا حتى لو كنت أمثل باللغة الفصحى فاذا ما تكلمت مع الخادم . فان رد الخادم سيكون بدون شك باللغة العامية أو باللغة العربية الأقل فصاحة . . .

وملاحظة أخيرة . . . أقول ان حكم الجمهور يكون على قدرة الممثل في أن يتقمص دوره ويعبر عن المعاني وعن العواطف التي يريد التعبير عنها ويريد توصيلها الى الجمهور سواء بالعامية او بالفصحى وكم من مرة سمعنا الجمهور يصرخ طربا الله . . . سواء كان التمثيل بالعامية أو بالفصحى . . .

السيدة سلوى حجازي :-

هل نستطيع أن نختم هذا الموضوع ؟

الدكتور سامي الدروبي :-

لم يستنفذ طبعا كل جوانبه . . . لكننا نخضع لدكتاتورية السيدة سلوى حجازي .

السيدة سلوى حجازي :-

آسفة يادكتور دروبي اننا نخضع لدكتاتورية الوقت . رغم أنني لاحظت أنك تحب ان تتعمق بالموضوعات التي تطرحها بشكل عام ولكن الوقت دكتاتور صارم

الدكتور دروبي يستضيف السيدة فريدة فهمي نجمة الرقص الشعبي .

سامي الدروبي :-

قد يكون الموضوع أكثر غنى وتنوعا من ان يقتصر على الرقص الشعبي في الحقيقة ان السيدة فريدة فهمي قد وثبت بالرقص في بلادنا وثبة جديدة وكبيرة بعبقريتها الخلاقة ومواهبها الفذة ينبغي أن أمهد في الواقع للحوار الذي يمكن أن يدور بيني وبين السيدة فريدة فهمي أو بالأسئلة التي يمكن أن أطرحها . يقول الشاعر الفرنسي(Paul Valiri بول فاليري في المحاضرة التي القاها عن الرقص وهي أجمل ما كتب في الواقع عن الرقص حتى الآن وطبعا لم أعرض الآراء التي وردت في تلك المحاضرة ولكنني أكتفي بأن أذكر أن بول فاليري(Paul Valiri قال :- ان الرقص تعبير أن الرقص شعر أن

الرقص هو من الحركات العادية بمثابة الشعر من النثر . فاذا كان النثر يعبر عن الأشياء اليومية . فان الشعر ينفذ الى أعماق الحياة وبهذا المعنى استطيع أن أقول أن رقص السيدة فريدة فهمي يرتقي فعلا الى مستوى الرقص المعبر عن اعماق الحياة والكاشف عن المعاني المترقرقة وراء الظاهر . فهي حين ترقص تحس أنها تعبر ونحن الذين شهدنا رقصها كنا نشعر دائما أن هناك معاني ومشاعر وعواطف تؤ ديها بحركات يديها وساقيها وجسمها كله . ولكن لأن الحياة متنوعة فكذلك الرقص متنوع فهناك الرقص البلدي والرقص الفلوكلوري - والرقص التعبيري والرقص الباليه فالرقص البلدي الذي يعبر عن جانب من جوانب الحياة هو الغزائز وربما كان يعبر عن بعض الغرائز خاصة مايسمى برقص هز البطن . وهنا أطرح هذا السؤ ال هل في الرقص الذي يسمى بالرقص البلدي معرفة وتعبير ؟ جوابي نعم . . . هو معرفة وتعبير ولكنه فقير فقر الجانب الذي يتناوله من جوانب الحياة الثرة الغنية . . . هو يغترف من بعض الغرائز الانسانية ، بل من بعض جوانب غريزه واحدة من الغرائز الانسانية ، الغريزة الجنسية . لذلك فان قيمته محدودة بحدود الجانب الضيق الذي يتناوله من حياة الانسان . ويظلم حين يتهم ولكنه يَظلم ولا يُظلم حين يكون ، في مجتمع من المجتمعات الرقص الوحيد . . . وحين يطغى على كل رقص عداه . ومن هنا كانت رقصات فريدة فهمي التي تذكر بالرقص البلدي أعلى في مقياس المعرفة والتعبير من رقص الراقصات العاريات وهنا تكمن عبقرية فريدة .

وهنالك الرقص الفلوكلوري الذي هو رقص جماعي والذي يعبر عن قوة الجماعة وتماسكها كما هو في رقصة الدبكة في سوريا .

أريد أن أوجه بعض الاسئلة للسيدة فريدة فهمي وهي ترقص الآن رقصا نسميه شعبيا هذا الرقص الشعبي قد استمدت بعض عناصره من رقصات موجودة في واقع الحياة يرقصها الفلاحون في بلادنا . ولكن يخيل الى أن عناصر الاقتباس من واقع الحياة في هذه الرقصات قليلة زهيدة وان عملية الخلق أكبر من عملية الاقتباس . وغير هذا نجد في رقصة الدبكة السورية . مثلا فيها استمداد مباشر من الحياة فالقرويون في سوريا يرقصون الدبكة .

وقد انتقلت من الحياة الى المسرح هذه الرقصة . في حين رقصات فرقة رضا ان كانت تستمد من واقع الحياة بعض عناصرها فعنصر الخلق والابتكار يخيل اليّ أنه أكبر اليس كذلك ؟

السيدة فريدة فهمي :- محمود رضا يأخذ كثيراً من خطوات البيئة من الرقصات فان هذه الخامة وأقدرها فقط بـ ٢٥٪ يجب ان يعمل لها عملية خلق حين ينقلها الى المسرح مهما تكن هذه الخامة غنية بالحركات والخطوات فان هذه الخطوات حين تؤخذ الى المسرح يجب ان يعمل لها عملية اغناء واثراء وتهذيب وتشذيب وتجديد وتشكيلات وهذا ما تسميه حضرتك عملية خلق وابتكار . وعلى كل في رقصات ورقصات فمثلا رقصة النوبة بها عنصر الاقتباس قوي جدا وكذلك عنصر الإثراء والاغناء والتهذيب قوي أيضا .

الدكتور دروبي :-

سؤال آخر يتصل بالسؤال الأول فيما يتعلق بالدبكة نقلت من الحياة الى المسرح مع اغناء واثراء وتطوير فهل تتصورين أن الرقصات التي استنبتموها واستنبتم بعض عناصرها من واقع الحياة وأضفتم اليها أشياء كثيرة وخلقتموها خلقا جديدا وقدمتموها للمشاهد على خشبة المسرح هل سيتاح لهذه الرقصات أن تنتقل الى الحياة فيرقصها الناس ؟

السيدة فريدة فهمي :-

اذا كنت تقصد حضرتك الناس بالقاهرة فهذا صعب شويه أما في جميع الاقاليم فان كل الناس بالأقاليم يرقصون رقصات جماعية . . . قد تختلف عن رقصة الدبكة ولكن هناك مجاميع من الناس في الصحراء الشرقية والغربية يرقصون رقصة الدحيه . . . والحجالة . . . والكشافة كلها رقص جماعي . . . وفي الصعيد يوجد رقصة التحطيب . . . يشترك بها كل أهل البلد ليس فقط جماعة قليلة .

الدكتور سامي الدروبي :-

أنا اطلعت الأن عن شيء كنت أجهله في الواقع وكنت اظن العكس ، كنت أتصور عامل الخلق والابتكار في الرقصات التي تقدمونها اقوى كثيرا

من عامل الاقتباس .

السيدة فريدة فهمي :-

مثل ما قلت لحضرتك حسب الرقصات مثلا رقصة تابلوه العرق السوس . هنا يأخذ محمود شخصية بائع العرق سوس : يخلقها خلقا جديدا بالحركة والايماء والتعبير .

الدكتور دروبي :-

أنا أميل الى الاعتقاد بأن الرقص الذي تقدمونه يجب أن يدرج في صنف الرقص التعبيري . أكثر من أن يدرج في صنف الرقص الفلوكلوري ، هناك أخيرا رقص الباليه وهو الطرف الأقصى من أنواع الرقص ، وهو مايعبر عن صبوة الانسان وشوقه الى التسامي والعلو والتحرر حتى من جاذبية الأرض والسمو الى أعلى نحس ونحن نشاهد راقصات الباليه أنهن يحاولن التحرر من جاذبية الأرض ويرتقين الى أعلى . . .

اعزروني وأنا اسمع كلام زوجي سامي هذا اذا انتقلت بي الذاكرة الى عام ١٩٥٧ حين دعينا سامي وأنا الى موسكو وكان رئيس الجامعة السورية الدكتور شوكت القنواتي رئيسا للوفد الجامعي ومثل كل من كليات الجامعة استاذ من تلك الكلية .

دعينا الى مسرح البولشوي لمشاهدة عرض بالية . وجلس زوجي الى يسار الدكتور قنواتي وجلست أنا بجواره . وكنت اسمع تعليق سامي واعجابه واندهاشه بقدرة الراقصين والراقصات ولكنني كزوجة حين سمعته يحدث الدكتور القنواتي (في الإستراحة) عن رشاقة الراقصات التي استطاعت التحكم بالجاذبية الارضية والتحرر منها مسني تيار الغيرة فقرصت زوجي من ذراعه . فأحس ما اعتمل بنفسي لم يلتفت اليّ بل تابع حديثه قائلا : «يخربيتهم شو دبب» .

الدكتور الدروبي : يسعدني ان أقدم العازف الموهوب الفنان رمزي يسه وأريد أن القي عليه بعض الاسئلة اذا تكرم بالاجابة عليها يكون مشكورا . . . طبعا هنالك الاغنية . وموسيقى الخفيفة موسيقى الحجرة والموسيقى السمفونية بعض الأوساط تصم آذانها هنا في بلادنا دون سماع

هذه الموسيقى زاعمة أنها ليست موسيقانا وانما هي موسيقى غربية فلا نستطيع ان نسمعها ولا نفهمها ولأنهم يصمون آذانهم لا يستطيعون أن ينفذوا الى هذا العالم الفني الواسع مع أنه لو فتحوا قلوبهم وفتحوا آذانهم لاستطاعوا أن يلجوا هذا العالم الفني وأنا في اعتقادي ان الموسيقى السمفونية ليست موسيقى غربية بل هي موسيقى انسانية ويستطيع أي انسان ان يفهمها اذا كان قد أوتى قدرة على قدرة التذوق الموسيقي والفهم الموسيقي . الغربيون انفسهم ليس كلهم يستطيعون أن يطربوا للسينفونيات . اذا حتى الغربيون بعضهم لا تستسيغ آذانهم الموسيقى السينفونية العميقة لفقر في نفسهم وذوقهم للموسيقى . . . أظن أنني استطردت وخرجت عن الموضوع مع أنني أريد أن أطرح سؤالا دقيقا على الفنان الموهوب الاستاذ رمزي يسه . . . ما رأيك في المحاولات التي قام بها بعض الموسقيين هنا من أجل انشاء موسيقى سينفونية مستمدة من بعض الالحان الفلوكلورية مثل محاولة المرحوم أبو بكر خيرت هل تعتقد أنه ارتقى في محاولته هذه لمستوى الموسيقى الانسانية التي تستسيغها أذن العالم كله المؤهلة موسيقيا .

يؤسفني أنني لم أستطع أن انقل جواب الفنان رمزي يسه لعدم وضوح صوته ربما كان بعيدا عن الميكرفون . لذا سمحت لنفسي أن أطرح هذا السؤال على الفنان الموهوب الاستاذ صلحي الوادي فاجابني :-

الدكتور أبو بكر خيرت محاولته هذه ارتبطت في علوم موسيقية قد تعتبر في يومنا هذا مضى عليها الزمن اي بمعنى آخر ليست عصرية . مع أنه أنا شخصيا أقدر محاولاته لانها تحاول أن تضع بلهجة عالمية ما هو محلي الا انه يبدو أن اطلاع الدكتور ابو بكر خيرت على مدارس القرن العشرين العالمية كان محدودا فلذا لم تتحدث موسيقاه بلهجة القرن العشرين .

وعلى ذكر موسيقى أبو بكر خيرت اذكر في أيام الوحدة في عام ١٩٦٠ كان سامي الدروبي مديرا عاما بوزارة الثقافة المركزية في القاهرة وكان عضوا في الهيئة العامة للعلوم والفنون والأدب وقد رشح بعض الفنانين من موسيقيين وادباء لدراسة انتاجهم ولاعطائهم جوائز تقديرية وتشجيعية . ومن جملة من

رشح الدكتور أبو بكر خيرت . وقد اعترضت السيدة أم كلثوم وكانت عضوا في اللجنة الموسيقية على ترشيح الدكتور أبو بكر خيرت لأخذ الجائزة التقديرية بحجة انه يؤلف في موسيقى غربية ليست موسيقانا .

لكن سامي الدروبي اعترض على اعتراضها قائلا :ـ

الدكتور أبو بكر خيرت أعطى شيئاً يستحق التقدير ويجب أن لا نتعصب للموسيقى الشرقية فنصم آذاننا عما عداها والحقيقة أن لكل لون من ألوان الموسيقى دورها ووظيفتها . ويوجد في الجيل الجديد اعداد كبيرة معجبة ومتعصبة للموسيقى السيمفونية وأنا أرفض كذلك أن نستخف بما عداها من الوان الموسيقى .

لكن أم كلثوم انفعلت وقالت لسامي :ـ

انا افهم الموسيقى أكثر منك . . .

فأجابها سامي الدروبي :ـ

لا غرابة أفهم علم النفس أكثر منك ولا أحد ينكر أنك بطلة في ميدانك ولكن هذا لا يعني أن لا يكرم الدكتور أبو بكر خيرت لأنه لم يؤلف بالموسيقى الشرقية . وقد قدر وكرم عالمياً فيجب أن تكرمه بلده . ومن الظريف أنه في صبيحة اليوم التالي قرع بابنا باكراً جداً . . . وإذا بالقادم الدكتور أبو بكر خيرت . ضم سامي إلى صدره وقد اغرورقت عيناه وقال له :

دكتور دروبي أنا علمت ما حصل أمس بالاجتماع ولم أنم هذه الليلة . واعزرني أنني ايقظتك لكنني رغبت أن أحضر أولاً لا شكرك من قلبي وثانياً لارجوك أن لا تتحمس وتعادي «الست» ويقصد السيدة أم كلثوم أحسن يحبسوك .

أجابه سامي :ـ لقد قلت قناعتي وما زلت مصراً عليها . ما قيمة الحبس مقابل كلمة الحق . . .

وعلى عكس تقدير الدكتور أبو بكر خيرت . لقد أخذ برأي سامي فكرم الدكتور أبو بكر خيرت وأخذ جائزة تشجيعية . ولم يحبس سامي الدروبي كما صور لهم أن من يقول كلمة حق يسجن .

أعود لاتابع تفريغ شريط التسجيل وقد وصلنا إلى الشعر الحديث والشعر القديم .

نستضيف الآن الشاعران الموهوبان يمثلان الاتجاهين في الصراع هما الشاعر عبد الرحمن صدقي والشاعر أحمد عبد المعطي حجازي .

الحقيقة أن الخلاف بين أنصار الشعر القديم وانصار الشعر الحديث متعدد الجوانب . ومن أجل أن نبرز ونعدد جوانب هذا الخلاف يمكن أن نشير إلى جانبين على سبيل المثال ، هما جانب الموضوع ، وجانب الشكل . فمن جانب الموضوع يمكن أن يكون الصراع بين أنصار القديم وأنصار الحديث صراعاً بين من ينتمون إلى المدرسة الكلاسيكية وبين من ينتمون إلى المدرسة الرمزية مثلاً أو المدرسة السريالية .

أما من جانب الشكل فالصراع هو صراع على النظم . . . كيف يكون ؟ بتعبير آخر : إن الصراع هنا هو صراع حول العروض .

فأما أنصار القديم فيلتزمون في النظم ، بالنسبة إلى الشعر العربي ، بالقواعد التي استخرجها الخليل بن أحمد الفراهيدي . فهم ينظمون على أبحر الخليل ، وعلى أوزانه ، وهم يرفضون الخروج على قواعده العروضية ويرون أن الموسيقى الشعرية لا تتحقق إلا بالتزام هذه القواعد المقدسة . وأما أنصار النظم الحديث فهم يرون أن هذه القواعد ليست مقدسة ، ويمكن الخروج عليها ، بل يجب الخروج عليها ، فمن الممكن أن يكون الشعر موسيقياً مع تحلله من قواعد النظم التقليدي ، بل من الممكن أن تكون موسيقاه أغنى وأوقع في الأذن حين يتحلل من تلك القواعد .

والحق أن هذين الجانبين ، جانب الموضوع وجانب الشكل اللذين هما من جوانب الصراع بين مذاهب الشعر الحديث ومذاهب الشعر التقليدي ، مرتبطان ارتباطاً ما ، بل هما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً . فالشعراء الذين تحللوا من قواعد العروض الكلاسيكي الصارمة ، يرون أن هذا التحلل ضرورة اقتضاها تطور المادة الشعرية نفسها ، تطور الموضوع الشعري نفسه ، فالمشاعر التي يعبر عنها الشاعر الحديث أوسع وأغنى وأحفل من أن يمكن سجنها في أطر النظم التقليدية الضيقة ، فإذا أصررنا على أن نودعها في تلك

الأطر كنا نخنقها خنقاً ، وكنا نخونها ، وكنا نعجز عن الافصاح عنها بأمانة .

أعود فأقول أن الخلاف بين أنصار الشعر الحديث متعدد الجوانب ، ولا نستطيع في هذا المجلس أن نناقش جميع هذه الجوانب ، وقد اخترنا أن نقتصر على مناقشة جانب الشكل الشعري ، جانب النظم ، جانب العروض .

وينبغي أن نشير إلى أن العروض الحديث لم يتحلل من جميع قواعد النظم الكلاسيكي ، وإنما تحلل من قاعدتين أو كسر قاعدتين هما عدد تفاعيل البيت وشطرها شطرين متساوين هما الصدر والعجز ، ووحدة القافية في القصيدة . فالشعر الحديث ما يزال يلتزم التفعيلة وحدة لموسيقية الشعر ، ولكنه لا يجعل عدد تفعيلات البيت واحداً إلا مشطوراً في القصيدة كلها ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فالشعر الحديث ينوع القافية في القصيدة الواحدة ، بل لا ينوعها فحسب ، وإنما هو يصرفها تصريفاً فيه كثير من الحرية .

هنالك تعصب : فالتقليديون ، أن صحت هذه التسمية يلعنون الشعر الحديث كله دفعة واحدة ، وبعض الشعراء المجددون يتورطون ، من باب الدفاع عن النفس ، في ما يشبه بالغاء كل شعر ما يزال يتمسك بعمود الشعر . وهؤلاء وأولئك يصمون آذانهم عن نفحة الشعر في الشعر أيا كان العروض الذي يصطنعه هذا الشعر ولو فتحوا آذانهم لنفذت منها إلى قلوبهم نفحات شعرية علوية ، رغم اختلاف العروض .

إن بين كلا الفريقين شعراء حقيقين ، وإن بين كلا الفريقين أناساً لا شأن لهم بالشعر .

بين المحدثين من يتوهمون أن رصف الالفاظ على نحو من الانحاء فيما يشبه البهلوانية العابثة شعر . وما ذلك بشعر . هؤلاء يتسلقون على الشعر ، وما هم منه في شيء . . . وبين أدباء نصرة العمود نظامون لا شعراء ، يتوهمون كذلك أن مجرد ايداع الألفاظ في بحر طويل أو خفيف أو وافر أو رجز أو ما إلى ذلك من أبحر الخليل يخرج شعراً ، مهما يكن كلامهم فارغاً أجوف لا يعبر عن خلجات قلب أو ومضات فكر ، وما هذا من الشعر في

شيء .

والصحيح أن نفرق بين قديم وحديث في الشعر من ناحية العروض إلا حين نعلم ذلك للتلاميذ في المدارس ، فأما أن نضع الاثر الشعري في ميزان القيمة الشعرية ، فإنما المعيار لذلك شاعرية الشعر أيا كانت طريقة نظمه ، فلا نرفضه أو نقبله لمجرد أنه يلتزم العمود ولا نرفضه أو نقلبه لمجرد أنه يتحلل من العمود ، وإنما نقبله لأنه شعر ، ونرفضه لأنه ليس شعراً .

وقد استضاف الاستاذ الفنان صلاح طاهر وتحدث معه عن الفن التشكيلي فقال :-

هنالك حوار أصبح مشهوراً بين بيكاسو وبين أحد الذين شاهدوا أعماله :-

يامسيو بيكاسو ماذا تريد أن تقول في هذه اللوحة ؟

بيكاسو :- لا شيء أنا أريد أن أقول شيئاً .

المشاهد :- أقصد ما الذي تريد أن تعبر عنه ؟

بيكاسو : لا شيء ! لا أريد أن أعبر عن شيء

أنا لا أعبر أنا لا أخلق ، أنا أوجد شيئاً لم يكن موجوداً .

لا شك أن بيكاسو في هذا الحوار قد أفصح عن ماهية الفن التشكيلي الحديث . والذي يعكس روح العصر الميالة إلى السرعة .

وكان آخر الضيوف على شريط التسجيل الشاعر والمخرج والكاتب والممثل هذا الفنان الموهوب وليس يملك موهبة الفنان فقط ولكنه يملك مزاج وطبع الفنان لذا يلقى كثيراً من المصاعب وانني واثق أن موهبته الخارقة سوف تذلل كل مصاعب تعترضه .

إنه الفنان نجيب سرور وأريد أن اناقش مع الاستاذ نجيب مشكلة حارة قامت بينه وبين المخرج لمسرحيته آه ياليل يا قمر المخرج الاستاذ جلال شرقاوي .

إن الخلاف أبدي ، وقائم في جميع بلاد الدنيا . قلما يرضى مؤلف عن اخراج مسرحياته ولكن قد يحدث أيضاً أن يبلغ اعجاب المؤلف بالمخرج حداً كبيراً .

ومشكلتنا أن الشاعر نجيب سرور كتب تلك المسرحية المستمدة من أسطورة شعبية قد تكون مأخوذة من الواقع وأجاد كتابة هذه المسرحية .

والجماهير في القاهرة والجماهير في دمشق بل استطيع أن أقول أن الجماهير العربية صفقت لهذه المسرحية طويلاً ، وأعجبت بها تأليفاً مسرحياً ، وصياغة شعرية أيضاً .

المشكلة التي قامت بين المؤلف نجيب سرور والمخرج جلال الشرقاوي أن المؤلف لم يرض عن اخراج الشرقاوي بدعوى أنه قد أدخل عنصراً ميلو درامي في مسرحيته لم يكن في بال المؤلف حين كتب تلك المسرحية ، وكما سبق وقلت أنه قلما يرضى مؤلف عن المخرج لعمله الفني وقد يقوم صراع أو يقع صراع حاد بين المؤلف والمخرج كما هو الآن في هذهِ المسرحية . «آه يا ليل يا قمر» .

أنا شخصيا رأيت مسرحية هملت يمثلها لورانس أوليفيه ويخرجها . ورأيت مسرحية هملت يخرجها ويمثلها أيضا هستري جاروك في باريس ورأيت هملت تخرج فيلما روسيا . ورأيت هملت تمثلها فرقة يوغسلافية في مدينة دوبروفنك منذ ثلاث سنوات . ولا أظن أنني أكون مبالغا اذا قلت أن هذه التأويلات الأربعة للمسرحية الواحدة كانت مختلفة كأنني أمام أربع أعمال مسرحية لا مسرحية واحدة . قد يقول لي نجيب سرور أن شكسبير قد مات ولا يمكن ان يكون حكما ولا يمكن أن يستشار ولا أن يكون له القول الفصل ومن حق المخرج أن يفهم مسرحيته على النحو الذي يتصوره فلو كان المؤلف حيا لكان له قول الفصل قطعا ولربما عمد الى أن يطعن بالسكين الشخص الذي يخون مسرحيته ويخون تصوره والمعاني التي اراد أن يؤديها . أنا شخصيا أعارض الاستاذ نجيب سرور . ذاكرا قبل كل شيء لا من باب الارضاء له ولا التملق . ان لكل عمل فني كبير هو من الغنى والثراء بحيث يمكن أن يفهم على أشكال مختلفة وبحيث يمكن ان تفجر منه معاني جديدة باستمرار . . . واذا كنا نعطي للمتفرج حق ان يفهم المسرحية على النحو الخاص به فمن باب أولى ان نعطي للمخرج وهو خالق ، المخرج ليس مترجما بالمعنى العادي للكلمة . وعلى المخرج ان يغير . . النص

مقدس فلا ينبغي العبث بالنص ، فلايزيد كلمة أو ينقص كلمة فيما عدا هذا يجب ان يعطي حرية اخراج تصوره للنص على النحو الـذي يراه ويتصـوره للمسرحية .

النقطة الثانية : بالاضافة ان المخرج خالق فان المؤلف نفسه الخالق نفسه كثيرا ما يقف أمام عمله مدهوشا ، عمله الذي ينبع من ذاته في لحظات الالهام ويتساءل كيف خرج منه هذا . . . لماذا يقف موقف الدهشة ؟. لأن اللاشعور والتي اختمر فيه أشياء كثيرة في نفسه قد قذفت الى عالم الواقع اموراً لم تكن على سطح الوعي عند المؤلف ذاته فمن حق المخرج أن يغوص الى تلك الأعماق فيكشفها وأن يبرزها . . . الخالق كثيرا ما لايعي ما أراد أن يقول وقد حدثنا كثيرا من الشعراء عن مثل هذا .

أنا رأيت مشهدا من مسرحية «آه ياليل ياقمر» من اخراج الاستاذ كرم مطاوع باسم «يابهية وخبريني ، ولقد أعجبت كثيرا جدا بتأويل المخرج كرم مطاوع كما أعجبت كثيرا جدا بتأويل جلال الشرقاوي .

وأرجو الآن أن نسمع رأي الأستاذ نجيب سرور في الخلاف مع المخرج جلال شرقاوي .

الاستاذ نجيب سرور :-

الحقيقة أنا مش مختلف مع سيادتك في كل المقدمة التي طرحت وكل التحفظات التي قيلت. مش غريب أن اثنين فنانين يختلفان على تفسيرعمل فني معين . ومش غريب النزاع بين المؤلف والمخرج ، ومش غريب أبدا عملية تعدد التفسيرات المختلفة للنص الواحد بالدليل الذي حضرتك قلته عن هملت وشفت هملت في أكثر من عمل بره . هو الغريب أن الخلاف لا يكون موجوداً يعني الفن زي ما سيادتك بتقول انه من الغنى بحيث يقبل هذا التعدد في وجهات النظر . وأنا مش فاهم هو الخلاف الموجود بيني وبين الاستاذ جلال هو صراع فني مشروع وعادل وموضوعي سؤالي :- ليه استقبل على الصعيد النقدي وفي وسطنا الفني بالذات وسط المثقفين بالاستغراب ده ؟. ربما لانه الحادثة الاولى أو السابقة الأولى في حياتنا الفنية ، الاستاذ جلال الشرقاوي .

أنا أعتز جدا بالعمل بلي قدمه «آه ياليل ياقمر» . ويعتبر عمل أخلص له وأجهد نفسه جدا وكل واحد اشترك بهذا العمل أعطى أقصى طاقة . وأدوا واجبهم على قدر طاقتهم. وكان عملا رائعا وأنا معتز به. . . ولكن مافيش عمل فني رائع وجاد ممكن ما نأخذ عليه بعض المآخذ خاصة اذا أنا على مستوى النقد حملت مسؤلية ماهياش بتاعتي وهي ان «آه ياليل ياقمر» حكم عليها بعض النقاد بأنها عمل ميلودرامي . وده طبعا كان يمكن يؤدي الى أخطاء كثيرة عند بعض الجماهير والقراء . أزيد وأقول لقد اشتركت في هذه المسرحية كعضو في الكورس وكممثل خلال ثلاث شهور أثناء البروفات . وخمسة عشر يوم في العرض . وهذا يدلل على أنه ليس هناك حاجة بيني وبين الاستاذ جلال وأكثر من هذا حين أذلت نفس النص تأويلا آخر واسميت المسرحية «يابهية وخبريني .» فقد تناقشت وعرضت الأفكار مع الاستاذ جلال نفسه في أكثر من موقف في أكثر من قعده خاصة . وحين وجدت ان هذا لا يهمني أنا وجلال فقط بقدر مايهم المثقفين ورجال المسرح . ويتهم جلال نفسه شخصيا . . . وبما انني اشتركت في العرض خمسة عشر يوما هذا اليس دليلا على أنني موافق على أسلوب الاخراج او متنازل عن فكرتي بضرورة انفصالي أنا كمؤلف عن النص الذي قدمته لمخرج آخر لتولى اخراجه .

ثانيا أنا قدمت مسرحية «يابهية وخبريني» . ومسرحية «ياسين وبهية» . الى مخرجين آخرين . وأنا نفسي مخرج في نفس الوقت الذي أنا فيه مؤلف وأعتقد بحرية المخرج المطلقة في أن يعرض رؤيته الخاصة على النص هو على الجمهور ولكن هناك معايير موضوعية ، في ضوابط في فروق جوهرية ، وده الصراع الذي دار بين «يابهية وخبريني» وآه ياليل ياقمر» .

بهية يموت حبيبها ياسين وتلتقي بعد زمن من موت ياسين بأمين العامل في وابور الطحين . بتحب أمين . تفرق كثير قوي قوي أنا باعتقادي كانسان وكشاعر ان الانسان لايحب بالسهولة ده ولاينسى بالسهولة حب كبير قوي بالسهولة هذا كان جوهر الصراع في الفصل الأول بالذات هل بهية نسيت ياسين أو بتحاول تنساه تفرق كثير قوي على المستوى الفني .

الدكتور سامي الدروبي :ـ أنا رأيت هذا المشهد الذي تشير اليه حين يتحلق الجمهور حول بهية ويسألوها انت شفتي أمين ؟ . . . فتجيب ـ مرة . . . لا مرتين . . . لا ثلاثة . . لا كثير . . وتضحك أثناء ذلك . .

أظن أن هذا موقف فيه خفة وطيش بالنسبة لامرأة لا يزال الحب يعتمل في قلبها ولا يزال الشجن يكوى روحها . . .

نجيب سرور :ـ أنا أعتز بهذا التفسير لانه في صالحي . . .

الدكتور دروبي :ـ اسمح لي سيادتك قلت لا ينسى الانسان حبا بمثل هذه السهولة . أنا الذي فهمته من هذا المشهد أن ياسين تجسد لها . . . في أمين ومن أجل هذا أقبلت على أمين رأت فيه صورة ياسين ثم ان تعدد الحب شيء بشري وشيء انساني ولا أريد أن أحرجك فأسألك كم مرة انت حبيت ؟ .

الاستاذ نجيب سرور :ـ بالحقيقة حبيت بس عايز أقول لك بس عايز أقول لسيادتك حاجة بهية بالسهولة تحب أمين وبالسهولة تنسى ياسين . يجعل بهية انسانة تستحق الاحتقار لا تستحق العطف .

الدكتور دروبي :ـ

انت قلت أنه انقضى زمن ،

الاستاذ نجيب سرور :ـ أيوه انقضى زمن ولكن ليس الزمن الكافي لتنسى حباً كبيراً «كحبها لياسين وفعلا كان حبا كبيرا مش ممكن تنساه وأنا كمخرج أتناولها بالتدريج .

الدكتور سامي الدروبي :ـ أنا لم أفهم ابدا انها نسيت حب ياسين اطلاقا أنا فهمت أن ياسين تمثل لها في أمين مرة أخرى .

الاستاذ نجيب سرور : ـ عملية التجسد لا تتم عمليا بالسرعة دي فكيف تتم فنيا بهذه السرعة ؟؟

الدكتور سامي الدروبي :ـ

أنا كمشاهد وارتحت اليه . هذا لا يمنع أنني حين رأيت هذا المشهد بالذات الذي تعترض عليه موَ ولاً على طريقتك مع المخرج كرم مطاوع أعجبت أيضا بالتأويلَ الثاني ورضيت عليه كل الرضى . لكن هذا لا ينفي أنني اعجبت كذلك بالتأويل الأول . وهذا يضفي على أثرك الفني قيمة كبيرة

لانه يدل على أنه ينبوع ثر وقادر لتأويلات كثيرة ويمكن ان تتفجر منه معاني لا نهاية لها ولا ينضب معينها .

الاستاذ نجيب سرور : ـ اشكرك دكتور سامي . وأنتهز هذه الفرصة لأقول للجمهور أن الخصومة بيني وبين جلال الشرقاوي ليسَت خصومة شخصية وليس من صالحي وصالح الزميل والصديق المخرج جلال الشرقاوي أن ينقلب الحوار الموضوعي ، والعلمي ، والفني ، الى هذا المستوى . .

الدكتور سامي الدروبي : أ أنا شخصيا لا أثير هذا الموضوع على مستوى الشخصي وأرفض أن أثيره على صعيد شخصي وسوف نحتكم الى الجمهور . . ونريه المشهد في التأويل الآخر بعد ان رأى هذا المشهد في «آه ياليل ياقمر» تأويل الاستاذ جلال .

من عيوب سامي أنه كان حين يعمل ينسى نفسه ، وينسى قلبه ذا الشرايين الثلاثة المسدودة . وكأنه هناك تحدى دائم بين ما يرغب في أن يعمله وبين ما يستطيع ان يعمله هذا القلب .

لا لن أنسى في آذار ١٩٧١ كانت رئاسة دورة الجامعة العربية لسوريا . ولم يحضر وزير الخارجية السوري . فترأس الاجتماع سامي . . أذكر انه دعى الوفود العربية الى العشاء ولم ينم قبل الواحدة صباحا . وكان مرهقا والتعب ظاهر عليه وكان عليه أن يستيقظ باكرا ليرافق نائب رئيس الجمهورية المصري السيد حسين الشافعي في سفره الى دمشق . أذكر أن سامي أمضى تلك الليلة كلها تحت الاوكسجين لم أنم تلك الليلة وأنا خائفة عليه اراقبه بهلع ولقد اتصلت مع طبيبه الدكتور حمدي السيد بدون علمه فحضر مع زوجته السيدة اصلاح وحقنه بأدوية فنام وقررت في صبيحة الغد أن أعتذر من نائب الرئيس الاستاذ حسين الشافعي لعدم تمكن سامي من مرافقته الى دمشق . . ولكنه في السابعة صباحا حين نهض من سريره بدأ بمقدمات حتى لا أضايقه بنقاشي . قال :ـ

ان الاوكسجين نعمة من الله . لقد نمت نوما عميقا وزال تعب أمس كله ولا شك ان حقنة الدكتور حمدي أزالت كل تعب أمس وأنا الآن بصحة ممتازة . أرجو أن تكون الحقيبة مهيئة وحين حاولت أن أعارض وأذكره بما

عانى ليلة أمس . نظر اليّ تلك النظرة الحادة التي معناهـا أن لانقـاش لأن لافائدة منه وتابع قوله : ـ هذه زيارة عمل ولابد من القيام بها ، ونقاشك هذا معي سيتعب قلبي أكثر من السفرة . . يا احسان .

آه كم ندمت على طاعتي العمياء بتنفيذ رغباته وعدم وقوفي في وجهه بعناد حين يندفع الى العمل متحديا حتى وضعه الصحي . ربما لو سمع نصح الاطباء في اللجوء الى الراحة التامة لكان قد خدمه قلبه مدة أطول . . ولكن طبعه كان أقوى من أن يعاند . . فسافر الى دمشق وكان يوما حافلا بالعمل المتواصل واللقاءات امتد حتى الواحدة . وكان من جراء ذلك كله أن أصيب بتلك الجلطة القلبية الرهيبة بعد ساعة من انتهاء الاجتماع في الساعة الثانية صباحا ونقل الى المستشفى في حالة سيئة جدا .

استدعيت مع الأولاد من القاهرة وقد حضر معي طبيبه الخاص الدكتـور حمدي السيد وطبيب الرئاسة الدكتور محمد عطية .

حين دخلت الى غرفة الانعاش المشدد ، رد على نظرتـي بكلمـة معـك حق . . فرحت بوصولكم . . لكنكم تأخرتم . . سألناه وهل كنت تدري أننا قادمون ؟

أجاب :ـ «عادني السيد الرئيس حافظ الأسد وسألنـي هل ترغـب في أي شيء . . قلت :ـ

أرغب أن ارى أم مصباح والأولاد . .

فقال السيد الرئيس :ـ استدعيناهم وهم في الجو الآن . . ومـاذا ترغـب أيضا ونظر الي «كمن يقول ،» ليس الشهيد هو الجندي الذي يستشهد في الجبهة . بل هناك من يستشهدون أيضا في سبيل العمـل لخير أمتهـم . . وتذكرت هذا بوضوح حين حضر السيد الـرئيس لدارنـا معـزيا بسـامي في ١٣/ ٢/ ١٩٧٦ حين قال : ـ

لايقاس عمر الانسان بعدد السنين التي عاشها وانما يقاس عمره بعمله ، وبعطائه ، . . لذا أحسب أن عمر المرحوم الدكتور سامي مائة سنة . .

بعد فترة العلاج والاستجمام التي أمتدت ثلاثة اشهر عدنا للقاهرة . . وكان التقارب الثلاثي بين مصر وليبيا وسوريا يثلج قلب الدروبي ويعمل له بجهد

وكان عضوا في لجنة الدستور الاتحادي التي يرأسها آنذاك نائب الرئيس الاستاذ محمود الأيوبي والاعضاء الاستاذ محمد حيدر والمرحوم الاستاذ الدكتور محمد الفاضل .

حين انتهى الميثاق الثلاثي وأعلنت الدولة الاتحادية قلد الرئيس الاسد سامي الدروبي وساما تقديرا لما بذل في هذا السبيل . وقد ايقن ان الجهد الذي على عاتق المسؤ ول السوري في القاهرة اكبر من أن يتحمله انسان مريض ومندفع بالعمل مثل سامي الذي بدأ يزداد تدهور حالته الصحية بين يوم ويوم . فنقلنا الى اسبانيا . . حيث كنا نظن ان المسؤ ولية هناك أقل مما هي عليه في القاهرة . وفعلا كانت كذلك الى ان قامت حرب تشرين فتحولت السفارة الى خلية نحل كان سامي يعمل بدون رحمة بوحشية . جعل من صالون السفارة مركزاً للتبرع بالدم تحت إشراف الصليب الأحمر الاسباني . . وكانت هناك اللقاءات والمؤ تمرات الصحفية الخ . ولن أنسى ان طبيب القلب الاسباني والذي كان يشرف على علاجه الدكتور استياحين سأل الدكتور السوري قاسم العون عن صحة السفير . فعلم منه ان السفير يظل في السفارة كل يوم ثماني عشرة ساعة . . . صاح الدكتور الاسباني قائلاً :-

سفيركم هذا يريد أن ينتحر . تعال معي لننقذه وجاء مع الطبيب السوري الى السفارة وأخذا سامي بالرغم عنه الى المنزل .

قال لي مرة السفير السعودي الشيخ ناصر المنقور حين نجتمع نحن السفراء العرب ابان فترة الحرب وقد اتفقنا على العمل الجماعي . صباحا في تمام الساعة الحادية عشرة في السفارة المصرية . نتداول الأخبار ونوزع الأعمال وقد تقرر أن يزور سامي مع السفير المصري بصفتهما سفري الدولتين المتحاربتين مع اسرائيل وزير الخارجية الاسبانية . وكان المتحدث سامي فطلب من الوزير الاسباني أن تصدر اسبانيا بيانا توضح فيه موقفها من هذه الحرب . لكن وزير الخارجية اعتذر بلباقة ذاكرا ان اسبانيا يجب ان تبقى على الحياد حتى تستطيع أن تلعب دور الوسيط كما فعلت ابان حرب ١٩٦٧ ولم ينس أن يتحدث عن اسبانيا صديقة العرب وليس بينها وبين اسرائيل تمثيل . . فرد عليه سامي :- ان وزير خارجية فرنسا أصدر بيانا بالرغم من أن

لها تمثيل دبلوماسي مع اسرائيل وقد لمح أن الصداقة الاسبانية العربية سوف يعاد النظر فيها وبمصالحها على كل المستويات العربية لا المصرية والسورية فقط اذا بقيت اسبانية متجاهلة ولم تصدر بياناً لموقفها المؤ يد للعرب .

بعد انتهاء الزيارة بساعتين فقط صدر بيان من الخارجية الاسبانية يدين اسرائيل .

أذكر في حديث لنا مع وزير السياحة الاسباني ذات مساء أنه قال :ـ

ان للعرب فضلا كبيرا على اسبانيا حين جعلوا من جامع قرطبة منبرا ثقافيا يلتف حوله مثقفوا أوروبا ليعودوا إلى بلاط ملوكهم وقد نهلوا المعرفة على أيدي فلاسفتكم . ونحن الآن نعمل المهرجانات ونحتفل بذكرى هؤ لاء الفلاسفة وان دخلنا السياحي بما تركه لنا العرب في الأندلس من الآثار الرائعة «كذا مليون» ، «لا أذكر الرقم» . وبعد بضعة ايام زارتني صديقة وذهبنا معا إلى الاندلس وبينما نحن في قصر الحمراء المدهش فإذا بدليل اسباني يترأس مجموعة سياح أمريكا ويحدثهم عن العرب بلهجة عدائية تختلف عن لهجة وزير السياحة . وحين تمادى شرحه المفتري قائلاً :ـ

ان في هذا القصر غرف على عدد أيام السنة وعلى عدد حريم الأمير الذي يستمتع كل يوم بحرمة . . وبدأ يعطي صورة عن امراء الانـدلس العـرب قميئة .

التفت الى الجمع السياحي وقلت بصوت به من الرصانة والقناعة مالفت نظر الجمع اليّ :ـ

أيها السيدات والسادة أرجو أن تحكموا بعقولكم على ما تسمعون وتساءلت هل يمكن لأمير ليس له من هم سوى الحريم أن يترك مثل هذا الاثر الفني المعماري الرائع منذ كذا قرن من الزمن . والتفت نحو الدليل وقلت ان وزير سياحتكم منذ يومين فقط قال الكثير عن فضل العرب الحضاري على اسبانيا في القديم وعلى الدخل المادي بفضل السياح الذين يأتون ليشاهدوا ما تركه العرب في وقتنا الحاضر . فاذا بالدليل يغير اللهجة العدائية للعرب ويأخذ يتحدث عنهم بطريقة اعادت لهم اعتبارهم خاصة حين أخذ يشرح وقد وصلنا الى الحمام في قصر الحمراء كيف ان العرب كانوا بدرجة من

الرقي والحضارة يثير الاعجاب . هذا صنبور ماء ساخن ، وهذا صنبور ماء بارد ، وهذا صنبور العطر . .

وأخذ يقارن كل هذا كان عند العرب في حين لم يكن في قصور أوروبا المراحيض في ذلك الوقت . وتابع شرحه قائلا . . كيف كان الموسيقيون يجلسون في شرفة مرتفعة في الحمام الأوسط . . يعزفون الموسيقى . . ريثما يرتاح المستحمون . . فلا يملوا من الانتظار لحين «يبرد عرقهم» حتى لا يخرجوا من الحمام الساخن الى الحديقة للوصول للمنزل . اذاً كانت كل الفنون متقدمة عند العرب في ذلك الوقت ليس فقط فن الحرب ولا فن العمارة . . ولا فن الموسيقى .

ولقد علمنا فيما بعد ان عدداً من اليهود الاسبان انتسبوا الى المدرسة السياحية في غرناطة ومن خلال هؤلاء الأدلاء السياحيين اليهود كانت تشوه صفحتنا التاريخية الناصعة وكان هذا الدليل أحد خريجيها وأذكر ان توصية رفعت الى الأمانة العامة للجامعة العربية بخصوص افتتاح مدارس سياحية في غرناطة واشبيلية وقرطبة يدرس فيها تاريخنا بصدق وبدون تشويه .

ومن الأمور التي لا أنساها في احدى زياراتنا لجامع قرطبة مع بعض الأصدقاء وقفنا أمام المحراب بخشوع ليس له مثيل مأخوذين بروعة ودقة بنائه وأخذ الدليل يشرح بإعجاب هذاالمحراب ويصف وصفادقيقاً شيقاً قبته الفخمة والخزف الجميل الذي يزينه والفسيفساء التي وضعت بدقة فائقة ثم انتقل بالحديث كيف ان الامام كان يسمع صوته في ارجاء الجامع على كبره حيث صمم هندسيا بشكل مدهش حقا يستفيد من الاصداء فيسمع صوت الامام جميع المصلين . وقد طلب الى عدد من السياح الانتشار في المسجد فابتعدوا على مسافات لا تقل عن مئة ومئة وخمسين مترا ومزق قطعة ورق فاذا بصدى صوتها يصل لهؤلاء السياح الواقفين والمنتشرين في المسجد على بعد وبينما نحن نتابع تجوالنا في الجامع مررنا بالجزء الذي أصبح كنيسة وكان يوم أحد والكاهن يلقي قداسا وللمصدف أصاب الميكروفون عطلا ما فلم يسمع صَوت الكاهن وأخذ المصلون يتهامسون . . عن غياب الصوت واذا بنفس الدليل يضحك ويقول :

من كذا قرن لم يقع امام المسلمين بمثل هذا المأزق لأن المهندسين العرب كانوا عباقرة في فن العمارة وبنوا المحراب بشكل يوزع الصوت في كل أرجاء الجامع كما شرحت منذ قليل . كم أحسسنا بالاعتزاز لهذا الثناء الذي لم نتوقعه . . والذي أثار اعجابنا أكثر من كل هذا حين وقف في البهو ونظر نحو الحائط الغربي حيث حول الى مدافن الى الأسر الحاكمة أو الثرية وانتقدها لأنها تشوه هذا العمل المعماري الرائع ثم سرح بنظره وقال :-

لقد لعب هذا الجامع دوراً عظيماً حين كانت قرطبة عاصمة اسبانيا المسلمة ومقر بلاط امراء الأندلس فكان منارة «للثقافة وللعلوم والفنون» وكان حول كل على عامود من هذه الأعمدة حلقة فكر تشع ساهم ابناؤ ها أمثال ابن رشد وابن حزم في نشر الثقافة وتلقت اوروبا ثمار هذه الثقافات من هنا . وكانوا الأباطرة الأوروبيون يتفاخرون أن مستشاريهم تخرجوا من هذا المكان . وأحسسنا بصوته يختلج فقال لى سامى :-

لاشك أنه من سلالة أجدادنا الأمويين والدم العربي يسري في شرايينه فاقتربنا منه وقلت له وأنا أنظر في عينيه السوداويين ان سواد عينيك ، وسمرة بشرتك وشحنة العاطفة التي ترافق شرحك ، تجعلني لا أشك أنك من أحفاد لأجدادنا . .

فسأل : من أنتم ؟

وحين عرف أن سامي سفير سوريا نظر اليه مليا . . وأخرج بطاقته . . وكم كانت دهشتنا حين قرأنا اسمه انه فرناندو بني أومية . . أعدت تهجئة الأحرف اللاتينية ثلاثة مرات . . قبل أن أصرخ بني أمية . . بني أمية . . ويداي تربتان على صدري . . وكأنني أقول ابننا . . ابننا . . فقال نعم بني أمية . . وهو يهز رأسه .

لن ننسى تلك الأمسية التي قضيناها حين دعانا الى العشاء في دار والده التي ما ان دخلتها حتى أحسست أنها دار جدي في القنوات . . البحرة في وسط أرض الديار ، والياسمين ، متسلق على الجدران وأشجار البرتقال والليمون والكباد والنارنج وأجمل ما في الدار كان صاحبها . وبدأ حديثه قائلاً :-

كم سررت حين أخبرني ابني أنه تعرف على سفير الأمويين ولقد بهرته بثقافتك واطلاعك من اللقاء الأول وانني تشرفت بمعرفتك وفخور بك هنا بيننا وكان حديثه جذابا ممتعا وقد قال بحسرة تصوروا انني من سلالة بني امية العربية المسلمة ، ولظروف أمنية وسياسية أصبح أجدادي كاثوليك . . وأنا عندي سبع بنات اربعة منهم راهبات في الدير . . وتجولنا في منزله العريق وأرانا طبقا فخاريا عليه شعار بني أمية.محتفظا به وقد ورثه عن أجداده . . لم استطع ان احبس دمعتين سقطتا من عيني رغم كل ما حاولت أن أخفي من أحاسيسي وانفعالي . . ولن أنسى تلك السهرة لما تجلى بها من أحاديث ثقافية بتراثنا أبهرتني فعلا . .

لن أنسى زيارة الوداع لولي العهد الامير خوان كارلوس والاميرة صوفيا . . كانت في أواخر سنة ١٩٧٥ . وكنت برفقة زوجي . وكانت مشكلة الصحراء الغربية ما زالت قائمة بين المغرب واسبانيا . فسأل ولي العهد الاسباني سامي عن موقف الدول العربية الصديقة لاسبانيا في حالة تشدد الاسبان مع المغرب كيف يكون موقفها من هذه المشكلة ؟

ابتسم سامي وقال لولي العهد :-

يوجد بالعربية مثل شعبي يقول :

«أنا وأخي على ابن عمي ، وأنا وابن عمي على الغريب» ان المغرب هو الأخ ومهما اختلفت الأخوة فهم أخوة ، لذا لا يمكن ان يقف احد من البلاد العربية مع اسبانيا رغم الصداقة التقليدية ضد المغرب العربي الشقيق . ان الشعب السوري لا يمكن ان ينسى ان دماء الأخوة الأبطال المغاربة لم تجف بعد في الجولان في حرب تشرين سنة ١٩٧٣ حين هب المغرب لنصرتنا فأرسل لسوريه ابناءه .

وأضيف فأقول ان كل مصالح اسبانيا الاقتصادية في الوطن العربي كله ستهدد . . أذكر ان الامير خوان كارلوس رفع يده اليسرى وضرب بها على ساقه والتفت الى زوجته الاميرة صوفيا وقال :-

ألم أقل هذا بالحرف أمس الى رئيس الدولة الجنرال فرانكو . . والكل يعرف أن اسبانيا أعادت الصحراء المغربية في نهاية عام ١٩٧٥ أي بعد اشهر قليلة . .

اليوم وأنا أتابع مسلسل الايام لطه حسين عاد لذاكرتي هذا الحديث الذي جرى بين طه حسين وأحد الصحفيين المصريين . حين سأله : ماذا تقرأ في هذه الايام يا أستاذنا الكبير ؟

أجابه الاستاذ طه حسين :-

انني أقرأ ترجمات الدكتور سامي الدروبي للاعمال الكاملة لدوستويفسكي والذي يثير اعجابي أن هذا الانسان أعتبره مؤسسة بكاملها بل أحسن . وتابع يقول الاستاذ طه حسين . . حين كنت مديرا عاما للثقافة في الجامعة العربية ، أنشأت لجنة من كبار الأدباء لكي ننقل آثار شكسبير الى اللغة العربية . وكانت تتوفر أمامنا الامكانيات المادية والمعنوية . ولم نستطع حتى الان وقد مضى ثمانية عشر عاما على اتمام ترجمة شكسبير وها نحن نرى شخصا واحدا يقوم بهذا العمل الجبار فيعطي القارىء العربي ، والمكتبة العربية أعمال دوستويفسكي كاملة بأسلوب واحد ولغة جميلة متينة وبعمق وفهم لروح المؤلف . . ولا تدري كم سررت حين سمعت تعليق المستشرق الروسي أستاذ اللغة العربية بجامعة موسكو حين زارني من مدة قصيرة اذ قال :-

حين قرأت ترجمة الدكتور سامي الدروبي لدوستويفسكي قلت لو كان دوستويفسكي عربيا لما كتب أجمل من هذا . مالي أعود لدوستويفسكي ؟ وبما أنني ما زلت احوم في فلكه اسمحوا لي أن أنقل لكم ما كتبه فايز قنديل في جريدة البعث بتاريخ ٤/ ٤/ ١٩٧٤ :-

عندما استعرب دوستويفسكي على يدي سامي الدروبي قال أديب عربي ممتاز عبارة تحمل من الحقيقة أكثر مما تحمل من المرح . ان دوستويفسكي . هو الذي ترجم سامي الدروبي الى الروسية . .

ولكي تدرك العبء العظيم الذي نهض به الدكتور سامي الدروبي : يجب ان نتذكر انه عرب رواية نيتوتشكا في عام ١٩٥٤ أي انه يعاشر هذا الكاتب منذ اكثر من ربع قرن تقريبا بلا انقطاع فالمسألة اذن ليست لهوا ، بل هي اشغال شاقة تفيض منها تيارات الفكر والجمال . . ثم ان اختيار دوستويفسكي بالذات اختيار عظيم في ذاته .

وربما اذا اطلع القراء على ما حصل من جدل ثقافي على صفحات الجرائد وفي الندوات الثقافية لعذروني حين أعود بين حين وآخر لأذكر دوستويفسكي وترجمة سامي الدروبي لأعماله الكاملة ، لذا سأنقل لكم ما كتبه الصحفي المصري السيد غالي شكري في مجلة الوطن العربي في ٨ آذا سنة ١٩٧٩ تحت عنوان :ـ

ملعون ذلك اليوم.

من الاخطاء الصغيرة . لكن المثيرة . لصديقي اسماعيل المهدوي . أنه في أواسط الستينات شن هجوما غريبا على مبدأ ترجمة أعمال دوستويفسكي عن اللغة الفرنسية واذكر ان الذي تصدى لفكرته أيامها الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي . . فقد دافع بحماس بالغ عن المترجم والترجمة . . على الرغم من أنه حينذاك لم يكن يعرف الفرنسية .

لماذا ؟

لان المترجم كان سامي الدروبي .

وفي تقديري أن هذا السبب وحده كان كافيا لحسم المعركة التي تشعبت في ذلك الوقت حتى جاوزت حدود المسألة المباشرة . . قيل مثلا . أن بعض الترجمات عن الروسية ، وقد صدرت في موسكو ذاتها بالغة الرداءة . وقيل أيضا بصيغة سؤ ال اذا لم يكن لدينا مترجمون عن الروسية هل ننتظر ونحرم أنفسنا من أعمال تشيكوف ، وتولستوي ، وبوشكين ، المترجمة الى الفرنسية والانكليزية ؟

وعلى الرغم من ان هذه الحجج والردود صحيحة في معظمها . الا ان اسم سامي الدروبي وحده كان في ظني هو الرد الحاسم والاكثر اقناعا .

قبل أن أتمم نقل ما كتب الاستاذ غالي شكري أريد أن أشير الى ان ما قاله طه حسين قبل قليل وما قاله بحضوره المستشرق الروسي استاذ اللغة العربية في جامعة موسكو لهو الرد القاطع على اسماعيل المهدوي لأن سامي كان يترجم الأدب الروسي عن الترجمة الفرنسية المعتمدة من الاونيسكو لدار النشر .

أعود الآن الى الاستاذ غالي شكري وأتابع ما كتبه في ٨/ آذا ١٩٧٩ لكن

سامي الدروبي لم يبتغ المال والشهرة . لذلك لم يكن قط مترجما محترفا على الرغم من أنه أحد أعظم المترجمين .

وتعالوا نتفحص هذا الكلام . .

ان الترجمة . أي ترجمة حين تصبح اختيارا شخصيا لا تعود مجرد اجادة للغة أجنبية . بل تصبح فنا وخلقا واكتشافا . وجزءا أصيلا من الذات شأنه في ذلك شأن أي ابداع .

ولقد كان «الاختيار» الرئيسي لسامي الدروبي هو دوستوفيسكي وتولستوي قام بنقل أعمالهما الكاملة في دأب ومثابرة وصبر تنوء بحمله اللجان والمؤسسات ووزارات الثقافة .

هنا أرى من واجبي كزوجة لسامي الدروبي أن الفت نظر الاستاذ غالي شكري أن هذا الكلام لا ينطبق على وزارات الثقافة لانه في الحقيقة ان وزارة الثقافة المصرية تعاقدت مع سامي الدروبي على نشر الاعمال الكاملة لدوستويفسكي ووزارة الثقافة السورية . تعاقدت مع سامي الدروبي على نشر الاعمال الكاملة لتولستوي .

أعود بعد هذه الملاحظة لأتمم ما كتبه الاستاذ غالي شكري في مجلة الوطن العربي .

اذا عرفنا ان الدروبي لم يكن محتاجا ليترجم . ولو كان محتاجا لترجم أشياء اخرى . . واذا عرفنا ان الرجل كان مثقلا بأعباء أعماله الرسمية السياسية والدبلوماسية لاقتربنا من سر هذه «الرهبنة» في معبد الجمال لم يكن دوستويفسكي وتولستوي الا جزءا لا ينفصل عن ذات سامي الدروبي لقد رأى نفسه فيهما على نحو من الانحاء ، ومن هنا . لم يكن نقله لاعمالهما الى لغتنا ترجمة ، بل عطاء للنفس وتحقيقا للذات وتجسيدا عميقا «لوجوده» الشخصي . لقد «كتبهما» ولم يترجمهما . أو هو بدلا من أن «يكتب» رأى فيهما الخلاص والفرح . . فكانت الترجمة هي ذاتها «الكتابة» لا تنتظر تكليفا من احد ولا تحميسا ولا تشجيعا . بل كان فيها معاناة الخلق . فقد توحد مع الكاتبين في عملية ابداعية واحدة :

وحين نعرف من كان دوستويفسكي وتولستوي في تاريخ الابداع البشري .

يجب أن نعرف في اللحظة عينها . أي «فنان» كان سامي الدروبي . على الرغم من أنه لم يكتب رواية واحدة .

ملعون ذلك اليوم

مقال غالي شكري

من الاخطاء الصغيرة . لكن المثيرة . لصديقي اسماعيل المهدوى . أنه في أواسط الستينات شن هجوماً غريباً على مبدأ ترجمة أعمال دوستويفسكي عن اللغة الفرنسية . وأذكر أن الذي تصدى لفكرته أيامها الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي ... فقد دافع بحماس بالغ عن المترجم والترجمة . على الرغم من أنه حينذاك لم يكن يعرف الفرنسية

لماذا ؟

لأن المترجم كان سامي الدروبي .

وفي تقديري أن هذا السبب وحده كان كافيا لحسم المعركة التي تشعبت في ذلك الوقت حتى جاوزت حدود المسألة المباشرة ... قيل . مثلا . أن بعض الترجمات عن الروسية . وقد صدرت في موسكو ذاتها . بالغة الرداءة . وقيل أيضاً في صيغة سؤال ، اذا لم يكن لدينا مترجمون عن الروسية هل ننتظر ونحرم أنفسنا من أعمال تشيكوف وتولستوي وبوشكين المترجمة الى الفرنسية والانكليزية ؟

وعلى الرغم من أن هذه الحجج والردود صحيحة في معظمها إلا أن اسم سامي الدروبي وحده كان في ظني هو الرد الحاسم والأكثر اقناعاً .

لماذا . مرة أخرى ؟

لأنه لم يكن مترجماً . ولو أراد لانكبَّ على أشياء لا علاقة لها بدوستويفسكي أو تولستوي أو برغسون أو أيفو اندريتش أو كروتشه . ولو أراد . لأصبح مليونيراً في قليل من الاعوام . ولو أراد أيضاً . لتفرغ للكتابة لا للترجمة . ولأصبح أحد أبرز المشاهير في التأليف العربي المعاصر .

لكن سامي الدروبي لم يبتغ المال ولا الشهرة . لذلك . لم يكن قط مترجماً محترفاً على الرغم من أنه أحد أعظم المترجمين .

وتعالوا نتفحص هذا الكلام .

ان الترجمة . أي ترجمة . حين تصبح اختياراً شخصياً . لا تعود مجرد اجادة للغة أجنبية . بل تصبح فناً وخلقاً واكتشافاً . وجزءاً أصيلاً من الذات شأنها في ذلك شأن أي ابداع .

ولقد كان « الاختيار » الرئيسي لسامي الدروبي هو دستويفسكي وتولستوي . قام بنقل أعمالهما الكاملة في دأب ومثابرة وصبر تنوء بحمله اللجان والمؤسسات ووزارات الثقافة . فاذا عرفنا أن الرجل لم يكن محتاجاً ليترجم . ولو كان محتاجاً لترجم اشياء أخرى ... واذا عرفنا أن الرجل كان مثقلاً بأعباء أعماله الرسمية . السياسية والدبلوماسية . لاقتربنا من سر هذه « الرهبنة » في معبد الجمال . لم يكن دوستويفسكي وتولستوي إلاّ جزءاً لا ينفصل عن ذات سامي الدروبي . لقد رأى نفسه فيهما على نحو من الانحاء . ومن هنا . لم يكن نقله لاعمالهما الى لغتنا ترجمة . بل عطاء للنفس وتحقيقاً للذات وتجسيداً عميقاً « لوجوده » الشخصي . لقد « كتبهما » ولم يترجمهما . أو هو بدلاً من أن « يكتب » رأى فيهما الخلاص والفرح ... فكانت الترجمة هي ذاتها « الكتابة » لا تنتظر تكليفاً من أحد ولا تحمساً ولا تشجيعاً . بل كابد فيها معاناة الخلق . فقد توحد مع الكاتبين في عملية ابداعية واحدة .

وحين نعرف من كان دوستويفسكي وتولستوي في تاريخ الابداع البشري يجب أن نعرف في اللحظة عينها . أي « فنان » كان سامي الدروبي . على الرغم من أنه لم يكتب رواية واحدة .

الوجه الآخر لمحراب الفن كان « الأمة » التي ينتمي إليها . فهو بترجماته أضاف الى العربية رصيداً بالغ الثراء من الألفاظ والمعاني والتراكيب والأخيلة والايقاع . قلما توفر لنا من بعض الكتاب المنشئين أنفسهم . وهو . بذلك . حصل من دوستويفسكي وتولستوي وبرغسون وكروتشه وأيفو اندريتش أدباء في العربية لا أدباء أو فلاسفة أجانب . أن عبقريته في التوليد والاشتقاق لا تنم فحسب عن معرفة عميقة بأسرار اللغة الفرنسية . بل كانت خلقاً للعربية وتثويرا لقواعدها الاصيلة .

والسبب أنه اذا كان « باختياره » الرئيسي للآداب التي ترجمها قد حقق ذاته « الفنية » . فأنه بصياغته الفذة حقق ذاته « العربية » . فالفن والأمة في حياة سامي الدروبي هما محور هذه الشخصية « المتصوفة » في تاريخ العرب الحديث .

منذ ثلاث سنوات رحل سامي الدروبي السفير الذي جعل من السفارة السورية في مصر بيتاً للمثقفين والفنانين والعشاق ... عشاق الأمة الواحدة وأبناء اللغة الواحدة والمصير الواحد .

لعله ببصيرة الفنان وتصوف العربي لم يشأ أن يشهد الساعة التي يقال فيها : ملعون ذلك اليوم الذي تغلق فيه سفارات العرب في القاهرة . استعداداً لافتتاح سفارة « اسرائيل » .

لم يكن قلبه الكبير ليتسع لمأساة في مثل هذا الحجم . لكن هذا القلب . وان توقف . لا يموت ...

الوجه الآخر لمحراب الفن كان «الأمة» التي ينتمي اليها . فهو بترجماته اضاف الى العربية رصيدا بالغ الثراء من الألفاظ والمعاني والتراكيب والأخيلة والايقاع . قلما توفر لنا من بعض الكتاب المنشئين أنفسهم . وهو بذلك حصل من دوستويفسكي وتولستوي وبرغسون وكروتشه وايفو أندرتش أدباء في العربية لا أدباء وفلاسفة أجانب . ان عبقريته في التوليد والاشتقاق لا تنم فحسب عن معرفة عميقة بأسرار اللغة الفرنسية بل كانت خلقا للعربية وتثويرا لقواعدها الأصلية .

والسبب أنه اذا كان «باختياره» الرئيسي للاداب التي ترجمها قد حقق ذاته «الغنية» فانه بصياغته الفذة حقق ذاته «العربية» . فالفن والأمة في حياة سامي الدروبي هما محور هذه الشخصية «المتصوفة» في تاريخ العرب الحديث .

منذ ثلاث سنوات رحل سامي الدروبي السفير الذي جعل من السفارة السورية في مصر بيتا للمثقفين والفنانين والعشاق . . . عشاق الأمة الواحدة وأبناء اللغة الواحدة والمصير الواحد .

لعله ببصيرة الفنان وتصوف العربي لم يشأ أن يشهد الساعة التي يقال فيها ملعون ذلك اليوم الذي تغلق فيه سفارات العرب في القاهرة . استعدادا لافتتاح سفارة «اسرائيل» .

لم يكن قلبه الكبير ليتسع لمأساة في مثل هذا الحجم . لكن هذا القلب وان توقف . لا يموت . . . .

في اليوم الأول من تشرين أول سنة ١٩٧٣ غادرنا مدريد الى روما حيث سيقدم سامي أوراق اعتماده في الفاتيكان لقداسة البابا . وقد حدد اليوم الرابع من ذلك الشهر .

قام سامي بالزيارات الرسمية . وكل شيء كان على ما يرام الى يوم الثالث من تشرين أي قبل يوم واحد من موعد تقديم أوراق الاعتماد حين حضر لرد الزيارة لسامي المنسنيور وزير خارجية الفاتيكان وأثناء الحديث تطرق سامي الى المشكلة الفلسطينية . فلفت بلطف نظر سامي الا نتطرق في الكلمة الى المشكلة الفلسطينية لأن قداسة البابا سيرد على كلمتك بكلمة من روحها ، والفاتيكان يرغب ان يكون في موقف حيادي غير متحيز بالنسبة الى شخصية

البابا الروحانية . . العالمية . .

أعود لأقول ان صلابة سامي الروحية والعند الذي عرف به منذ نعومة أظفاره لم يصقلها العمل الدبلوماسي أبدا . اذ رد على سيادة الكاردينال قائلا :-

ان لبلادي قضية . وان من واجبي أن أوضح هذه القضية لقداسة البابا لما تتمتع شخصيته الروحية العالمية من تأثير عالمي واذا كان هذا غير مرغوب فيه فلامانع من تأجيل موعد تقديم أوراق الاعتماد ريثما أرجع الى حكومتي التي انتدبتني لهذا الموقف . واذا بالدبلوماسية الفاتيكانية ترى أن لا داعي لتأجيل موعد تقديم أوراق الاعتماد .

في صباح الغد رافقت زوجي لتقديم أوراق الاعتماد ، وحسب المراسم المتبعة هناك يستقبل مدير المراسم عائلة السفير ويرافقها في زيارة المتحف . بعدها يستقبل قداسة البابا السفير وزوجته في مكتبه الخاص

حين دخلت الى مكتب قداسة البابا . وقفت مدهوشة أمام شخصية مهيبة مؤثرة لها هالة من الرهبة تقدمت باحترام شديد وماأن مددت يدي لمصافحته حتى سمعت صوته يقول :-

سأصلي لك ولزوجك ولأولادك .

رفعت رأسي ونظرت في عينيه وقلت :

أرجو من قداسة البابا أن يصلي لأهلي الفلسطينيين الذين تركوا بيوتهم ومزارعهم ويسكنون تحت الخيام واذا بدموعي تنهمر بغزارة بدون أن استطيع السيطرة عليها . لفت نظري أن دموعا هطلت من عيون قداسة البابا وهو يتصور وضع اللاجئين أطفالا وشيوخا تحت الخيام .

أذكر بعد انتهاء الزيارة وفي عودتنا قال لي سامي بارتياح شديد لقد وفقت بكلمتك لقداسة البابا «الله يعينا على هذا الجنس» صار لي ساعة وأنا أحدثه عن القضية الفلسطينية وبجملة قصيرة دخلت الى قلبه وأبكيته .



الدكتور الدروبي يقدم أوراق اعتمادة للبابا في الفاتيكان .

اليوم وصلتني دعوة من جمعية أهـلاً وسهـلاً إلى فنـدق الميرديان . . .
لعرض الأزياء الشعبية السورية . . . وكم سررت للفكرة حيث أيقظت من ذاكرتي أيام كنا في يوغسلافيا في ١٩٦٥ . . . .

قبـل سفرنـا لبلغـراد أخذنـا أولادنـا وكانـوا أطفـالاً في زيارة لمعالـم دمشق . . . . أذكر حين زرنا قصر العظم استقبلنـا صديقنـا الأستـاذ شفيق الإمام . . . استقبالاً جميلاً وفتح لنا غرفة الأزياء الشعبية . فسأله سامي : -

هل يمكن إقتناء مثل هذه الثياب يا أستاذ شفيق ؟ ومن أين ؟

أجابه الأستاذ شفيق : -

تأتي إلينا الفلاحات من القرى تحمل لنا أعمالهن . . . . فننتقي منهـا القديم . . . كأشياء من التراث . . . . والجديد الجيد . . . . لفـت نظرنـا سروالاً مطرزاً بألوانٍ زاهية وبإتقان ملفتاً للنظر . . .

سألت الأستاذ إمام :- .

هـذا سروال مطـرز ومزخـرف وملـون وهـل كانـت تلبس الرجـال مطرزات ؟

أجاب : -

لهذا السروال قصة حضرت مرة فلاحة عجوز وأحضرته وقالت : -

هذا السروال اشتغلته أيام «سفر بر» أي الحرب العالمية الأولى . وكنت عروساً حين أخذوا زوجي عريس شهر إلى العسكريه وكنت آمل حين يعود ويحضر الأحباب ليسلموا عليه . . . أن يلبس سروالاً جميلاً فاشتريت قماشاً وكنت أذهب إلى الشيدروان أجلس وأشوف ألوان الأزهار وأطبقها وأطرزها على هذا السروال وانتهت الحرب وانتظرت وإنتظرت ولم يعد زوجي ووضعت هذا السروال في صندوقي . . . وكلما اشتقـت لعريسي فتحـت الصنـدوق وأخرجته منه ثم أعيده هكذا مدة أربعين سنه والآن وقد مرضت وأنا بحاجة لدواء ومعالجة وليس عندي أقيَّم من هذا السروال فهل تشتروه بليرة ذهبية ثمن قماشته وخيطاته ولا أريد منكم ثمن تطريز . . .

كان الأستاذ الإمام يحدثنا تلك القصة بصوتـه الهـادىء العميق الـذي يدخل إلى أعماق القلب فما انتهت حتى مسحت الدموع من على خديَّ . . .

وتابع شرحه هذا ثوب من منطقة كذا وذاك آخر . من قرية كذا ويشرح لنا الفرق بين هذا وذاك شرحاً ممتعاً بمعلومات مستفيضة استمتعنا بها وما أن وصلت إلى الدار حتى كتبت هذه المعلومات القيمة . . . وفي الغد اشترينا مجموعة من الثياب الشعبية السورية .

وفي يوغسلافيا نضجت فكرة أن أدعو لحفل «لعرض الأزياء الشعبية السورية» في النادي الدبلوماسي في بلغراد . وقد طلبت من زوجات السلك الدبلوماسي العربي أن أستعين بأطفالهن لهذا الحفل. . . .ويشهد الله أنني وجدت كل مساعدة . وخاصة من السيدة فطمه حرم سفير مصر حمدي أبو زيد . التي أعجبت بفكره يوم سورية . وطلبت إلى موفدة من وزارة الثقافة المصرية تدرس الرقص الفولكلوري . . . أن تدرب الفتيات العربيات على الرقص . . وعلى عرض الأزياء .

وكان يوماً رائعاً ناجحاً ، وحفلاً مبهجاً ونال إعجاب الجميع وطلب منا إعادته يوماً آخر . . . .

لذا قلت لا شك أن حفلة جمعية أهلاً وسهلاً التي بطاقتها بين يدي الآن ستلاقي نجاحاً واعجاباً من السلك الدبلوماسي الموجود عندنا وستعمل دعايه كبيره للبلد خاصة أنها تملك إمكانيات كبيرة تفوق إمكانيات حفلتنا تلك في بلغراد .



في حفل الازياء الشعبية السورية في بلغراد .



في حفل الأزياء الشعبية السورية في بلغراد .

الموسيقي الأعمى

لا أدري لماذا انتقلت بي الذاكرة إلى موسكو وبالذات إلى المستشفى الجامعي بموسكو والذاكره لا يقيدها تاريخ فلها حرية الانتقال بدون ضبط تاريخي ولو بفارق عشر نوات . . . كما سبق وذكرت . دعت جامعة موسكو بعض أساتذة الجامعة السورية لزيارة الأتحاد السوفيتي وقد كنا سامي وأنا عضوين في ذلك الوفد . وقد صادفه سوء الطالع فأصيب بوعكة صحيه دخل المستشفى على أثرها . فعاده رئيس جامعة موسكو والمستشرق الأستاذ فلاديمير كراستوفسكي أستاذ اللغة العربية هناك . وحملا له بعض الكتب من الأدب الروسي الكلاسيكي باللغة الفرنسية . وكان كتاب الموسيقي الأعمى لكورولنكو بين هذه الكتب . أذكر أنه بعد العشاء أخذ سامي هذا الكتاب وبدأ يتصفحه . . . ومازلت أذكر أنه منذ قرأ الفصل الأول قال لي مؤكداً وبجزم . إن هذا الكاتب غير عادي . . . ان المؤلف مرهف الحس . . . إنه مبدع حقاً . . . وسوف أترجم هذا الكتاب حتماً .

كم كانت دهشتي حين استيقظت صباحاً وكان زوجي ينتهي لتوه من قراءة هذا الكتاب . طلب مني أن أذهب إلى المكتبة القريبة جداً من المستشفى لأبتاع ورقاً . . . .

اشتريت الورق وجلست على حافة سريري . وحولت الكومودين إلى منضدة . . . وكان سامي راقداً في سريره وبيده النص الفرنسي يملي علي بالعربية ، وكانت ملاحظته لي بين وقت وآخر أن يكون خطي واضحاً لأنه قرر أن يهدي هذا الكتاب إلى دار التقدم بموسكو لطباعته باللغة العربية ، وكان يردد : لا تنسي أن عامل المطبعة ليس عربياً ، وعليك أن تعني بوضوح الخط .

وراح يعمل بجد قدر استطاعته حتى استطاع انهاء ترجمة الكتاب قبل خروجه من المستشفى ، وكان المستشرق الأستاذ فلاديمير كراستوفسكي يزورنا بين حين وآخر قال له سامي بعد أن أنهى ترجمة الكتاب :

أستاذ فلاديمير ، أريد أن أشكرك أنت ورئيس جامعة موسكو لاختياركم هذه المجموعة القصصيه الجميلة ولقد اخترت منها قصتين «بطل من زماننا» للكاتب ليرمانتوف . «والموسيقى الأعمى» للكاتب كورولنكو .

وإنني ترجمت هذا الكتاب فارجو أن تقدمه هدية مني إلى دار التقدم لتطبعه باللغة العربية .

أخذ الأستاذ فلاديمير كراستوفسكي المخطوطة وبعد بضعة أيام وبالذات يوم سمح لنا بمغادرة المستشفى وكان يرافقنا هذا الأستاذ ليترجم لنا طلبنا حساب العلاج . فقال لسامي مستغرباً : -

دكتور دروبي ألا تعلم أن الطب في الاتحاد السوفيتي مؤمم ؟

أجابه سامي ؛ -

أعلم هذا ، أن الطب مؤمم إلى أفراد الشعب السوفيتي ، أما أنا فغريب .

أجابه الأستاذ كراستوفسكي : -

لكنك يا دكتور دروبي أنت ضيف الاتحاد السوفيتي .

وكانت المفاجئة التي سبقتنا إلى الفندق حيث أقمنا بضعة أيام بعد الخروج من المستشفى . أن حضر رئيس الجامعة ومدير دار التقدم وتولى الترجمة الأستاذ كراستوفسكي .

وكان الحديث التالي : -

أستاذ سامي قرأت كورولنكو بالعربية واسمح لي أن لا أبدي اعجابي بالترجمة الجميلة والأمينة فقط . بل بالإنسان الفذ الذي استطاع وهو راقد بالمستشفى وتحت العلاج أن يترجم بهذه الدقة والسرعة . وأخرج ورقة وطلب من سامي أن يوقع عليها ، فقال له سامي مازحاً :-

كيف أوقع على بياض ؟

فأجابه مدير دار التقدم : -

أجر الترجمة .

فأجابه لأمي : -

ان هذا الكتاب هدية مني عرفاناً بكرم الضيافة وحسن الاستطباب .

فضحك مدير الجامعة وقال : -

ليس في الاتحاد السوفيتي عمل بدون أجر . هل تقبل يا دكتور دروبي أن أكون لصاً فأسطو على أتعابك .

بعد عشرة سنين من ذلك التاريخ عدنا بعد غيبة طويلة عن دمشق بحكم عمل سامي كسفير . علمنا أن وزارة التربية قد عممت إحدى كتبه المترجمة «كتاب الموسيقي الأعمى» للكاتب كورولنكو على طلاب الصف الثالث الاعدادي . . . قال لي سامي : -

لقد أخذت أكبر أجر عن كتبي كلها من هذا الكتاب . . .

فسألته بعفوية الزوجة : - كم أخذت ؟

فأجاب وعلى وجهه ابتسامه وفي عينيه بريق الرضى . . .

أخذت زيرو فلوس ولكن الكتاب سيدخل إلى بيت كل عائلة عندها طالب في الاعدادية .

بعد رحيل زوجي كتبت إلى مديرية الكتب المدرسية أسأل عن عدد الكتب التي طبعتها المديرية من هذا الكتاب منذ أن عمم على طلاب الإعدادية في سنة ١٩٦٧ فأجابتني أن العدد حتى عام ١٩٧٩ - مئتان وخمسة وسبعين ألف نسخة .

طوبى لك يا سامي لقد تحقق ما قلته قبل رحيلك بعشر سنوات إذ قلت : -

لقد أخذت أكبر أجر عن كتبي كلها من كتاب الموسيقى الأعمى «زيرو فلوس» لكنه سيدخل كل بيت فيه طالب اعدادية .

قصة مع مكتبة الجامعة

في صباح السابع من أيار ١٩٧١ سمعت زوجي يتحدث مع الدكتور شاكر الفحام . وكان آنذاك وزير تعليم عالي . فقال له : -

يا دكتور شاكر قررت أن أقدم مكتبتي هدية إلى الجامعة السورية . أرجو أن ترسل من مكتبة الجامعة شخصاً ليستلم مكتبتي لأنني قررت أن أقدم مكتبتي هدية إلى طلاب جامعة دمشق (وكان قد عمل بها سامي أستاذاً لعلم النفس سبعة عشرة عاماً . . . .) .

إلتفتُ إلى سامي وقلت : -

يا أبا مصباح إن مكتبتك هذه من حق أولادك . . . كيف تقدمها إلى الجامعة ؟ . . .

أذكر أنه نظر إلي بعمق وقال : ـ
إسمعي يا إحسان . . . لن أنسى ما حييت كم كنت أشقى حين كنت طالباً جامعياً وكنت أرغب باقتناء المراجع ، وكان ثمنها باهظاً ، ودخلي محدوداً . . . وتابع حديثه قائلاً : ـ
قد تجدين أنت كأم أن مكتبتي من حق أولادنا . . . وأجد أنا أنها من حق طلابي في الجامعة ، الذين هم أولادي بالروح . . . أما أولادي بالدم فإذا ما إختاروا علم النفس والفلسفة ليتخصصوا بالجامعة فإن ظروفهم الآن تساعدهم على اقتناء المراجع التي تلزمهم .
وكان له ما أراد .
وقد أرسل إليه الدكتور شاكر فحام رسالة يقول فيها : ـ
السيد الأستاذ الدكتور سامي الدروبي . . .
تحية طيبة . وبعد فيسرني أن أعلمكم بأن مجلس جامعة دمشق وافق في جلسته المنعقدة في ١٠/ ٥/ ١٩٧١ على قبول الكتب العلمية التي قد متموها هدية منكم إلى مكتبة الجامعة ، وقرر توجيه الشكر لكم على هذه الهدية القيمة .
وإنني إذ أنهي إليكم ذلك لا يسعني إلا أن أشكركم باسمي على وفائكم للجامعة التي تعتز بأنكم كنتم أحد أركانها . وما زلتم تعملون في سبيل تقدمها وازدهارها محيياً فيكم الإخلاص للجامعة وبركم بها .
وتفضلوا بقبول فائق التقدير .

وزير التعليم العالي
رئيس جامعة دمشق
الدكتور شاكر الفحام .

الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
الشؤون الادارية

التصنيف :
الموضوع :

الرقم : ١٦١٠ ج

السيد الاستاذ الدكتور سامي الدروبي
المحترم

تحية طيبة :
وبعد فيسرني ان اعلمكم بأن مجلس جامعة دمشق وافق في جلسته المنعقدة في ١٩٧١/٥/١٠ على قبول الكتب العلمية التي تدعونها هدية منكم الى مكتبة الجامعة وقرر توجيه الشكر لكم على هذه الهدية القيمة .

واني اذ انهي اليكم ذلك لايسعني الا ان اشكركم باسمي على وفائكم للجامعة التي تعتز بانكم كنتم احد أركانها وما زلتم تعملون في سبيل تقدمها وازدهارها محيياً فيكم الاخلاص للجامعة وبركم بها .

وتفضلوا بقبول فائق التقدير
دمشق في ١٩٧١/٥/١١

وزير التعليم العالي
رئيس جامعة دمشق
الدكتور شاكر الفحام

رسالة الدكتورا شاكر الفحام

بعد عدة سنين ، أذكر ذات يوم عاد سامي من السفارة في مدريد وكان قد نقل سفيراً لاسبانيا وأعطاني رسالة وصلته من جامعة دمشق كان على شفتيه ابتسامة . . . وبنظرته كلاماً . . . فضضتها وهذه هي صورة عنها .

الجمهورية العربية السورية .

جامعة دمشق

السيد الأستاذ الدكتور سامي الدروبي تقوم المكتبة المركزية بجرد محتوياتها وتعد سجلات جديدة لها ، وقد تبين للجنة الجرد المكلفة أنكم كنتم استعرتم الكتب المذكورة رفقاً .

فيرجى التكرم بالعمل على إعادة المطبوعات إلى مكتبة جامعة دمشق بأقصر وقت ممكن . واثقين من حبكم للجامعة ورغبتكم في إنماء مكتبتها التي هي عمود الدراسة والبحث وتقبلوا أطيب تحياتنا .

دمشق في ٢٤/ ١٠/ ١٩٧٣

رئيس جامعة دمشق

الدكتور عبد الرزاق قدورة

وقد رد عليه سامي بهذا الجواب :

السيد الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قدرورة رئيس جامعة دمشق

تحية طيبة وبعد . فبقدر ما سرّني وأبهجني أن أقرأ تحيتكم الكريمة التي زينتم بها الرسالة التي أرسلتها إليَّ المكتبة مطالبة ببعض الكتب ، فقدذ ساءني من نفسي تقصيري عن تصفية أمر هذه الكتب ، التي نقلناها من المكتبة المركزية إلى المكتبة الخاصة التي أنشأتها في مخبر علم النفس لتكون في متناول الأساتذة والطلاب كأدوات عمل مستمرة ، ويبدو أنني ـ من فرط تحمسي لوجود هذه «الكتب ـ الأمهات» في مخبر علم النفس قد ارتضيت أن تكون استعارتها باسمي ، فكان أن أصبحت مديناً بها وما هي في حوزتي .

ومهما يكن من أمر ، فإنني مستعد لدفع ثمن أي كتاب تعتقدون أنني مسئول عن فقده .

وإني إذ أهنيء الجامعة بكم ، أعرب عن عظيم تقديري لكم .

سامي الدروبي

الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

السيد الاستاذ الدكتور سامي الدروبي

تقوم المكتبة المركزية بجرد محتوياتها وتعد سجلات جديدة لها وقد تبين اللجنة الجرد المكلفة أنكم كنتم استعرتم الكتب المذكورة رفقا .

فيرجى التكرم بالعمل على اعادة المطبوعات الى مكتبة جامعة دمشق بأقصر وقت ممكن واثقين من حبكم للجامعة ورغبتكم في انماء مكتبتها التي هي عمود الدراسة والبحث

وتقبلوا أطيب تحياتنا .

دمشق في ٢٤/١٠/١٩٧٣/٥

رئيس جامعة دمشق

الدكتور عبد الرزاق قدورة

مع أطيب تحياتي في [illegible] وتمنيات محبتي .

رسالة الدكتور عبد الرزاق قدوره .

لله درك يا سامي . . . كم أنت كريماً وكبيراً . . . بهذه الروح الرياضية أجبت جامعة دمشق حين تسألك عن كتابين استعيرا باسمك للجامعة نفسها . مع أنك أهديت الجامعة مكتبتك كلها .

المربي بعد رحيل سامي . . . كان علي أن أقوم بأعمال كثيرة في دوائر الدولة . . . وهذه مهمة كنت وما زلت أمقتها . . وحصل معي حادثة أعطت ضوءاً على شخصية سامي المربي . . .

في إحدى زياراتي لدوائر الدولة . لمتابعة عمل ما . . . وجدت المدير العام في انتظاري . . . واستقبلني بترحاب واحترام وأمر لي بفنجان قهوة في حين أمر أحد معاونيه بمتابعة الأوراق . . . . فحين شكرته قال :

لاشكر على واجب . . . فأفضال الدكتور سامي كبيرة على البلد . وأفضالك أنت كبيرة علينا . . .

قلت له :

أن تكون أفضال سامي كبيرة فأنا أقرها معك بكل تواضع . أما أن تجاملني فتقول أفضالي أنا فإنني أعترض عليها .

قال : يشهد الله لا أقول هذا مجاملة . ولكنها الحقيقة ولأبدأ القصة من أولها .

كنا طلاباً في يوغسلافيا . حين كان المرحوم الدكتور سامي هناك سفيراً . وكنت من الطلاب الأوائل في السنتين الأولى والثانية . بعدها توفي والدي وطُلب إلي أن أعود لسوريا لعدم تمكن الوالدة من تسديد مصروفاتي . . . ولكنني رفضت العودة طامعاً أن أعيل نفسي . . . وأتابع دراستي . . . وفعلاً بدأت أعمل . . . وكان عملي على حساب دراستي التي تقهقرت .

أفاجأ في يوم برسالة من السفارة تستدعيني لمقابلة السفير شخصياً . . .

أذكر حين دخلت إلى غرفة السفير مندهشاً ومتهيباً ، استقبلني بلطف وقال :

لا تستغرب استدعائي لك . إنه بحكم عملي كمربي واستاذاً بجامعة دمشق سابقاً أحرص كل الحرص أن أدرس حالات طلابنا في يوغسلافيا مع

مستشارنا الثقافي . وقد لفت نظري ، وأزعجني ، أنك في السنتين الأولى والثانية ، كنت متفوقاً ومن الأوائل . . . أرى وضعك الآن سيئاً نما هي الأسباب ؟؟.

أجبته سيادة السفير بكل بساطة توفي والدي . . . وانقطعت دراهمي . . وقررت أن أعمل لأعيل نفسي على حساب دراستي . . . وهأنذا أعمل في مطعم . . .

نظر إليّ رحمه الله نظرة عميقة ملؤها الحنو ، وقال :-

اترك العمل المرهق هذا . . . وانتظم في الجامعة . . . وفي يوم الأحد إجازتك خصص ساعتين من وقتك من العاشرة إلى الثانية عشرة صباحاً لتعطي دروساً باللغة العربية . لأولاد السلك الدبلوماسي العربي . . . فجميعنا يبحث عن استاذ للغة العربية .

وفعلاً عدت لجامعتي وصرت أذهب صباح يوم الأحد إلى منزل السفير الذي حول احدى غرف المنزل إلى صف لطلاب اللغة العربية . . . . بعد انتهاء الدرس كان السفير يدعونا للغداء السوري الذي كنا نشتهيه في الغربة . . . . وإنما لهذا أشرت سيدتي على أفضالك أنت ، لا فقط أفضال المرحوم الدكتور سامي علينا . . . حيث تابعت الدراسة وعدت طالباً متفوقاً بفضل طريقته التربوية الممتازة رحمة الله عليه .

اغرورقت الدموع بعيوني وقلت :

رحمة الله عليك يا سامي . . . أنت تعمل العمل الصالح ونحن نجني الثمر مع الأصلاء الذين لاينسون المعروف .

الغائب الحاضر حين اجتمع مع أصدقاء سامي أشعر بوجوده معنا وأكاد أنسى أنه رحل ، ربما من طريقة تفكيرهم ، أو من نوعية أحاديثهم أو من اسلوب كلامهم . . . وإنني أرى أن بكل واحد منهم شيئاً من سامي . . . لذا قلما أو بالأصح نادراً ما أتخلف عن اجتماعهم الدائم صباح كل يوم جمعة في منزل الدكتور بديع الكسم . . . . وقلما تخلو جلسة من التحدث عنه أو من ذكره . . .

وحين أكون خارج دمشق أحرص على زيارة أصدقائنا أينما كانوا . . .

فمثلاً في صيف هذا العام كنت باللاذقية فزرت الدكتور وهيب الغانم . . .

مع أنه مضى وقت طويل لم نره تقريباً من أيام الوحدة بين مصر وسوريا . . .

كان لقاؤنا مؤثراً . . . كانت زوجته وهو ينظران إليّ ويحولان عيونهما عني بحثاً عن نصفي الغائب الحاضر . . . . والذي كان حضوره أقوى من غيابه . . . الكلام عنه عطراً . . . مسكت القلم وسجلت حرفياً حديث الدكتور غانم إذ قال لجميع الزوار الذين امتلأت بهم الشرفة المطلة على البحر

بعد أن عرَّفني عليهم وتحدث عما يعرف عن زوجي ، وما يرى في أدبه ، قائلاً :ـ

لقد أتيحت لي بإحسان فرصة . . .لتحقيق أمنية كنت أتوق دائماً إلى إنجازها . . لا لأن سامي صديق عهد الشباب الزاهر ، ورفيق أيام البدايات الخلاقة ، وإنسان تتحقق فيه الكلمة الشعبية : «الأسماء تنزل من السماء» بأحلى صورها . وإنما لحافز أقوى من كل هذا :

هو تقديم ما احسست به أيام انتاج سامي . . .

تلهفاً إلى أن يشد ذلك أنظار الجيل أكثر فأكثر إلى ذلك الانتاج .

قرأت لسامي في البدء حباً به كرفيق ، وصديق ، وتشوقاً إلى أن أرى ما يستطيعه إنسان أعرفه وأحبه . ولكن سرعان ما صرت أقرأ له شغفاً بما يختار ، وتذوقاً للجمال والوضوح في ما ينقل .

قلت : الجمال والوضوح . .

صفتان تزينان لدى سامي جو كتاباته ، فتشعر أنك بالعذوبة تلف إنتاجه ،

عذوبة الأسلوب . .

عذوبة الجملة . .

عذوبة الكلمة . .

فإذا أردت أن تتقص الأسباب لم تجد عناءاً كبيراً في احتوائها .

كان سامي يترجم لنفسه . .

كان مغرماً ، متيماً بمواضيعه . .

ذواقة أدب . . يطّلع على الرائع . . يضع يده على الكنز فيتمنى من الأعماق أن ينقله إلى كل الناس ، ليشركهم في الثروة والفرح .

هل يعرض الآخرون عن موازينه ؟ لابأس . إنه يكتب للقادمين . . للمستقبل . . فالشّعب لن يظل غافياً . .

إنه في سبيل النهوض من الكبوة . .

ولسوف ينهل قريباً ، وبدون ارتواء ، من مناهل الأدب المنعشة .

ما كان يخطر لسامي الدروبي أيّ ربح مادي .

بل إن بداياته قد تكون كلفته خسارات مرهقة .

وما ضرّ ؟ أليس العشق غبطة الحياة الكبرى . . تتلاشى أمامه مفاهيم الثواب والعقاب . ؟

يكتب تجار الكلمة فيحققون لأنفسهم مايسمونه : ثراء المال . أما سامي . . فكان يكتب ليمتع نفسه ،، وشعبه ، بما يسمى كنوز الأدب والفكر ، التي لاتقدر بالأثمان .

تمنيت دائماً أن يبدي الأدباء في اللغات التي نقل عنها رأيهم في ترجماته وكان سروري غامراً عندما علمت أن كباراً منهم يرونها نسخاً أمينة عن الأصل ، لا تقتصر على التعريب الأمين فقط ، وإنما تنقل أيضاً النكهة الأدبية ، وتصور الأجواء بكاملها

ربما كانت مؤلفات سامي نادرة . . . لظروف لايعنيني تقصيها الآن إلا أنه ، من خلال ما ترجم ، تكشّف عن أديب موهوب ، أصيل .

وإنه لينذر ـ على قدر ما أعلم ـ أن نجد انساناً مثله ، سيما عن طريق الترجمة ، إلى مصاف الأدباء ، المبدعين . .

هل أذكر في هذا المجال . ثروة عكاشة . . عادل زعيتر . . . محمد عوض محمد ؟

والآن . . وقد توقف القلب الكبير تظل انجازاته تواصل العطاء . . متمنياً أن ينهلوا من ينابيع الجمال ، فإنني لأشعر بالارتياح والفرح كلما وجدت كتاباً يتلألأ عنوانه بعبارة : ترجمة سامي الدروبي .

أعرفتم لماذا حين أجتمع مع أصدقاء سامي أشعر بوجوده معنا وأنسى أنه رحل . . .

في أواخر شهر كانون الأول «يناير» سنة ١٩٨١ ,زرت القاهرة ومن الأصدقاء الذين أحرص على زيارتهم كلما زرت مصر . الأستاذ محمد حسنين هيكل والسيدة حرمه . وفعلاً بزيارتي لهم الأخيرة دخل إلى الصالون أحد أبنائهما وحياتي . . وقال له الأستاذ هيكل :

أعرفك السيدة احسان زوجة الدكتور سامي الدروبي . . الذي كنت أحدثك عنه أمس وتابع الأستاذ هيكل كلامه :

من المصادفة أنني أمس جلست مع ابني وكنت أستعيد بعض المواقف للرئيس عبد الناصر ، وإذا بي أتذكر سامي وأتذكر كلمة اعتماده التي قالها أمام الرئيس عبد الناصر فقلت لابني :

لم يسبق في تاريخ الدبلوماسية أن قيل مثل تلك الكلمة . . . وأذكر كذلك صوراً عن سامي حين استقبلتم استقبالاً حاراً الرئيس عبد الناصر في بلغراد وكان هذا الموقف يضايق الحكومة السورية آنذاك . . . وأثناء الحديث دخلت هدايت «زوجة الأستاذ هيكل» . وقالت لي : يامحمد إحسان الدروبي في مصر وتحدثت بالتلفون الآن وستزورنا غداً مساءً . . . قلت ياالها من صدف الآن أذكر سامي !

نظرت من الشرفة إلى النيل الذي أحبه سامي حتى العشق وقلت :

رحمة الله عليك يا سامي . . .

كلمة تكتبها من قلبك وبصدق . . .

وتَصرُّف يمليه عليك موقف وطني . . .

يتحدث به جيل لجيل . . بعد كذا سنة .

دعيت من قبل صديقنا الأستاذ أحمد بهاء الدين وحرمه إلى الكويت وكان وقتها رئيس تحرير مجلة

العربي . . . لن أنس دعوة الغداء التي دعينا إليها خارج مدينة الكويت ، «في البر» مع الأستاذ عبد الله النيباري وحرمه . وحين أخذوا

يسألونني عن كتب وترجمات سامي . . . وكيف يمكن الحصول على المفقود منها .

كم شجعوني على إعادة طبعها . . . ومن أحلى التحليل لترجمات سامي لدوستويفسكي كان أن ما تميزت به ترجمة سامي ليست فقط بلاغة اللغة بل ما تمتع به من دراسة لنفسية الكاتب بحكم إختصاصه في علم النفس جعلت فهمه لروح المؤلف فذه ونادرة . . . ولن أنس كذلك السهرة في منزل الأستاذ محمد مساعد الصالح وزوجته حصة والحديث الذي دار في ذلك المساء وفي صباح اليوم الثاني أرسل لي الصحفيه الآنسه غاليه قباني من أجل نشر حديث في جريدة الوطن الكويتية التي هو رئيس مجلس إدارتها .

وعلى ذكر الأستاذ أحمد بهاء الدين تذكرت مرة عاد سامي من زيارة للسيد الرئيس عبد الناصر فقال بإعجاب عنه : -

ياله من رئيس دوله عظيم إنه يعرف كيف يقيم الأشخاص حتى الذين يختلف معهم في الرأي فمن اختلف معه بشرف وبدون دوافع مشبوهة لا يحاربه بل يحترمه .

هل تتصوري يا احسان أن مذكرة توقيف لبهاء بصفته نقيباً للصحفيين قد صدرت بعد بيان نقابة الصحفيين بتأييد المظاهرات التي قامت ضد صدور أحكام خفيفة على قادة سلاح الطيران في ٥ حزيران ١٩٦٧ .

لكن الرئيس عبد الناصر يعرف أن بهاء شريف وليس هنالك دوافع مشبوهة له لذا قال لي : -

«يا أخ سامي بلغ صاحبك بهاء ان يوم المظاهرات كانت أمامي مذكرة بطلب اعتقاله . لكنني لم أعتقله لأنني أعرف أن هذا رأيه المخلص ، وليس وراءه دوافع أخرى «إن عقله كده» .

لقد ذكر الأستاذ بهاء هذه الحادثة في جريدة القبس الكويتية بعدد ٣٠٨٠ في ٩/١٢/١٩٨٠ حين قال : -

كان السفير السوري في مصر المرحوم سامي الدروبي في زيارة للرئيس عبد الناصر وكان صديقاً مقرباً منه . وكان يعرف صداقتي الحميمة لسامي فقال لي . -« . . . وأشار لما ذكرت سابقاً .»

كانت أمامي مذكرة يطلب اعتقاله . . . .

كذلك كنت أحرص على حضور أمسيات كل يوم الجمعة حين أكون في القاهرة في منزل الدكتور عبد العزيز الأهواني .

وفي آخر زيارة من تلك الاجتماعات قال لي :

يا أم مصباح كتبت مقالة . . .

وأهديتها إلى روح الدكتور سامي الدروبي . . . لم تنشر بعد . . .

وأعطاني المقالة . .

بعد عودتي بأيام سمعت خبر وفاة الدكتور عبد العزيز الأهواني المفاجئة بجلطة قلبية .

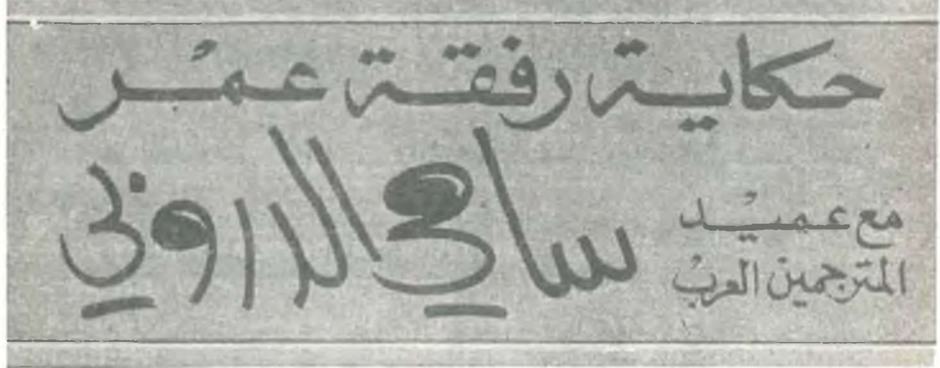
تساءلت بيني وبين نفسي . تُرى هل أعطاني المرحوم الدكتور الأهواني هذه المقالة . . . وهي بخط يده . . لإحساسه أن المنية قريبه . وليوصيني على نشرها !!

ها أنذا أوصل الأمانه . . وأنشرها باسمك وبإهدائك ضمن هذا الكتاب .

فرحمة الله عليك أيها الصديق العزيز .



احسان الدروبي





● سامي الدروبي

اجرت اللقاء غالية قباني

حين يرحل عنا المشاهير نشعر برغبة شديدة لاعادة فتح ملفهم الشخصي ومعرفة جوانب من شخصيتهم لم نكن لنهتم بها كثيرا اثناء حياتهم · ربما بسبب الفضول الذي يدفعنا لنتساءل : هل ان المشاهير يختلفون عنا ؟ ·· وان كانوا كذلك فبماذا ؟ ·· في حالة كهذه ـ حالة الفضول ـ لا يوجد امامنا غير الاشخاص الذين عايشوا ذلك الشخص وكانوا لصيقين به · وفي اغلب الاحيان لا يوجد اقرب من الزوجة ·· احسان الدروبي ·· رفيقة درب الاديب والسفير العربي الراحل الدكتور سامي الدروبي زارت الكويت مؤخرا قادمة من بغداد حيث ابرمت اتفاقا مع وزارة الثقافة العراقية على اعادة طبع الاعمال الكاملة لدستويفسكي التي ترجمها سامي الدروبي اثناء حياته ·

وفي لقائي معها استشعرت لهفتها للحديث عن كل ما يخص رفيق الدرب · في نفس الوقت الذي ترفض فيه لقب ارملة سامي الدروبي ·· انا لا اصدق ان رجلا كزوجي يمكن له ان يرحل عن هذا العالم ·· فهو باق باعماله واثاره ·

مقال غاليه قباني .

بقلم: أحمد بهاء الدين



● رفعت الاجهزة الرسمية مذكرة باعتقالي .. واوقفها عبد الناصر

تفكير عبد الناصر

ولاعطك صورة عن طريقة عبد الناصر في التفكير وفي تقييم الاشخاص ، اذ كان يغضب ولكنه لا يحارب من يشعر انه يختلف معه بشرف ودون دوافع مشبوهة .. فدعني اروي هذه الواقعة :

ففي خلال تلك السنة التي كنت فيها نقيبا للصحفيين قامت المظاهرات العنيفة المعروفة بعد صدور احكام خفيفة على قادة سلاح الطيران .. وكاد يتكرر حريق القاهرة . وكانت النصيحة التي قدمت لعبد الناصر — كما عرفنا فيما بعد — هي انزال الجيش واطلاق النار للسيطرة على الموقف ..

يومها ، قررت كل النقابات المهنية اصدار بيانات تؤيد المتظاهرين ومن ضمنها مجلس نقابة الصحفيين .

وفجأة ، صدرت تعليمات لكل النقباء ، من الاتحاد الاشتراكي ، بعدم اصدار اي بيانات في تلك الايام العصيبة .

وقلت لمن اتصل بي تليفونيا : البيان في جيبي . وهو يدعو الدولة الى الاستجابة الى مطالب المتظاهرين التي اعتقد انها مطالب وطنية . وموعدي في النقابة السادسة مساء لاصدار البيان . ولديكم احد امرين : اما اصدار امر بتحديد اقامتي فلا اخرج من البيت ، وتكونون انتم المسؤولين عما سيحدث من احتشاد ..١٥٠٠ صحفي واما ان اذهب الى النقابة ، واصدر البيان ، وانا المسؤول عما يحدث .

مذكرة باعتقالي

وهذا ما كان بالضبط !

وكنا النقابة الوحيدة التي اصدرت بيانا !

وبعد ايام ، تبنى عبد الناصر تقريبا ما اقترحناه ، حين ذهب الى العمال في حلوان واعلن بيان ٣٠ مارس والقى خطابه الشهير « الشعب يقول كذا .. وانا معه ! » .

وتناسينا كل الاجهزة الرسمية .

وبعدها بشهور ، كان السفير السوري في مصر المرحوم سامي الدروبي ، في زيارة لعبد الناصر . وكان صديقا مقربا منه . وكان يعرف ايضا صداقتي الحميمة معه ، فقال للمرحوم سامي الدروبي مجاملا : ابلغ صاحبك بهاء ان يوم المظاهرات كانت امامي مذكرة بطلب اعتقاله .. ولكنني لم اعتقله لانني اعرف ان « نيته كده » .

اي ان هذا رأيه الخاص ، وليس وراءه دوافع اخرى رحمه الله ..

وآسف اذا كانت « نشوة » القارئ الكريم قد جعلتني استرسل وراء هذه الذكريات .

- مقال أحمد بهاء الدين .

الدعوة إلى العروبة في مصر

. . . .

ذكريات أهديها إلى روح الصديق العظيم سامي الدروبي لأنه شارك في صنعها .

عبد العزيز الأهواني

. . . . .

لم يكن الأمر سهلاً ولا يسيرا ، إنه أشبه ما يكون بالتحول من دين إلى دين .

إن الدعوة إلى العروبة بين الشباب الجامعي المصري خلال الثلاثينات والأربعينات كانت مهمة عسيرة ، تكاد تذكر بالدعوة ألى الإسلام بين أهل مكة ،. كيف نقنع الشباب المصري بأن مصر جزء من وطن كبير ، هو الوطن العربي ؟ وكيف نقنعهم بأن المصريين شعب من أمة أكبر : هي الأمة العربية ؟ وكيف نجعل لهذه الأمة العربية دوراً حضارياً حيّا بين أمم العالم اختلف عن دور مصر القديمة ؟ كيف نجعل لها رسالة إنسانية تميزها عن أمم أخرى اشتركت معها في العقيدة الدينية ؟

ماذا تستطيع «جماعة الطلبة العرب» التي تكونت في كلية الآداب بالجامعة المصرية في أوائل الأربعينات أن تفعل في هذا السبيل ؟

كان ذلك الجيل من الشباب المصري تلامذة لجيل ثورة سنة ١٩١٩ . وكانت تلك الثورة ذروة الوطنية المصرية الخالصة . أو بعبارة أخرى ذروة «القومية المصرية» فلقد كانت كلمة الوطنية في ذلك الوقت تعني تماما كلمة القومية في الوقت الحاضر بكل ما تحمل من معان سياسية وعاطفية . وكانت كلمة «شعب» حين تضاف إلى مصر مرادفة لكلمة «أمة» .

كانت الأناشيد الوطنية لا تحمل غير اسم مصر موصولا بمصر الفرعونية . وكانت خطب الزعماء قبل سنة ١٩ وبعدها لا تذكر غير مصر متفردة عن غيرها .

وكانت بلاغة سعد زغلول بكماء فيما يتصل بالعرب والعروبة . وكانت الأقطار التي تتكلم العربية عند الزعيم اصفاراً على اليسار حين يخاطب في نوع

من التعاون السياسي بينها وكانت عبقرية سيد درويش في أغانيه وأوبراته ، ونبوغ مختار في تماثيله لا تستوحي غير الحياة في مصر القديمة أو مصر الحديثة . وكانت أقلام الأئمة من الكتاب ، فضلاً عن الناشئين ، وقصائد المخضرمين من الشعراء والمحدثين تلهج بوحدانية مصر وتفردها عما حولها منذ أقدم العصور ، وتتحدث عن السبق المصري في مضمار الحضارة ، وأستاذية مصر لكل شعوب الأرض . وكان من يفدون إلى الغرب الأوربي من طلاب البعثات المصرية يرون المتاحف الكبرى هنالك ممتلئة بروائع التحف الفرعونية ، ويرون المسلات المصرية تزين أكبر الميادين في باريس وروما ، ويستمعون إلى أساتذه الغرب يتحدثون ويكتبون عن مصر القديمة في فتنة وإعجاب ، ولا يكادون يذكرون شيئاً عن مصر الإسلامية أو العربية . فكان هؤلاء الطلاب لا يجدون ذواتهم إلاّ في الانتساب إلى مصر الفرعونية ، ويمتلئون زهواً بأجدادهم قدامى، وتراودهم الأحلام في أن يبعثوا مصر القديمة لتحيى مرة ثانية في مصر الحديثة . بل إنهم ليرون أنها لا تزال حية ، ويلتمسون كلمات عامية شائعة بين الناس يردونها إلى أصول اللغة المصرية القديمة ، وعوائد وتقاليد في الأفراح والموالد الدينية والمآتم والسلوك الفردي والجماعي يرونها مصرية خالصة ، وإن تخفت في ثوب إسلامي . وصدرت في هذا السبيل كتب ومقالات تؤكد أن مصر هي هي ، لا تشبه غيرها ولا يشبهها غيرها ، عند من ينظر إلى الجوهر واللب لا المظهر.والقشور . وكان لهؤلاء الكتاب عثرات لا تقال ، فيقفون عند ظاهرة شعبية يردونها إلى ميراث مصر القديمة تصورا منهم أن مصر انفردت بها ، ولا يعلمون أن نفس الظاهرة كائنة في كل البلاد العربية . مثل حديثهم عن تلقين الموتى وعن اليوم الأربعين بعد الوفاة إلى عشرات الطقوس والعادات . فان أحرجوا زعموا أن مصر هي المصدّرة لأقطار العرب وأقطار العالم كله .

في هذا الجو الرومانسي العاطفي من الاعتزاز بمصر الفرعونية والزهو بالانتساب إليه ، كان القول بين الشباب المثقف بعروبة مصر ، وبأن المصريين عرب ، أشبه ما يكون بالصوت النشاز بين أصوات متناغمة .

في هذا الجو اجتمع عدد من الطلاب الوافدين للدراسة في كلية الآداب

المصرية من أقطار عربية ، وفكروا في أن ينشئوا «جماعة الطلبة العرب» . منهم طلاب من سورية ومن العراق ومن المغرب ومن السودان وقلة من المصريين . وكان لا بد من تقدم بطلب الإنشاء إلى المسئولين عن اتحاد الطلبة بالكلية . وكان الطلب يبدو غريباً . فالجمعيات التي تنشأ في الكلية ضمن اتحاد الطلبة هي جمعيات رياضية أو ترفيهية أو ثقافية تتلقى معونة مالية محدودة عند توزيع ميزانية النشاط الطلابي أثناء العام . وهذه الجمعيات أو الجماعات مفتوحة أمام طلاب الكلية جميعا ، وكلهم قابل أو مهيأ للانضمام إليها . وجماعة الطلبة العرب نمط لا يدخل تحت هذا العموم فالطلاب العرب هم الوافدون . ولا يعتبر الطلاب المصريون عرباً ، فهي جمعية محدودة كما يقال في وصف الشركات التجارية . ثم كان التساؤل عن النشاط الذي تمارسه جماعة تحمل هذا الاسم بين أنواع النشاط المعترف بها في الاتحاد ؟ ولولا رعاية الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام لهذا الطلب واستعداده لأن تكون الجماعة تحت إشرافه لما صرح للجماعة بالقيام . ومع ذلك فقد كانت النظرة إلى الجماعة من وجهة النظر الرسمية أشبه بجماعة (غرباء) يحتاجون إلى شيء من رعاية اجتماعية أو مالية .

ولكن أفراد الجماعة كانوا يعرفون مهمتهم ، ويدركون الصعاب التي ينبغي مواجهتها ، إنهم يطالبون أنفسهم بأن يبثوا بين الشباب المصري فكرة القومية العربية ، وعليهم أن يلتمسوا كل طريق ليحققوا نجاحاً مهما يكن قليلاً . وهذه المهمة سياسية في المقام الأول . وكان النشاط السياسي لطلاب الجامعة في ذلك الوقت نشاطاً حافلاً واسعاً ، ولكنه لم يكن في صورة جماعات أو جمعيات تنشأ تحت رعاية اتحادات الطلبة ، وإنما كان على صورة لجان طلابية ترتبط توجيها وتمويلا بأحزاب سياسية خارج الجامعة . ولم يكن في مصر للعروبة حزب . ولم تكن الأحزاب القائمة لها نزوع عربي ليصبح دعاة العروبة من الطلاب فرعا من حزب سياسي أو لجنة له داخل الجامعة تظفر بالتمويل والتوجيه . لقد كانت جماعة منقطعة لا تعتمد على قوة خارجية ، ولا يراود أعضاءها ما يراود أعضاء الجماعات الحزبية من آمال بعد التخرج من الجامعة ، بل وقبله . وفضلاً عن ذلك فأعضاء هذه الجماعة لم يكونوا من

محترفي السياسية . وكانت جديتهم في الدراسة العلمية وحرصهم الشديد على التفوق العلمي لا يتيح لهم الفراغ الذي يتاح لآخرين .

وبدأت الجماعة نشاطها بما تفعله كل جمعية ثقافية : المحاضرات والندوات تعقد في قاعات الكلية في المساء بعد انتهاء المحاضرات الجامعية . فاستقدمت الجماعة عدداً من المفكرين من أصحاب الأسماء المعروفة ليحاضروا في موضوعات تتصل بالعروبة وبحاضر الوطن العربي وبفكرة الوحدة العربية . وكان أكثر هذه المحاضرات لاترضي الجماعة تمام الرضا . لأن المحاضرين وهم من جيل سنة ١٩ ، كانوا مترددين في التسليم بما تسلم به الجماعة من مبادىء . وتذكر الجماعة في هذا السبيل محاضرة ألقاها الكاتب الصحفي الكبير محمود عزمي . لقد كان من أكبر الصحفيين استنارة ، ومن أوسعهم تصوراً لقضايا السياسة العالمية ، ولما يتمخض عنه العالم من تطور وانتقال في مر... القوى السياسية . ومع ذلك فإن الصحفي الكبير كان يرى أن الصحيح هو أن يقال «بلاد العربية» لا «البلاد العربية» يريد أن الظاهرة المشتركة بين هذه البلاد استخدام اللغة العربية . أما وصف البلاد نفسها بالعربية ودلالة ذلك على أن أبناءها عرب فأمر فيه شك ، أو هو أكثر من ذلك أمر غير صحيح من حيث الدقة العلمية . وتذكر الجماعة أن الدكتور عبد الوهاب عزام عقب مداعباً على الصيغتين بأن الفارق بين الجماعة وبين الأستاذ محمد عزمي هو «أل» وهي عند بعض النحاة «حرف» وحذفه أمر هين ، وأمل اللقاء بين الجماعة والمحاضر كبير .

وفي الحق أن هذا الخلاف ينطوي على قضية غير هينة لها تاريخ طويل . وكانت جماعة الطلبة العرب أيضاً تتورط حينما يتورط فيه مخالفوها من تضييق مفهوم القومية وربطه بعنصر الجنس البشري أو الأرومة أو العرق ربطاً يدخله في علم الأجناس البشرية بأكثر مما يدخله في نطاق الثقافة الانسانية الخاصة بجماعة من البشر . ولعل هذا المفهوم الضيق الذي كان سائداً في تلك الحقبة الزمنية كان من أهم الأسباب في أن جماعة الطلبة العرب لم توفق كثيراً في اقناع الشباب المصري بعروبة مصر . وأحسب أن هذا التضييق في معنى القومية كان أثراً من آثار الثقافة الأوروبية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن

العشرين ، وأحسب أيضاً أن له ما يبرره في تراثنا الثقافي العربي القديم لما ازدهر علم الأجناس أو السلالات البشرية Ethnology في الغرب تلقفه دعاة القوميات الأوروبية . وهو علم يقوم على اثبات الفروق المادية بين الأجناس من حيث شكل الجماجم وحجم الهياكل العظمية وما يتبع ذلك من خصائص مزاجية وعقلية ونفسية ـ وكذلك جعل بعض دعاة القومية في أوروبا حجر الزاوية في القوميات وقاعدة البناء فيها مرتكزاً على خصائص ثابتة للأقوام ترتد إلى تكوين جثماني متميز وبالغت القومية الألمانية ، والحركة النازية فيها بنوع خاص ، في هذا السبيل مبالغة جرت الكوارث على الدنيا . ومع ذلك لم تسلم القوميات الأوروبية الأخرى من مثل هذه النزعات المتطرفة . وأصبحت فكرة الأصل البشري المشترك للقومية فكرة تجتذب المشاعر وتثير الحماسة . وكادت تلغي العناصر الأخرى . وانحرفت الفكرة القومية إلى شوفانية غير متعقلة .

ويبدو أن هذا المفهوم في الوقت الذي نتحدث عنه لم يكن بعيداً عن أذهان دعاة القومية العربية ولا دعاة (القومية) المصرية أو (القوميات) الإقليمية في أكثر من قطر عربي . ومن هنا كان النقاش العقيم في أن المصريين عرب أو غير عرب . وفي التراث العربي ما يشير إلى أن هذا الاتجاه بعد الفتوحات العربية كان الشغل الشاغل لكثير من الناس . فالتفرقة بين عرب وعجم وبين عرب ومستعربين كان قائماً ، وكان من الطبيعي أن يكون قائماً بعد الفتوح العربية لأقطار تسكنها أجناس أخرى لم تتعرب بعد . ولكن الأمر انتقل أيضاً عند بعض كتابنا القدامى إلى التماس خصائص ثابتة لكل جنس ، من يونان وفرس وترك وسودان وعرب ، وبربر ، وإن لم تأخذ المنهج الحديث الخاص بعلم الأجناس والسلالات البشرية في العصر الحاضر .

وكان لهذا كله أثره في تفكير جماعة الطلبة العرب . فعلى الرغم من أن الجماعة ركزت على فكرة التعرب ووحدة الثقافية العربية التي صنعتها لغة واحدة مشتركة ، فقد دخلت مع ذلك في مناقشات تتصل بالسلالة البشرية ، وبأصل المصريين القدماء ومن أين جاءوا وإلى أي الأجناس ينتمون ، كما

ناقشت الجماعة مع المصريين الهجرات التي توالت على مصر من قبائل جاءت من الجزيرة العربية قبل الاسلام وبعده . وامتد الأمر أيضاً إلى البربر سكان المغرب الكبير وأصولهم وهجرات قديمة إلى بلادهم من اليمن والشام تحدث عنها بعض النسابة البربر والعرب .

وليس من شك في أن المفهوم العروبة إذا اتخذ هذا المنطلق كان أقرب إلى أن يثير الخلاف والجدل منه إلى أن يدعو إلى الاقناع والموافقة . على حين أن التركيز على اللغة والتراث الثقافي والمصالح المشتركة ووحدة المصير أجدر بقومية كالقومية العربية شملت وطناً واسعاً مترامي الأطراف كالوطن العربي وجمعت شعوباً عديدة قديمة وحدت بينها آلام وآمال مشتركة عبر تاريخ طويل .

وسلكت الجماعة طريقاً آخر في الدعوة هي أن تقوم بزيارة عدد من القادة المشتغلين بالقضايا السياسية العامة وما يتصل منها بالوطن العربي أو المنطقة العربية ، بدعوى الاستفادة من تجاربهم وتلقي النصائح منهم . ولو شاءت الجماعة الصدق لقالت لبث روح العروبة في أولئك القادة وإغرائهم على السير في طريق الوحدة العربية . وتذكر الجماعة من بين هؤلاء القادة محمد علي علوبة باشا . وكان للرجل عناية بالقضايا العربية ، فاشترك في عدد من أحداث الوطن العربي ، وكان عضواً في لجنة للوساطة بين اليمن والعربية السعودية حين قامت الحرب بين القطرين .

ومن هذه اللقاءات والزيارات وضح الفرق بين فهم الجماعة للعروبة وبين فهم كثير من القادة المصريين لها . فعلى حين أن فهم الجماعة للعروبة كان واضحاً ، وكانت حدود الوطن العربي عندها ثابتة ، كان أكثر القادة المصريين يخلطون بين العروبة وبين الاسلامية أو يخلطون بين العروبة والإسلامية من جانب وبين المشرقية بمعناها الواسع من جانب . وكان لابد للجماعة من التلطف في مناقشة هذا الأمر مع أولئك القادة تلطفاً يعين على تصحيح الفكرة ولايحدث قطيعة أو نفوراً أو سوء ظن .

وليست تخفى الأسباب القريبة التي جعلت العروبة مختلطة بالإسلامية في مصر وفي أقطار المغرب العربي لظروف النضال السياسي وحركات

الاستقلال في هذه المنطقة . فعلى حين كان النضال في المغرب العربي بما في ذلك مصر ضد مستعمر أوروبي يختلف ديناً عن المناضلين ، كان نضال الشام والعراق ضد الترك أو الفرس وهم يتفقون مع المناضلين ديناً . وعلى حين كانت العشائر البدوية في العراق والشام مرتبطة ارتباطاً متصلاً بالقبائل البدوية في الجزيرة العربية بما يذكر بالعرق والأصل كانت مصر أقل ارتباطاً وأضيق اتصالاً بالحياة البدوية وبالنظام القبلي والعشائري . هذا إلى أن تعرب كثير من مناطق العراق والشام كان واقعاً سابقاً على ظهور الاسلام وكان واقعاً معروفاً خلال الفتوحات الاسلامية الأولى .

لقد كانت الجماعة تجد كثيراً من الحرج حين تعالج أو تناقش قضية الصلة بين العروبة والإسلام مع القادة وغير القادة من المصريين . وكثيراً ما كانت تطرح قولاً مأثوراً شائعاً هو «إذا عزّ العرب عزّ الإسلام» أو كانت تشير إلى أن الوحدة العربية مدخل لاغنى عنه للوحدة الاسلامية التي ينشدها دعاة الاسلامية ، أو كانت تعرض للقضية من حيث الاستطاعة والإمكان وقدرة التحقيق ، فالأقطار العربية كانت في وحدة أو شبه وحدة في عصور قريبة قبل الغزو الاستعماري الأوروبي ، خلافاً لما كان قائماً بين الأقطار الاسلامية . أو تشير إلى أن الوطن العربي يشتمل على عدد غير قليل من المسيحيين الذين يؤمنون بالعروبة ويدعون للوحدة العربية وأن لهم جهوداً محمودة معروفة في هذا السبيل بما يجعل التركيز على الاسلامية ينطوي على شيء من الحرج للدعاة . وربما كانت هذه المحاولات التوفيقية من الجماعة تجد موافقة ورضا من المناقشين . ومع ذلك فإن قضية القومية العربية والاسلامية بمعناها السياسي ظلت مسألة غائمة غير واضحة ، وظلت مصدراً لكثير من النقاش العنيف .

ويخيل إليّ أن الخلط الذي كان قائماً ، والذي لايزال قائماً في كثير من الأذهان ، مصدره الوقوف عند نقطة البدء التاريخي وافتراض استمراريتها إلى الحاضر والمستقبل ، دون تنبُّه إلى تغيرّ الأوضاع وتطور الحياة وتغير القضايا والمشاكل بتغير العصور والأزمنة .

صحيح أن الإسلام حقق للقبائل العربية التي كانت تعيش في جزيرتها مبعثرة متنافرة وحدة سياسية ، وأقام لها أول دولة مركزية عربية في المدينة ، ثم إن الاسلام جعل لهذه الدولة الجديدة رسالة دينية يخرج العرب تحت لوائها فاتحين منتصرين شرقاً وغرباً ، وقامت تبعاً لذلك دولة عربية كبرى عاصمتها دمشق تضم شعوباً متعددة ، أخذت العقيدة الدينية الجديدة وأخذت اللغة العربية تنتشر بينها شيئاً فشيئاً .

صحيح إذن ، أنه لولا الإسلام لما كانت الفتوح العربية ، ولولا الإسلام لما تجاوزت اللغة العربية مهدها لتصبح لغة هذه الشعوب العديدة شرقاً وغرباً ، ولو لا الإسلام لما وجد عملياً ما نسميه بالوطن العربي الذي يمتد من الخليج إلى المحيط ، والذي يتكلم أهله العربية ويدينون بالإسلام ويرجعون إلى تراث مشترك وتاريخ مشترك . كل هذا لا ينكره منكر ولا يجادل فيه مجادل .

ولكن من الحق أيضاً أنه قد مضى منذ ظهور الإسلام إلى اليوم ما يقرب من أربعة عشر قرناً تغيرت فيها الدنيا وتبدلت ، واختلفت فيها موازين الأشياء ، واجتازت الإنسانية مراحل من التطور بعدها مراحل ، لكل مرحلة منها قضاياها الأولى ومشاكلها الرئيسية ، فإذا كانت العقيدة الدينية في المجتمع الانساني على عهد الفتوح العربية هي المشكلة الكبرى في الجزيرة العربية وخارجها شرقاً وغرباً ، وإذا كان الصراع الداخلي بين الفرق الدينية اليهودية والمسيحية ثم الاسلامية من جانب ، والصراع بين أديان سماوية وأديان وثنية من جانب آخر هو القضية الأولى أو إحدى القضايا الأولى في عصور تالية ، فقد ظهرت فيما بعد منذ عصر النهضة الأوروبية والثورة الصناعية والتقدم العلمي مشاكل من نوع جديد استأثرت باهتمام الناس ، وصارت في المقام الأول بين المشكلات الانسانية ، فاختلفت بذلك تحديات العصر الحديث عن التحديات التي كانت قديماً ، واختلفت بناء على ذلك أساليب مواجهة التحدي تبعاً لروح العصر وقيمه السائدة واتجاهاته العملية والفكرية ، وصارت الدولة الحديثة غير الدول القديمة ، وحلت فكرة القومية كأساس الدولة محل الرابطة الدينية ، ووجدت تكتلات دولية على أسس

اقتصادية أو حضارية لم يكن لها نظير في عهود سالفة ، واستحدثت قوانين دولية ونظم عالمية وروابط بين التجمعات البشرية لاعهد للبشر بها من قبل .

فالذين ينكرون القومية العربية والدعوة إلى الوحدة العربية باسم الاسلامية يسقطون من تفكيرهم كل هذا التاريخ الطويل من التطور الانساني ، ويعودون إلى نقطة يتوهمون أنها هي دائماً نقطة الانطلاق الوحيدة لكل نهضة في كل عصر . والذين ينكرون القومية العربية باسم الوطنية القطرية أو القومية الاقليمية يذهلون أيضاً عن هذا التطور الحضاري العالمي ، ويلتفتون إلى نقطة بدء أوغل في القدم وأمعن بعداً عن الواقع العصري .

إن للعقائد الدينية محلاً كبيراً في نفوس المعاصرين من الناس ولها دور خطير في حياة البشر إلى اليوم ، وكذلك للأقاليم والأقطار خصائص وارتباطات عاطفية بسكان تلك الأقطار والأقاليم .

وللفكرة القومية سلطانها ودورها العظيم في الحياة السياسية للمجتمعات البشرية الحديثة .

ولكن لكل من هذه المشاعر والنزعات والفكر مجاله وميدانه ، ولا ينبغي أن تختلط الأمور في الأذهان ولا أن تتداخل الميادين والمجالات تداخلاً تنعدم معه الرؤية الواضحة . فالوحدة العربية ضرورة سياسية وحضارية لأقطار الوطن العربي كله في العصر الحديث ، وهي المنطلق الأساسي للنهضة العربية الشاملة ، وهي الضمان الأكيد للمستقبل العربي .

وكان للجماعة نشاط من نوع آخر هو ما عرف بحفلات السمر . لقد كان للجماعة باعتبارها عضواً في الاتحاد حصة من ميزانية مالية تتيح لها أن تضم حفلة سنوية أو نصف سنوية فينادي الكلية . وكانت الجماعة تنتهز هذه الفرصة التي يجتمع فيها نفر غير قليل من الطلاب حول موائد الحلوى والشاي فتدعو عدداً من الشخصيات الكبيرة ليشاركوا في الحفل ، وليكونوا محل التكريم والتشريف .

وتذكر الجماعة حفلة حضرها عبد الرحمن عزام وعدد من سفراء العرب في القاهرة ، وتطوع الموسيقار الكبير سامي الشوا بعزف بعض مقطوعاته

المشهورة على الكمان . وتتبادل الكلمات في مثل هذه المناسبات ، وتنفتح شهية المتحدثين والمستمعين ويتنافسون في الكلام ، ويتحدث أعضاء الجماعة عن أماني الشباب في العروبة وفي الوحدة ، ويجد حديثهم تجاوباً من الضيوف وردوا تنفل تجارب الجيل السابق إلى الجيل اللاحق .

غير أن الطريق في حفلات السمر هذه فيما تعده الجماعة من بعض العروض الفنية البسيطة التي تمثل الأقطار العربية في فنون غنائها المحلي ورقصاتها الشعبية الجماعية ، وكان الطلاب أنفسهم ينهضون بهذا الدور يساعدهم في ذلك زملاء لهم من كليات جامعية أخرى غير كلية الآداب ولاحظت الجماعة أن هذه الطرائف الفنية ، وإن بدت لهواً وسمراً ، كان أحياناً أكثر تأثيراً على الشباب المصري من بعض وجوه النشاط الأخرى ، من حيث خلق روح التعاطف مع العروبة . إن هذه الفنون الشعبية كانت تكشف عن التشابه الأصيل بين سكان الوطن العربي شرقاً وغرباً ، وتثبت أن مزاج العربي وذوقه وخياله ونظرته لما حوله متماثل متقارب على اختلاف الديار .

وفي الحق إن ما لاحظته الجماعة في هذا السبيل جعلها تعي الحقيقة المؤلمة ، وهي أن الشباب المصري لا يكاد يعرف شيئاً عن الأقطار العربية التي تتاخم مصر فضلاً عن الأقطار التي تبعد عنها ، وأن هذا الجهل بالشعوب العربية عقبة كئود أمام الدعوة للعروبة في مصر . لقد كان عيون المصريين تتجه إلى الغرب الأوربي وتعرف عنه الكثير في جميع ميادين النشاط ، ولكنها لم تكن تلتفت إلى الشعوب العربية ، وكانت تجهل عنها كل شيء . وعلى العكس من ذلك كان الشباب العربي في العراق والشام والمغرب يعرف من دقائق الحياة المصرية ما لا يعرفه بعض الشباب المصري ، وكان لا بد من تبادل المعرفة ليتم التعاطف ولتجد العروبة طريقها إلى مصر ممهداً .

صحيح أن القاهرة كانت منارة في الحياة العربية منذ مطلع النهضة الحديثة لاتنافسها في ذلك عاصمة عربية أخرى . وكانت مصر أكثر ازدهاراً وأعلى صوتاً من كل قطر عربي في مجال الفنون والثقافة والعلوم والعمران والسياسة ، ولكن التعاطف الذي تنمو به المشاعر القومية لايشترط أن يكون

وليد الانبهار والاعجاب بالتفوق ، وإنما هو أيضاً وليد الاتصال المباشر بالمواطن مهما يكن حظه من الثقافة ، اتصال تنفتح معه القلوب وتتواصل العواطف وتنكشف أواصر القربى التي استحكمت خلال أجيال طويلة من تراث مشترك وتاريخ مشترك وهموم وآمال مشتركة .

وكان جهد الجماعة في التعريف بالوطن العربي محدوداً ، فهذا التعريف مهمة ثقيلة لاتستطيع الاضطلاع به إلا أجهزة إعلامية ذات قدرة ونفوذ .

تلك هي أهم وجوه النشاط المنظم الذي كانت تمارسه الجماعة ، أما النشاط اليومي المتصل فكان في لقاء أفراد الجماعة فيما بينهم ، أو في لقاء بين بعضهم وبين زملائهم من الشباب الجامعي المصري . وكانت هذه اللقاءات مجالاً تتفاعل فيه الأفكار وتناقش فيه القضايا السياسية . ولعل موضوع الطريق العملي للوحدة العربية والدور العالمي الذي تضطلع به القومية العربية كان أكثر الموضوعات خصومة وإثارة أما فيما يتعلق بالموضوع الأول فكان بعض أفراد الجماعة يتصورون أن تحقيق الوحدة يجيء بظهور الدولة الوحدوية الطليعية يقودها الزعيم الوحدوي ، شأن بروسيا في الوحدة الألمانية بزعامة بسمارك والبعض الآخر يتصورها في انتفاضات جماهيرية في كل قطر تلتقي حول تحرير الوطن العربي من الاستعمار ، فإذا زال الاستعمار ، وهو عندهم سبب التجزئة ، قامت الوحدة ضرورة . وكان بعضهم يرى أن الطريق اللبرالي الذي يتيح وجود الأحزاب في الأقطار العربية كفيل بأن يصل بأحزاب وحدوية إلى الحكم فتحقق الوحدة الشاملة . . وتبعاً لهذه التصورات تكون الخطط المقترحة وأساليب الدعوة ولعل الجماعة لم تكن تدرك تمام الإدراك أبعاد القضية ، وأن الوحدة العربية لن تكون إلا بعد عمل ثوري شامل طويل المدى يهز كل قواعد المجتمع العربي ليخلق منه مجتمعاً جديداً في كل شيء

أما فيما يتعلق بالموضوع الثاني أي الدور العالمي الذي يفترض أن تضطلع به القومية العربية فكانت الصيغة المألوفة التي ورثها الشباب عن الجيل السابق هي أن في العالم قديماً وحديثاً صراعاً عنيفاً بين المادية والروحانية وأن المشرق مهد الأديان هو القلعة الروحانية . وعلى ذلك فإن القومية العربية

تكون اقرب القوميات ، لتراثها وموقعها الجغرافي وخصائص مواطنيها ، إلى أن تنهض بدور التوفيق بين النزعتين ، والخروج بنوع من التآلف بين الضدين ، أشبه مايكون بما عمله الفلاسفة المسلمون قديماً من التوفيق بين العقل والنقل أو بين الشريعة والفلسفة .

وهذا التصور كان يبدو لأعضاء الجماعة معقولاً ومنطقياً . ولم تكن الجماعة تدرك وجوب إعادة النظر في هذه الدعاوى الفكرية والتقاسيم النظرية التي لايؤ يدها الواقع ، ولا تثبتها حقائق عالم سريع التطور لايعرف حدوداً لما هو شرق وما هو غرب ، ولا فواصل بين ما يسمى روحانية وما يسمى مادياً .

ومهما يكن من شيء فقد كان لهذه الجماعة الصغيرة فضل لاينكر في إثارة دعوة العروبة بين الشباب المصري في الجامعة ، في وقت لم يكن لهذه الدعوة تنظيم في مصر . وكان لها فضل التعارف الوثيق بين شباب عربي أقصى المغرب العربي من أقصى المشرق العربي . ولا تزال لهذه الجماعة ذكرياتها في نفوس أعداد من المصريين نبهتهم وأيقظت وعيهم وفتحت أمامهم آفاقاً جديدة .

القاهرة في يونيو ١٩٧٧

عبد العزيز الأهواني

وسام عبد الوهاب

بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧ اجتمعنا بسيدات السلك الدبلوماسي العربي .

وكنا كما سبق وقلت نعمل بصورة جماعية ، حرم سفير الجزائر الأخضر الابراهيمي . وحرم سفير المغرب المهدي زنطار ، وحرم سفير الكويت حسن الدباغ ، وحرم سفير العراق عبد المحسن زلزله ، وحرم سفير لبنان حليم عز الدين ، وحرم سفير الأردن حازم نسيبه ، وعدد كبير من السيدات المصريات منهن حرم نائب رئيس الجمهورية أنور السادات . وحرم وزير الخارجية محمود رياض .

دعتنا السيدة الشيخة سعاد المبارك الصباح الى عشاء عمل في منزلها وكانت من المدعوات السيدة أم كلثوم وقد تحدثنا معها عن صوتها وما يلعبه في وحدتنا . . وكيف عليها الآن أن تختار كلمات أغانيها ، لتناسب وضعنا وقرأنا لها العديد من القصائد وأظن أن الجميع يذكر في تلك الفترة قصيدة نزار قباني التي غنتها أم كلثوم

أصبح الآن عندي بندقية

وكان الفضل للشيخة سعاد المبارك الصباح كبيراً في مضمار العمل الجماعي لجمع المال من أجل المجهود الحربي . وكانت سفريات السيدة أم كلثوم لنفس السبب قد أعطت مردوداً مادياً عظيماً للمجهود الحربي ومردوداً معنوياً لأم كلثوم شخصياً .

أخبرتنا حرم السفير المغربي السيدة ميلوده زنطار أنه حين أبرم العقد مع أم كلثوم على إحياء حفلة في المغرب كان مقيداً حسب الميزان النقدي بين مصر والمغرب . أن يدفع لها بالجنيه المصري .

وتابعت السيدة زنطار كلامها . .

حين زارت السيدة أم كلثوم جلالة الملك في المغرب . . قالت له إن ريع هذه الحفلات ستكون للمجهود الحربي ، أي لشراء سلاح وعليه سيدفع بالعملة الصعبة . . فأمر جلالة الملك أن لاتتقيد بالميزان النقدي بين مصر والمغرب وتصرف أجور الحفلة بالعملة الصعبة .

في صباح يوم قال لي سامي :
منحت سوريا وساماً الى الاستاذ الموسيقار عبد الوهاب ، ويجب أن نكرمه بحفل يليق به .
كنا نرى حرجاً أن نكرم عبد الوهاب ، في حين أن تكريم أم كلثوم خاصة بعدما بذلت من جهد في حفلات الى المجهود الحربي ، أصبح واجباً .
المهم دعينا للحفل عدد كبير من الأصدقاء والسلك الدبلوماسي ، ورجال الاعلام . وكانت كلمة سامي حين قلد الوسام لعبد الوهاب كلمة في منتهى الرقة والحكمة . إذ قال هذا وسام يقلد لنجمين لعبا دوراً رائعاً في موسيقانا هما أم كلثوم وعبد الوهاب . ثم لمح بكلمته لدور أم كلثوم الوطني بالسفر والجهد وما إلى ذلك من كلام يدخل إلى القلب . وما أن أنهى سامي كلمته حتى علقت أم كلثوم بسرعة بديهتها .
سيادة السفير :
لقد وسمتني بجميل كلامك ، ولو طلب مني عبد الوهاب أن أبادله كلامك الحلو بوسامه لما رضيت . .
كم أسفت أن كلمة سامي كانت مرتجلة . وإن الشريط الذي سجلت عليه هذه الكلمة قد فقد .

كتاب الجيب

من الأمور التي كانت تشغل بال سامي كثيراً هي :
كيف يمكن أن يصل الكتاب إلى أكبر عدد ممكن من القراء وخاصة ، لمحدودي الدخل بأقل سعر ممكن . ولتحقيق تلك الأمنية في نشر الثقافة فقد عمل دراسة لمشروع كتاب الجيب العربي .

قبل الرحيل بأيام قليلة

زارنا الاستاذ محمود الأيوبي وكان وقتها رئيس وزراء . والاستاذ عبد البر عيون السود .
تحدث سامي رغم تعبه بحماس لا يوصف عن هذا المشروع . .
وكنت وأنا أراقب حماسه بقلق . . أراقب في الوقت نفسه نظرة الاعجاب الممزوجة بنظرة الاندهاش التي تشع من عيني الاستاذ الايوبي وهو



من لقاءات العمل النسائي في مصر ـ أم كلثوم تتوسط زوجات الديبلوماسيين العرب .

شخصيات نسائية في حفل السفير السوري تكريما لعبد الوهاب

اكثر من ثمانين مدعوا ومدعوة من الفنانين والدبلوماسيين حضروا الحفل الذي اقامه الدكتور «سامي الدروبي» سفير سوريا في القاهرة، وقلد فيه الموسيقار « محمد عبد الوهاب » وشاح الاستقلال من الدرجة الاولى ، تقديرا لفنه ، ودوره في تطوير الاغنية العربية ، من بين هؤلاء المدعوين كانت هناك كوكب الشرق « أم كلثوم » ، وقرينة السيد « محمود رياض » وزير الخارجية ، والسيد « منير حافظ » وكيل وزارة الارشاد نائبا عن وزيرها السيد « محمد فائق » ، والدكتور « حسن عبد المجيد » المتحدث الرسمي باسم الجمهورية العربية ، وسفراء السعودية والكويت واليمن ولبنان .. كانت السيدة «لهلة القدسي» قرينة المحتفى به ، هي عروس الحفل بحق ، فلقد كانت اسارير وجهها تفيض بالسعادة والاشراق والفخر . أما قرينة السفير السوري فكانت مثال المضيفة المثالية ، التي تشعر كل فرد من ضيوفها بانه ضيفها الوحيد ، وبانه هو صاحب الحفل . كان عنصر الشباب ممثلا أيضا في الحفل ، فقد حضرته مجموعة من الشبان والشابات ، من بينهم كريمة السفير السوري ، وكريمة السيد « خالد محيي الدين » .



الدكتور « سامي الدروبي » يقدم لعبدالوهاب الوشاح ، وبينهما تبدو « ام كلثوم » . وفي اقصى اليمين تظهر كريمة السفير السوري .





في الصورة الى اليمين قرينة الدكتور « سامي الدروبي » سفير سوريا وعن يمينها السيدة « نهلة القدسي » قرينة الموسيقار عبد الوهاب، وعن يسارها قرينة الاستاذ «احسان عبدالقدوس» وفي الصورة اليسرى قرينة السيد « محمود رياض » وقرينة السيد « خالد محيي الدين » .

من انشطة السفير السوري الدروبي في مصر بعد النكسة .



وسام سورية لعبد الوهاب بحضور أم كلثوم

يستمع الى الشرح الكافي ، والوافي ، عن هذا المشروع .

كان الأستاذ الأيوبي مطلعاً على حالة سامي الصحية ، وما وصلت اليه ، لم يتمالك نفسه فنهض ، وخرج الى الشرفة وسمعته يقول :-

هل يُعقل ما أسمع ؟ إنه من أصحاب الرسالات .. إنه يفكر بنشر الثقافة .. ويفكر بمحدودي الدخل وهو يشارف على الأبدية .. ما أعظمه من أستاذ ..

قبل أن يودعنا ، أعطاه سامي تلك الدراسة ..

قال سامي :-

أرجو لهذه الدراسة أن تتحقق ، وإنني ارتحت حين سلمتها للأستاذ محمود .

قلت لسامي :-

أما لاحظت قلق الأستاذ الأيوبي عليك ؟. وقلقي أنا أيضاً لفرط تحمسك وتابعت فقلت ليتك تخفف من شدة تحمسك هذا ...

فقاطعني وقال :-

لماذا هذه النصائح ؟ هل يملك الانسان أن يغيرّ طبيعته ؟ وهل استطيع أنا أن أغير طبيعتي ، فأصبح قليل الاكتراث ، رغم كل مابلوته من كثرة الاهتمام .

قبل الرحيل بأيام قليلة

قرأ بجريدة الليموند الفرنسية ، إعلاناً لمعجم جديد ، فاتصل مع الصديق أديب اللجمي واستعان به ليؤ من وصوله سريعاً .

وأذكر حين رتبت المعجم في المكتبة ، نظر الى رف المعاجم وقال :-

حرصت أن يكون هذا المعجم في مكتبتي .. فاذا أعطاني الله عمراً ، فسيتعوض ثمنه مئات المرات .. واذا وافتني المنية ، فان وجوده في البيت أيضاً ثروة ، لأنه سيكون في متناول أيدي الأولاد ..

يذكر جيداً الأستاذ أديب لجمي أن الرحيل كان بعد ثلاثة أيام من وصول المعجم .

زارنا قبل الرحيل بأيام قليلة الاستاذ علي عقلة عرسان في صباح يوم

ومعه موفد من اتحاد الكتاب السوفييتي الاستاذ ايغرير ماكوف ليبلغنا دعوة الى الاتحاد السوفييتي .

قال سامي :-

شكراً على دعوتكم . . أظن أن وضع قلبي لايساعد على السفر . .

فأجابه ضيفنا :

نحن نعلم هذا ، لذلك سترافقكم طبيبة قلب طوال زيارتكم لنا كما أنه ستتوفر كل الاجراءات الصحية اللازمة .

قال سامي :-

إذا كتب لي عمر فأنا حريص جداً على زيارة الاتحاد السوفييتي . . ولي رجاء أن يكون في برنامج الزيارة مقابلة المسؤ ولين في دور النشر التي تنشر في بلادكم عيون الأدب الروسي . . الى اللغة العربية ، لأنني حريص أن يُقدم الكُتاب المبدعون للقارىء العربي بشكل سليم وبدون تشويه . . وفعلاً بعد انتهاء الزيارة شرع في دراسة حول هذا الموضوع .

لكن المنية سبقت تلبية الدعوة .

زارنا الاستاذ حافظ الجمالي رئيس اتحاد الكتاب العرب حينذاك والاستاذ أديب لجمي .

تحدث الاستاذ حافظ قائلاً :

ياسامي قرر اتحاد كتاب العرب أن يقيم حفلة تكريم لك على مدرج جامعة دمشق . . حضرنا لنبلغك ذلك ونرجو تحديد اليوم المناسب لكم . .

بدؤ وا يتحدثون عن برنامج حفل التكريم .

نظر الأستاذ أديب إلى سامي ، والتفت إلي يسألني :

ياأم مصباح ، أريد أن أسألك وأنت الآن أعلم الناس بوضع سامي الصحي . . . هل يستطيع قلبه تحمل الإنفعال الذي يرافق مثل تلك الحفلات . . .

سبقني سامي قائلا :

يا حافظ أولاً إن فكرة أن يكرم أديب وهو على قيد الحياة ، فكرةٌ لم تشعْ عندنا . المعروف سابقاً أن الأدباء يكرمون بعد المهات إن اقتراحكم هذا يثلج

قلبي ، أن أفتتح هذه السُّنة للأدباء . . . فيكرموا وهم أحياء فهذا شيء عظيم .

أما يا أخي أديب ، فإن خوفك على قلبي من الإنفعال فإنني أطمئنك . . . لا تخف . فوالله لأن يموت الإنسان أثناء تكريمه . . . خير له من أن يموت على فراشه .

قبل الرحيل بأيام قليلة .

زارنا اللواء مصطفى طلاس ، وعلم من سامي ، عما دار من حديث مع الأستاذ محمود الأيوبي ، بخصوص كتاب الجيب العربي .

وغاب يومين وحضر بعدها ومعه كتاب «آلام فرلتير» لغوته وقد نفذ الفكرة «كتاب الجيب العربي» مطبوعاً بالطريقة التي عرضها سامي . . . نظرت بعيني أبي فراس باندهاش ، وبنفسي سؤالٌ ، أريد طرحه . . . لكنه عفاني إذ رد على سؤالي بل تساؤلاتي قائلاً :

شعرت بزيارتي السابقه من يومين بتحمس أستاذنا سامي لهذا المشروع ، فأردت أن أحقق له رغبته هذه وأطمئنه أنها أصبحت بيد رفقاء أمناء .

بعد أيام كان الرحيل ، وكان كتاب آلام فرليتر ما زال على المنضدة بقرب السرير . . . نظرت إلى الكتاب ونظرت للمعلم الحبيب المسجى وقلت له : ـ

لقد أحس أبو فراس بقرب المنية ، فعمل المستحيل لتنفيذ رغبتك كم هو جميل وفاء ، وحب التلاميذ لأساتذتهم وعلى ذكر محبة تلاميذ سامي له تذكرت رسالة أملاها علي سامي . . . حين علم من طبيبه الدكتور حمدي السيد أن الأستاذ أحمد الخطيب وكان رئيساً للوزارة الاتحادية لما علم أن سامي في لندن ووضعه الصحي سيء هيأ له السفر السريع جداً وقد كتب فيما بعد هذه الرسالة :

عزيزي الأخ أحمد

رغم أن الدكتور حمدي ينصحني بأن لا أمسك القلم لأكتب إليك ، تحاشياً لمخاطر الجهد والإنفعال معاً ، لكن ما حدثني عنه الأخ الدكتور حمدي

من أمر القلق الشديد ، وما بذلته من جهد متصل لم ينقطع في ليل أو نهار ، لتأمين سفره إلاّ مسعفاً بأقصى سرعة ممكنه ، هذا كله هز نفسي هزاً خاصاً قوياً ، ربما كان لتكويني النفسي الخاص الذي قوامه الإعتراف بالجميل . لذا لم أتهيب أن أمسك القلم لأعبر لك عن بعض شكري لأم حسان مني ومن أم مصباح
أصدق الود

سامي الدروبي

الطبيب الصديق

حين كنا بمدريد أصيب سامي بجلطة تكاد تكون قاتله ، نقل إلى الإنعاش المشدد . اتصل سفير مصر بصديقنا الدكتور حمدي السيد وبعد فترة وصلت إشارة من القاهرة عن وصول الدكتور حمدي ظهر اليوم التالي . . .

أذكر أن الأستاذ الدكتور رئيس قسم الإنعاش ، إمتعض ونظر إلينا باستنكار وقال باستياء : -

سيدة دروبي ! أريد أن أبلغكم حالة السيد السفير سيئة جداً . ونحن عملنا ونعمل ، وسنعمل ، أقصى جهدنا . . . هل لاحظتم أي تقصير لا ستدعاء طبيبكم من الشرق ؟ .

أجبته : -

السيد الأستاذ الدكتور . . . لا شك أن إهتمامكم بزوجي يفوق التصور ، لكن أرجو أن لا يزعجكم حضور الدكتور حمدي السيد فهو صديقنا وطبيبه منذ عام ١٩٦٦ حين ابتداء المرضى والدكتور حمدي يعرف تطور مرضه منذ ذاك التاريخ . وقد رافقنا حين سافرنا لعلاج زوجي في أمريكا ، وانكلترا ، وفرنسا .

ومع هذا لم يرتح الدكتور رئيس قسم الإنعاش المشدد . ولم تقل حساسيته من الطبيب القادم من الشرق إلاّ حين دخل الدكتور حمدي بعد ظهر اليوم التالي لدخوله سامي غرفة الإنعاش المشدد على مرض، وأخذ يسأل عن كمية الدواء المميع للدم التي يفترض أنه حقن بها سامي . كما سأل أيضاً عن

عدد مرات «تبديل القثطار الوريدي» الموجود في ساعده . . . كما طرح عدد من الأسئلة الطبية التي لم استوعبها ولكن الأستاذ الدكتور رئيس قسم العناية المشددة ، استوعبها وأدرك أنه يتعامل مع طبيب من الشرق لكنه من نوع فذ قمة علمية لا يستهان بها .

وبتواضع العالم اقترب الأستاذ الدكتور الإسباني وقال : -

سيدة دروبي معكم حق حين حرصتم على استدعاء طبيبه الأستاذ الدكتور حمدي السيد . . . قال هذا بلهجة تختلف من تلك اللهجة التي قالها حين علم عن حضور الدكتور حمدي .

سبق وقلت «إن الذاكرة لا يقيدها شيء حتى في غرفة الإنعاش ، تسرح بدون ضابط . . . إذ تذكرت رسالة أملاها عليَّ سامي إلى الدكتور حمدي التسيد في ٥/ ٢/ ١٩٧٢

إذ قال فيها : -

أخي العزيز الدكتور حمدي

أصابتني نوبة شديدة فعلاً ، وعانيت منها آلاماً مبرّحة ، وخافت إحسان خوفاً رهيباً ، وكان يعودني طبيب أمراض القلب كل يوم ، ولكن شتان . . . شتان بين الطمأنينة التي نشعر بها حين نراك أنت بكل حميتك وشهامتك ونبلك وعاطفتك واخوتك وبين القلق الذي يساورنا حين نرى الوجه البارد الذي لا يعبر عن شيء . .

الخلاصة : لقد افتقدناك . كما افتقدنا الطمأنينة من ناحية صحتي التي نخاف عليها من المفاجآت ليس لها سواك إن كان في العمر بقية . . .

المهم حين وعى سامي من الغيبوبه ورأى الدكتور حمدي معه شعر بالطمأنيته .

٢٨ أيلول ١٩٧٠ حوالي الساعة السادسة والنصف

اتصل الدكتور حمدي بالتلفون وقال : -

أين الدكتور سامي : -

أجبته : -

في المكتب .

أرجوك لا تغادري الدار . . . سأحضر حالاً

أحسست من نبرات صوته بشيء ما !!!

وصل الدكتور حمدي . . . وكنت ألاحظ أنه يبذل جهداً ليخفي أمراً ما . .

سألت بعد تردد : ـ

خير يادكتور ! أرجوك هل لك أن تصارحني ما الأمر ؟

هناك خبر فظيع أخشى على قلب سامي منه لذا حضرت لأكون معكم قبل أن يذاع الخبر . . . توفي الرئيس عبد الناصر . . . وانفجر باكياً .

صحت . . مش معقول . . . وانتقلت إليّ عدوى الاضطراب . . . وقلت الاذاعة . . .

قاطعني :ـ

الدولة تتهيأ وتهيىء للخبر . . وأنا حضرت لتوي من منشية البكري من منزل الرئيس بعد أن نقل الجثمان الى قصر القبة لأكون مع سامي حين يسمع الخبر . . .

سمع سامي صوت الدكتور حمدي . فدخل الى الصالون مرحباً بالضيف الصديق ما أن نظر الى وجه الدكتور حتى قال :ـ

مالك ياحمدي ؟

أجابه بكذبة بيضاء ، لا أدري كيف خطرت له .

تشاجرت مع زوجتي إصلاح وأتيت إليكم هل تستقبلني كضيف لأبيت هذه الليلة عندكم ؟

فأجاب سامي :

أهلاً وسهلاً على شرط أن نستضيف معك أختنا إصلاح ، وأومأ إليّ أن أتصل حالاً لإصلاح ذات البيت بين الزوجين العزيزين .

واضطررت الى الاتصال مع السيدة إصلاح وفعلاً وصلت قبل إذاعة الخبر بقليل . .

وفاة عبد الناصر

بعد الأخبار بالتلفزيون . سمع سامي الخبر وكان علاج حمدي قوي

بل ربما أقوى من الصدمة فحقنه رأسا بأدوية . ووضع الأوكسجين في أنفه وحولت غرفة نومنا إلى غرفة أشبه ماتكون بغرف الانعاش . وكان الأخ حمدي يردد الحمد لله أنني وصلت قبل أن يعلم سامي بالخبر . .

صحى سامي من تأثير المهدئات قليلاً وقال :ـ

إحسان اذهبي حالاً لمنزل الرئيس لتحية هانم . . ولا تقلقي علي حمدي وإصلاح معي . . . بالاضافة الى العديد من الأصدقاء الذين ما سمعوا الخبر حتى أتوا هلعين وقلقين على وقع هذا الخبر على قلب سامي . . .

امتثلت للأمر . ويعلم الله كم ذقت ومالاقيت حين أصبحت في وسط كتل من البشر متراصة مولولة ، نائحة ، نادبة ، مجهشة ، ولولا سيارة بوليس النجدة التي شقت الطريق أمام سيارتنا واستطاعت توصيلي إلى منزل وزير الداخلية الاستاذ شعراوي جمعة في الواحدة والنصف بعد منتصف الليل لأن وصولي الى بيت الرئيس عبد الناصر ولو بسيارة بوليس النجدة كان ضرباً من المستحيل لأن الكتل البشرية كانت قد احتلت كل الشوارع الموصلة إلى بيت الرئيس وبقيت مع السيده سميره شعراوي إلى أن أمنوا عودتي بمعونة البوليس أيضاً إلى دارنا بعد أن عملوا ترتيبات مشاركتي للعزاء في اليوم التالي للسيدة الفاضلة تحية هانم .

بقي سامي في السرير ثلاثة أيام التي سبقت الدفن .

أصر على أن يكون في التشييع ضارباً بمعارضة الدكتور حمدي وصديقنا محمود العالم بعرض الحائط . . قائلاً :ـ

سأذهب . يعني سأذهب . وإذا لم يستحمل قلبي هذه المأساة فالوطن ليس بحاجة إليّ أكثر من حاجته للرئيس عبد الناصر فليكن ما يكون

وفعلاً ذهب في يوم الدفن إلى مجلس قيادة الثورة ، ورافقه الدكتور حمدي السيد والصديق محمود العالم ليكونوا معاً .

لكن ما أن سار الموكب عدة خطوات حتى انهار سامي . . . ولم يستطع قلبه مسايرة الموكب . . . وأسعفه حمدي ونقل إلى الدار . . .

في اليوم الثاني كان المفروض أن يسافر الوفد السوري بعد عزاء عائلة الرئيس . وكان ترتيب هذه الزيارة أمراً شبه مستحيل عن طريق مكاتب

الرئاسة أو مكاتب الخارجية بسبب الحالة الصحية لحرم الرئيس ، وتعليمات الاطباء وعقاقيرهم . وكان ما زال الدكتور حمدي مقيماً معنا . فطلب منه سامي أن يرافقه الى فندق هيلتون حيث الوفد السوري مقيم هناك . .

أذكر أنه كلمني من هناك قائلاً :-

يا احسان يرغب الوفد تعزية حرم الرئيس ولكن لم نستطع أن نؤمن الموعد لا عن طريق الرئاسة ولا عن طريق الخارجية . ليس غيرك الآن من يستطيع تأمين ذاك الموعد .

فعلاً اتصلت مع السيدة هدى كريمة الرئيس عبد الناصر . وقلت لها :-

سيدة هدى إن الوفد السوري يرغب في تعزية السيدة الوالدة والعائلة قبل العودة لدمشق . .

بعد نصف ساعة انضممت الى الوفد في منزل السيد الرئيس معزين السيدة حرمه وأولاده . وأظن أن الوفد لن ينس منظر حرم الرئيس المفجوعة وهي تتقبل تعازي سوريا التي أحبها عبد الناصر ، والدواء المهدىء يسري بعروقها . كم كان مؤلماً ومؤثراً ذاك العزاء . .

كل هذا يعود إلى الذاكرة ، وأقدر لماذا إفتقد سامي مصر وأحبابه أهل مصر حين كنا باسبانيا . كتب رسالة للدكتور حمدي أذكر منها .

أخي الحبيب الدكتور حمدي . .

دعني أكرر ما علق في الذاكرة من شعر حفظناه في الصبا .

وارحمتاه للغريب في البلد النازح ماذا بنفسه صنعا

ضيع أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده وما انتفعا

وكقول عبد الرحمن الداخل ، ولم يكن شاعراً لكنها نفثة من القلب .

أيها الراكب الميمم أرضي أقر من بعضي السلام لبعضي

إن جسمي كما علمت بأرض وفؤادي ومالكيه بأرض

قد قضى الله بالفراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضي

قبل الرحيل بأيام قليلة :- زارنا الدكتور بديع الكسم فسأله سامي عن الكتاب قائلاً له :

منذ عشرين سنة وأنا أرغب في ترجمة هذا الكتاب والآن ، لم يبق من ترجمة المجلد الخامس من الأعمال الكاملة لتولستوي سوى خمسة وثلاثين صفحة سوف أنتهي منها وأباشر بهذا الكتاب وفعلاً أحضر الدكتور بديع ذاك الكتاب من مكتبته في زيارة لنا مع حرمه والدكتور شاكر الفحام وحرمه .

فرح سامي بالكتاب وأذكر أن الدكتور شاكر سأل سامي ، هل تذكر كم عدد الصفحات التي كتبتها ؟

أجابه سامي رأساً :-

ست وثلاثين ألف صفحة بين تأليف وترجمة .

كانت تلك الأمسية مع الدكتور بديع والدكتور شاكر حلوة ، ممتعة ، سردت ذكريات أيام الشباب ، والدراسة الجامعية . وكنا نضحك من أعماقنا ولم ندرِ أننا في حضرة الموت إذ كانت المنية بعد أقل من أربع وعشرين ساعة . . .

هاجس الدقة

حين قرأت مرة بكلمة للأستاذ سعيد حورانية جملة كان سامي الدروبي حي الضمير يحترم نفسه وقراءه . سمحت لنفسي أن أصف لكم حالة القلق التي كان يعانيها سامي منذ انتهائه من الترجمة الى صدور الكتاب ، مثلا هذه الرسالة أرسلها الى صديقنا الأستاذ أديب اللجمي معاون وزير الثقافة قال فيها :

أخي أديب

قبلاتي وأشواقي الحارة ، أعتذر عن ارسال هذا الطرد عن طريق وزارة الخارجية . . . ذلك أنه يضم مخطوطة المجلد الأول من مؤلفات تولستوي الأدبية وهي نسخة وحيدة (مسودة ومبيضة معاً) فان هي ضاعت فقد ضاعت أشهر ستة من عمري . سلختها عاكفاً على ترجمته . . . اغفر لنفسي استغلال الحقيبة الدبلوماسية الاستغلال البريء المنتزه عن المنفعة المبرأ من الغرض ، اللهم غير المحافظة على جهد فكري ، وأثر أدبي ، وتجنيبه مخاطر الضياع الذي يكونُ لي كارثة وبلاءً وطامة كبرى ، إذ لن يمكنني أن أعيد ترجمة الكتاب بحال من الأحوال إذا هو ضاع .

وفيما يتعلق ببروفات المطبعة فإنني أود أن أتولى تصحيحها بنفسي ، ذلك أن خوفي ليس من وقوع أخطاء مطبعية ، بل من أن لا يخرج الكتاب الاخراج الذي تصورته له على غرار الأصل الفرنسي . فمتى صدر المجلد الأول كان عمال المطبعة قادرين على إخراج المجلدات التالية على نفس النسق والترتيب .. ولعلك تشاطرني هذا الرأي . رغم أن ذلك سيؤخر صدور المجلد الأول زمناً ، ولكن لأن يتأخر صدوره بعض الوقت خير من صدوره على غير النحو الذي أردناه له .

بل بالأحرى أراد أن يكون بين أيدي القراء خالياً من الخطأ . .

وعلى ذكر الخطأ والدقة فإنني لن أستطيع أن أصف لكم إمتعاض سامي حين تقع عينيه على ترجمة مشوهة ، ناقصة ، غامضة لا دقة ولا اتقان . . كان يقول :

هذا الكاتب العملاق العبقري في بلده وفي لغته . . يجب أن يبقى عملاقاً يجب أن نقرأه بلغتنا بدون تشويه .

في يوم وقع بين يديه كتاب لبوشكين مترجماً ترجمة سيئة فيها فقرات برمتها وردت مختلقة ، ومختلفة ، وغامضة .

قال باستياء إن الأعلام في العالم ملك للعالم كله فلا يجوز أن تشوه صورهم وأعمالهم .

أعود للرسالة التي أرسلها للأستاذ أديب اللجمي لأثبت بالوقائع عن حرصه الشديد في دقته للحفاظ على روح الكاتب .

عزيزي أديب

أحب أن ألفت نظرك إلى أنني ترجمت النص الفرنسي الوارد في المطبعة السويسرية للمجلد الأول لتولستوي ، لكن الطبعة الفرنسية الصادرة في سلسلة «Pleide» كانت أمامي أيضاً ، فكنت أقرأ النصين ، فيتفق لي أحياناً أن أستحب جملةً في الطبعة الفرنسية . أو أن أراها أقرب الى الصواب أو الدقة . . فآخذها بديلاً للجملة الواردة في المطبعة الفرنسية . . أو أن أراها أقرب الى الصواب أو الدقة . فآخذها بديلاً للجملة الواردة في الطبعة السويسرية . وهذا يصدق على ألفاظ كما يصدق على جمل ، فكنت بما هو

ظاهر الصواب من هنا وهناك . . .

أذكر في أيام الوحدة حين كان سامي مديراً في وزارة الثقافية المركزية في مصر حضرنا لدمشق في إجازة . . . فطبع في دار اليقظة كتاب الزوج الأبدي لدوستويفسكي . . .

استدعي على عجل للقاهرة ، قبل أن ينهي تصحيح بروفات الكتاب . . فعهد لصديق بذلك . وحين وصل إلينا الكتاب مطبوعاً وجد به سامي العديد من الأخطاء . أبرق سامي إلى دار اليقظة طالباً منها أن تسحب الكتاب حالاً وعلى حسابه الخاص . وتعيد طباعة الكتاب بعد أن صححه سامي بنفسه ومازالت كل تلك النسخ الممتلئة بالأخطاء في سقيفة منزلي ، وقد اشتراها كلها غير مبال بالخسارة المادية .

وفاء وتقدير

لا أستطيع أن أنقل إليكم الدراسة التي كتبها الأخ الصديق الاستاذ عبد الكريم زهور في أربعة أعداد من مجلة المعرفة ولكن الذي أستطيع أن أقوله أن الاستاذ عبد الكريم زهور كان يتمنى على سامي أن يعمل ضمن اختصاصه في علم النفس والفلسفة إذاً لأثرى المكتبة العربية بهذا الاختصاص .

جائزة اللوتس

في ظهيرة يوم رن جرس الهاتف وكان المتحدث الأستاذ علي عقله عرسان رئيس اتحاد الكتاب العرب . . . فوجئت به يقول :

سيدة دروبي إنني أكلمك من مطار دمشق . هذه اللحظة وصلنا من طشقند وألف مبروك . . . لقد منح المرحوم الدكتور سامي جائزة اللوتس للترجمة من الكتاب الآسيويين والأفريقيين . وهو أول سوري يأخذها . . . كانت كلماته واضحة . . . وجمله متلاحقة . . . تخرج من القلب ، لاتمس العصب السمعي فحسب بل تدخل الى كل خلايا جسدي . . . كانت أحاسيسي تتضارب بين الدموع التي أخذت تنهمر من عيني بغزارة وبين فرحة كفرح الاطفال مصحوباً بغصة . . وألم . . واعتزاز . . أي اعتزاز ؟ إعتزازي أنا بك ياسامي ! أم اعتزاز أمتك بك بعملك الذي خُلِّد بعد أن

رحلت ، والـذي قُيِّم بعـد رحيلك . . فكنـت أول سوري توسـم بجائـزة اللوتس للكتاب الأسيويين الأفريقيين .

تساءلت ليه يارب لم تمد في عمر سامي حتى نفرح معاً ونسمع ياحبيبي نبرات صوت الاستاذ علي عقله عرسان رئيس اتحاد كتاب العرب التي تنم عن فرح واعتزاز كبير بك كمواطن متميز ، أنجز الهام الهام من الأعمال المشرفة له شخصياً ولأمته قومياً .

وكانت التهنئة الثانية التي وصلتنا بعد أقل من أربـع وعشرين ساعـة برقية من الدكتورة نجاح العطار

نص برقية وزيرة الثقافة

فرددت على برقيتها

سيادة وزيرة الثقافة والارشاد القومي الدكتورة نجاح العطار

بكثير من الاعتزاز ، تلقيت البارحة ، تهنئتك بجائزة اللـوتس التـي نالها زوجي المرحوم سامي الدروبي تقديراً لما بذل من جهد جبـار في ميدان الأدب والثقافة ، خلال عمره القصير . إن كلماتك النبيلة جعلتني أشعر أن التهنئة ليست لي شخصياً وإنما لأمتنا العربية المعطاء التي انجبت سامي الذي حمل عبء الكلمة في كل ماخط قلمه السخي . إنني أشكرك باسمي واسـم اولادي واسم اسرة الدروبي على هذه البادرة التـي لاتصـدر إلاّ ممـن عانـى صعوبة التعامل مع الحرف ، فعرف كيف يقدر أربابه .

احسان بيات الدروبي

المداراة

نظراً لوضعه الصحي ، فقـد كان يحـرص أن أقوم بدلاً عنـه ببعض الالتزامـات الاجتماعية ، حتــى أن إدارة البروتــوكول في وزارة الخــارجية الاسبانية حين توفي سفير هولنده إتصلت معي لتبلغني عن مراسم العزاء ، سواء في منزل السفير أم في الكنيسة أم حين وداع جثمان السفير الراحل في مطار مدريد .

كان السفير الهولندي هذا قد مثل بلاده في عددٍ من الدول العربية وهو صديق للعرب . . . ولهذا كتمت عن سامـي خبـر وفاتـه بنوبـة قلبية . . .

خاصة كان زوجي يعاني من آفة قلبية . .
في موعد العزاء في منزل السفير «كذبت كذبة بيضاء» . وقلت له :
عندي موعد مع الخياطة . وقمت بواجب العزاء .
وفي اليوم التالي كذلك ، «كذبت كذبة بيضاء» وقلت له :-
عندي موعد مع طبيب الأسنان وقمت بالمشاركة في القداس المقام في الكنيسة
وفي اليوم الثالث كذلك «كذبت كذبة بيضاء» وقلت له :-
سأزور مدرسة ولدنا مصباح .
حين عدت للدار فوجئت به يفتح لي الباب وفي نظرة عينيه ابتسامة مداعبة ماكرة وقال :-
الزوج آخر من يعلم : أليس كذلك ؟ ويأتيك بالأخبار من لم تزود
لقد رأيتك على شاشة التلفزيون حين تشييع الجثمان وتوديع السفير الراحل . .
وتابع حديثه مداعباً :-
«ويلي من كيد النساء» ما أسرع ما كنت تبدلين به ثيابك السوداء . بأخرى ملونة حتى لا أشعر بما تخفين علي
آه ياسامي كم كنت أخفي عليك من أمور من شدة خوفي على قلبك ها قد تذكرت في ٢٩/١٢ ذكرى ميلاد ابنتي سلمى . هذا اليوم منذ وفاتها أحتفل به بزيارة ضريحها . حين كنا باسبانيا وأتت تلك الذكرى جلست بغرفتي أقرأ القرآن وأنا أبكيها بحرقة إذا بي أسمع صوت سامي يعود الى الدار في وقت لم أتوقع وصوله .
خفت على سامي إذا ما رآني بهذه الصورة أن أفتح جروحه وكنت أخشى على قلبه من الانفعال فخرجت الى الشرفة مسرعة وغسلت وجهي بمياه مثلجة ويظهر ان الاختلاف بدرجة الحرارة وبين الغرفة المدفأة ودموع الحرقة التي تغرق عيني بها ، وبين الشرفة والمياه المثلجة التي غسلت بها عيني عملت تخريش في عيني اليمنى جعلتني لا أنام تلك الليلة من شدة الالم . . وفي صباح اليوم التالي وكان يوم سبت . . اتصلت مع الدكتور نقولا الحلبي

السوري المتخصص بالعينية . فاقترح الذهاب الى مستشفى الجامعة ليفحصني الاستاذ الدكتور دومنغيس Domengaze الذي قرر إجراءجراحة بالعين . . على أن تكون هذه العملية يوم الاثنين في بداية الاسبوع . . لكنني قلت للطبيب :

إذا كان لابد من جراحة ؟ فلتكن اليوم . . . أجاب باندهاش . .
بدون أن تخبري زوجك بعملية ستجرى بعينك ؟

أجبته :-

لا داعي لاخباره . . وقلت لنفسي سأعفي قلب سامي من حالات التوتر التي تعتمل بالانسان في مثل تلك الحالات .

دخلت إلى الغرفة المخصصة لي وأمضيت الورق اللازم وأجريت لي العملية . .

بعد أن صحوت من التخدير كلم الدكتور الحلبي سامي . . وأخبره أن العملية أجريت للسيدة حرمكم وهي بخير في الغرفة رقم كذا في مستشفى الجامعة .

لا لن انسى نظرة العتاب في عينيه وقال :-

«أنا زوج أم رجل كرسي» . كيف تصرين على إجراء عملية لوحدك . . والتفت وقال للدكتور حلبي :-

إن زوجتي من أصحاب السوابق في مثل هذه الأمور . . هل تصدق حين كنت سفيراً بالقاهرة في يوم بعد أن خرجت مبكراً الى السفارة ببضع ساعات رن جرس الهاتف وسمعتها تقول :-

سامي ألف مبروك نجحت عملية استئصال اللوز لابننا مصباح . وقد بدأ يصحو من التخدير . . . وأرسلت لك السائق لتحضر لتراه . . . أنا لا أفهم كيف تتحمل لوحدها هذا الجهد والتوتر لتحمي قلبي منه . . . وتابع يردد ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون .

لاشك يادكتور حلبي هذه هي الرحمة التي يذكرها الله في كتابه العزيز .

• • •

اليوم اجتمعت مع الاستاذ بهيج عثمان والسيدة حرمه . تذكرت لقاءنا الأخير مع سامي في منزل سفير لبنان في القاهرة حين زار وفد من الكتاب اللبنانيين القاهرة وكان معظمهم من أصدقاءنا . . . دعتنا زوجة السفير . . وكانت تربطني بها صداقة بالاضافة الى زمالة زوجينا بالسلك فقالت إن الكتاب اللبنانيين بشوقٍ لسامي . . . فوعدتهم أن يكون بالعشاء المقام على شرفهم مع علمي أنه منذ أيام قليلة فقط خرج الدكتور سامي من المستشفى . . ولكن سأعدك أن أعد عشاءً خفيفاً حتى لا ينزعج سامي .

وفعلاً قبل أن تدعونا السيدة نوف أبو عز الدين . . إلى غرفة الطعام قالت :

ياجماعة اليوم قرأت مقالة صحية وما أذكره من المقال أن من تجاوز الأربعين يجب أن تكون وجبة عشائه خفيفة واليوم جميعنا سيتناول وجبة خفيفة . . . مع العلم «يادوب وصلنا الاربعين» .

فإذا بسامي يعلق :-

لاشك ياسيدة نوف ظلمتي الاخوان بسببي . أنا الذي كنت هارباً من عشاء احسان الخفيف جداً . فها أنذا أقع مع الاخوان بمطب تآمرك معها بعشاءٍ خفيف .

ونحن على المائدة كنت أجلس على يسار سفير لبنان حليم ابو عز الدين وعلى يمين وزير الخارجية المصري محمد حسن الزيات نظرت باتجاه سامي الجالس الى يسار حرم السفير في الطرف الآخر من المائدة . وكان يتحدث وعلى وجهه ابتسامة وفي عينيه بريق يشع . .

علق السفير قائلاً :-

يااحسان يظهر ان سامي يتحدث مع نوف عن صبية حلوة .

أجبته :-

لا إنه يتحدث عن أكلة حلوة .

أجاب :-

«ولو شو هل الثقة بالنفس»

وعلى رهان من ليرة إلى ألف ليرة . .

فوافقت وسألت سامي بملء صوتي :-
ياسامي عما تكلم نوف ؟
أجاب :-
أحدثها عن أكلتي المفضلة الشعيبيات الحمصية .
ضحك السفير وقال :-
والله خسرتني الرهان ياسامي .
مازال لي حتى الآن بذمة السفير حليم أبو عز الدين ذاك الرهان .

* * *

اليوم الثاني والعشرين من نيسان هو يوم خطوبتي والذاكرة لاتنسى هذا اليوم . وها قد نبشت من أعماقها تلك الأيام الحلوة . . .

في صبيحة اليوم التالي للخطوبة دعينا من قبل طلاب سامي احتفالاً بخطوبته إلى وادي بردى . . وكانت رحلة جميلة بفكرتها وبمضمونها . .

اجتمعنا بعض الأساتذة وزوجاتهم من كلية التربية أمام دار الطالبات في الحلبوني ، حيث ستنطلق الرحلة من هناك .

بدأت تصعد الطالبات الى الباص لاحظت همساً بينهن . .
سألت طالبة صديقتي ما الحكاية ؟
همست في أذني بمنتهى السرية يوجد طالبة مغمى عليها . .
حاولت أن أنهض إلى تلك الطالبة لأطمئن عليها . . .
لكن صديقتي منعتني وقال بحذر :-
لاتذهبي إنها مغمى عليها من الغيظ إنها معجبة بالاستاذ سامي . . .
مسني تيار كهربائي . . ولعب الفأر بعبي . . قلت لها :-
لماذا لم يتوج حبهما بخطوبة إذاً ؟
أجابت صديقتي :-
إطمئني . . . إنه حب من طرف واحد . . .
سمعت صوت السائق يسأل :-
نتيسر سيدي ؟
أجابه مشرف الرحلة :-

على بركة الله يا أبو أحمد .

سار الباص . . وأنا سرحت بالطالبة بحبها الطاهر البريء الرومانسي . . . طالبة متفتحة تعشق أستاذها فلا تبوح له بهواها . . . ولا يعلم إلاّ الله كم هي عانت وتعاني الآن وهي تفاجأ بخطوَبته ، فلا تملك إلاّ أن يُغمى عليها . . .

صدقوني أحسست بعطف وعاطفة عليها نظرت اليها من خلال نفسي وقلت لنفسي «معها حق إن سامي يُعشق» .

لذا حاولت كل ذلك اليوم أن أشعرها أنها الوحيدة مركز إهتمامي من كل الطالبات التي كانت عيونهن تتساءل مندهشة عن سر إهتمامي بها بالذات . . . وعلمت فيما بعد أن رهاناً حصل بينهن . هل أنا أعلم عن حب فلانة لسامي . أم أنا أجهله ؟

قبل العودة بقليل جلسنا في مقصف الفردوس على شكل دائري ، وكانت جلسة حلوة ممتعة متلونة . فهذا يروي نكتة ، وذاك يقلد أستاذاً ، وتلك تغني لفيروز أغنية . وإذا بطالب يطرح سؤ الاً على سامي قائلاً :

أستاذ سامي هل نظمت شعراً في حياتك ؟

أجابه سامي :-

لقد نظمت شعراً قليلاً ولكنه لم ينشر . . . ومنذ يومين كتبت قصيدة لاحسان

فهاج الجمع وماج وصفق وألح على سماعها فامتثل سامي لالحاح وتصفيق طلابه فأنشد

لاتخافي سراً يلوح بعيني
رهيباً يفح كالافعواني
لا تخافي الغموض فوق حبيبتي
لا تخافي ابتسامة الكتمان
هو ماضٍ خلفته فحذاري
أن تفضي أسراره للعيان
كنت لا أنشد الحياة

وجـودي وانعدامـي عن أفقهـا سيان
غـير أنـي احسـت دفئاً
بعينيك يصـب الحياة في أكفاني
فتمنيت أن أعـود لنفسي
وتكونـي لعودتـي رباني

إنفعلت ، وخجلت وصعدت شحنـة حُمرة الحياء على وجنتـي . . . وبدأت تتحول إلى نشوة مصحوبة باعتزاز ، واعتزازٍ مصحوبٍ بنشوة ، وبينما أنا أتمتع بأحاسيسي كلها فإذا بصوت يخترق التصفيق الحار فيقول :-

ليه ما أحسست الاستاذ سامي بدفء عينيك هذا من زمان .

مس هذا الصوت بتلك اللهجة الغير ودية عطفي وعاطفتي تجاه صاحبة هذا الصوت فقتلهما ومس اللؤم في نفسي فأيقظه فقلت بلهجة لئيمة . .

في الحقيقة يا آنسة تركت فرصة أمام تلميذاته . . . ولما فشلن دخلت لحياته . .

علقت إحدى الطالبات وهي تلوم زميلتها قائلة :-

كم نحن مندهشات ومعجبات من لطف وملاطفة إحسان وإنسانيتهـا معها منذ الصباح لماذا قالت هكذا . . هل لتطرها لتسمع مثل هذا القول؟

ومن الغريب أننا منذ ذاك اليوم لم نجتمع معاً . .

سبق وذكرت بعد نكسة حزيران ١٩٦٧ اجتمعنا سيدات السلك الدبلوماسي العربي مع عدد من سيدات مصر وكنا نعمل بصورة جماعية . إما بالمستشفى أو بالتهجير وكان مايقلقني كثيراً الطالبات الشابات الفلسطينيات اللواتي يدرسن بالقاهرة وقد انقطع المصروف عنهن بسبب الحرب . ويظهر أن سامي تحدث مع الرئيس عبد الناصر عن قلقي هذا . فإذا بالرئيس الوالد يصدر أمره بأن تعتبر الطالبات الفلسطينيات بحكم الموفدات المصريات وتغطى مصاريفهن ريثما يعود المصروف من ذويهن .

قبل سفرنا مغادرين القاهرة حضرت السيدة إنعام عرفات . وباسم الطالبات الفلسطينيات قلدتني وساماً مع غطاء مائدة اشتركت بتطريزه الطالبات المقيمات في دار الطالبات الفلسطينيات في الدقي .



انعام عرفات تقلد احسان الدروبي وسام الفتيات الفلسطينيات .


.. الرحيل

إنا لله وإنا إليه راجعون

يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي

وزارة الخارجية

اتحاد الكتاب العرب

زوجة الفقيد : احسـان
ولـداه : مصباح وليلى الدروبي
والدتـه : سـامية
اشـقاؤه : سمير ، الدكتور ثابت ، عبد الاله ، الدكتور غازي ، المهندس عزام
الدكتورة الهام
انسباؤه : خالد وعدنان وغسان البيات والمهندس خلدون الصوفي

وجميع آل الدروبي والسباعي والبيات والصوفي والحافظ
ينعون اليكم بمزيد اللوعة والأسى

فقيد الأمة العربية والفكر العربي

المرحـوم

الدكتور سامى الدروبى

الذي توفاه الله يوم الخميس الواقع في ١١ صفر ١٣٩٦ هـ الموافق ١٢ شـباط ١٩٧٦ وسيشيع جثمانه الطاهر من داره الكائنة في المزة الجديدة (الفيلات الغربية شارع جامع الكوثر عمارة الشعلان) في الساعة ١١ من ظهر يوم الجمعة الواقع في ١٢ صفر ١٣٩٦ هـ الموافق ١٣ شباط ١٩٧٦ ويصلى عليه عقب صلاة الجمعة في مسجد سنان باشا ويوارى مثواه الأخير في مقبرة باب الصغير .

ولا حـول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

تقبل التعازي في دار الفقيد

التشييع بالسيارات

مصر تقد ١٧/٦/٩٦

اتحاد الجمهوريات ٢٩ ١٢ ....

السيدة قرينة المرحوم سامي الدروبي دمشق

أرجو أن تتقبلي خالص عزائي القلبي في فقيدك

وفقيد الأمة العربية داعية الله أن يلهمك الصبر

وأن يملأ قلبك بالإيمان

تحية جمال عبد الناصر

REPUBLIQUE ARABE SYRIENNE	الجمهورية العربية السورية
Ministère des Communications	وزارة المواصلات
Etablissement des Postes et des Télécommunications	المؤسسة العامة للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية

Indications de Réception — اشارات الاخذ	برقية واردة Télégramme d'arrivée	Adresse — العنوان
Date ٢/١٤ التاريخ Heure ١٢,٢٠ الساعة Sign. de l'agent [illegible] توقيع الموظف	خاتم التاريخ Timbre à date	دمشق المزة الفيلات الجديدة عائلة المرحوم الاستاذ سامي الدروبي

رقم التسلسل N° d'ordre	المصدر Origine	رقم البرقية N° du télég.	عدد الكلمات Nombre de mots	التاريخ Date	الساعة Heure	اشارات المصلحة والطريق Mentions de Service et de Voie
	دمشق	٩٧٢٢	٢٤	٢/١٤	١٢,٢٠	

أصدق وأخلص التعازي بفقيد الأدب العربي والثقافة الانسانية

الاستاذ سامي الدروبي

خالد بكداش

الرقم: ٢٦/٧/٩٥

اللاذقية ٢٤/٩/٢٠٠٠

السيد "المهندس" أ. سامي "الدروبي" دمشق

تحية من رياح جبال الشاطئ إلينا بشتى الصور الآن بم
وتوردت لي آلاء تحمل كتابه هذه البرقية فرحا بالأعتاب الأمس
من يتقدم ثمة "الجزاء" بالعرفان وصلا له من تحية
ومكانه "الوالد" في قلوبنا لا نعتبر من واجبنا أن نقدم هبة
الجزاء بقدر ما هي حق لنا

إن؟ ٤٤

إن تحيتنا هذه لكم في أقرب فرصة ستجدوننا إلى جانبكم
في واجبنا نحوكم حقا لقد مرّ وإن لم يتقدم من روحه
لي هوامش بما سبق الخمس وتسعين إنسانية تحتمل بعدك
الحياة وقفا لها رجال عاشوا "الحياة" بالأرقة كاملا ومن وراءهم
عرفت بالأنوار عنوانا لا يمحى

حاتم ساري وحرمه [signature]





٢٩٠١
دمشــــق ١٢٠ ٢/١٤ ١٢٠٠

حكـومــة

الجزة دمشق الجديدة الأخت الفاضلة احســان الدروبي المحترمــة

تلقيت بمزيد من الأســى والحزن نبأ وفاة الصديق العزيز استاذنا الدكتور سامي الدروبي لقد فقدت الأمة العربية مناضلا صلبا في سبيل وحدتها وكرامتها فاصدق في نضاله الى آخر خفقة من قلبه الكبير . وفقدت الكلمة العربية فيه رائدا من روادها الذين عملوا الكثير في سبيل إثرائها واعادة مجدها وانتشارها في العالم واصار مكتبتها .

اما عن الجزائر فانها لا ولن تنسى كيف جند المرحوم نفسه وما يملك وما وجدت تحت يديه لخدمة ثورتها المسلحة التي كان يعتبرها التعبير الأصدق والصادق من طموح الأمة العربية وآمالها .

رحم الله العزيز الفقيد الدكتور سامي والهمك وذويه الصبر وجعل ذكراه نبراسا يهتدي به كل مناضل مخلص عن طريق امتنا العظيمة .

عثمان سعدي
سفير الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية بدمشق

٠ننننن

خيشي ق‌د ١٢ ٤ س٠٨٤٦

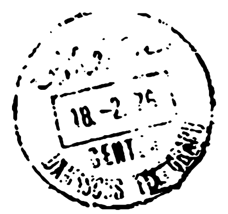
القاهره ٢٤ ١٢ ٠٠٠٠

أسره المرحوم سامي الدروبي دمشق سوريا

افقد نا شل الفقيد من أجل أمته العربية وكافح الصادق والقيم رحم الله الفقيد
وأسكنه فسيح جناته



عبدالحكيم جمال عبدالناصر



خيشي قد ٩٣٧ فر ١٩ ١٤

عدلى مصر ٢٩ ١٢ ٢٣٥٥

السيده قرينة المرحوم سامى الدروبى دمشق

ارجو ان تتقبلى صادق عزائنا القلبى ومشاركتنا لك

فى احزانك لفقد رجل كان يملاء حياتك

كان فى الحياه العربيه كلها شعاع صدق

ونور وايمان ثابت بالمستقبل القربى والوحده العربيه

هدايت ومحمد حسنين هيكل.

رج قد ٩٣٧

بعض ماكتب عن سامي الدروبي بعد رحيله

هذه المجموعة من الذكريات . أضيم إليها ما وصل إليّ مما قيل عن سامي منذ وفاته إلى الآن فإذا ما كتب شيء ما ولم يصلني فإنني أعتذر عن عدم نشره لا عن تقصير مقصود مني معاذ الله . ولكن لعدم إطلاعي على كل ما يكتب ، ولي رجاء من الذين يكتبون عنه في المستقبل أن يرسلوا إليّ ما يكتبوه لينضم إلى أرشيف سامي الذي احتفظ به مع شكري وامتناني .

قال الراوي
مات سامي الدروبي عاش ابداعه . . !

كسمفونية غير مكتملة رحل سامي الدروبي قبل أن ينجز مشروعه الأخير الذي كرس له كل وقته رغم المرض : ترجمة الآثار الكاملة لدوستويفسكي وتولوستوي . .

وفي الحقيقة كان سامي الدروبي مبدعا ومؤلفا أكثر مما كان مترجما لهاتين القمتين الأدبيتين . ذلك أن ترجمة مؤلفات الكتاب العظام تحتاج إلى أكثر من معرفة باللغة فهي تتطلب فضلاً عن اتقان اللغتين تعمقاً في فهم الكاتب المترجم فكراً وروحاً وإلى ذلك كله لا بد لمن يتصدى للقمم الأدبية من ثقافة واسعة . ولقد كان لسامي الدروبي ذلك الفهم وتلك الثقافة .

لعل فقيدنا لم يقدم تحليلاً لروح دوستويفسكي كما فعل ستيفان زفايغ لكنه من خلال ترجمة أعماله وبالتعبير بدقة عن هذا الكاتب الذي انطلق كرصاصة بعد «ذكريات من بيت الموتى» ـ كما يقول زفايغ ـ قدمه أفضل تقديم وباخلاص حتى تكاد تحس بنبضات دوستويفسكي على الورق تتدفق كنهر غاضب . ومع أن الدروبي لم يكن ، فيما نعلم ، يملك هذا المزاج الانفصالي الذي كان لدوستويفسكي فانه استطاع أن يعبر أصدق تعبير عن هذا الكاتب فكراً وروحاً وهي مهمة ليست يسيرة .

سامي الدروبي خسارة للثقافة فتحية له ولنتذكر جهوده وابداعه لعلنا نقدره حق التقدير بعد مماته ـ كما هي العادة ـ وقد كان علينا أن نفعل ذلك في حياته . . !

«الراوي»

البعث ١٢/ ٢/ ١٩٧٦

وفاة المفكر العربي الكبير الدكتور سامي الدروبي

دمشق - سانا - نعى اتحاد الكتاب العرب ووزارة الخارجية أمس المفكر العربي الكبير المرحوم الدكتور سامي الدروبي سفير الجمهورية العربية السورية الذي توفاه الله أمس أثر مغالبته لمرض استمر سنوات عديدة لم ينفك خلالها الفقيد الكبير عن مواصلة الانتاج الفكري الكبير والعطاء الدائم إضافة إلى المهام الجسام التي اضطلع بها على الصعيدين القومي والدبلوماسي .

وقد شغل الفقيد الكبير في حياته مهام عديدة فكان استاذا في جامعة دمشق ومستشاراً ثقافياً ووزيراً للتربية وسفيراً وبدأ الكتابة والانتاج الفكري منذ أوائل السنوات الأربعينات فألف في موضوعات في الفلسفة وعلم النفس وترجم العشرات من أمهات الكتب الفلسفية والفكرية والأدبية التي تعد من ركائز التراث العالمي وقدمها إلى القراء العرب بأسلوب غاية في الدقة والتعبير والبلاغة .

واستمر الفقيد الكبير يؤلف ويكتب وينهض بمهام عمله القومي بالرغم من المرض الذي اشتد عليه طوال السنين العشر الأخيرة .

ان خسارة الفكر العربي عظيمة بوفاة هذا الكاتب العربي الكبير واتحاد الكتاب العرب إذ يتقدم بأعمق العزاء إلى أسرة الفقيد وإلى الأمة العربية يسأل الله أن يتغمد الفقيد العظيم برحمته ورضوانه وإنا لله وإنا إليه راجعون .

هذا وسيتم تشييع جثمان الفقيد الكبير في الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر اليوم من منزله في المزة الجديدة فيلات غربية شارع جامع الكوثر إلى جامع السنانية حيث يصلى على جثمانه ثم يوارى الجثمان في مقبرة باب الصغير .

البعث ١٤/٢/١٩٧٦

حديث الصباح
صاحب الكنوز الروحية المبدعة

● علي حيدر

مات سامي الدروبي ، وانطفأت جذوة الحياة في عيني الأديب والمفكر والفيلسوف والسياسي الذي حمل منذ أيام الصبا الأولى لواء الثورة ضد الأستعمار والرجعية والتخلف ، ليس في سورية وحدها ، بل على نطاق الوطن العربي كله .

مات الأستاذالدكتور الذي كنت أحلم يوم كنت طالباًثانوياً أن أتتلمذله في جامعة دمشق بعد أن قرأت بعض مترجماته الرائعة ، ولكن ذلك لم يتحقق ، فقد أنهى حياته الجامعية وابتدأ حياته الدبلوماسية سفيراً في بلغراد قبل أن أصل إلى الجامعة ، وترك في نفسي لهفة التشوق إلى معرفته عن قرب .

مات السياسي الذي لم ير طوال حياته في السياسة حرفة ، بل وطنا ، ولم يتخذ منها سلما بل فكراً ، فقد تحولت كل الانتصارات الكبرى والصغرى للوطن إلى بهجة تهزه من الأعماق ، كأنها انتصار شخصي له ، وكذلك الهزائم الكبرى والصغرى للوطن . . هزائم شخصية له ، تهز كيانه من الرأس حتى القدم . . وعبء ثقيل على قلبه المتعب ، وهو مع ذلك لم يكن يتحدث في السياسة ، لأن الحوار الوحيد الذي يشفي الغليل في رأيه ، هو حوار النار مع العدو . . أنه السبيل الوحيد لبعث هذه الأمة وتوحيدها وانطلاقها ، ومئات الآلاف من الكلمات (دون افتئات على قيمة الكلمة الصادقة) لا تساوي خطوة واحدة لمقاتل واحد ، لحديثه دوي معزوف ذلك أن التاريخ يصنع ولا يقرأ . . والجغرافية ان لم يرسمها جنود يدافعون عن الحق . . فكل خرائط الرسامين والمساحين تتحول إلى ذكريات لدى عالم مصاب بضعف شديد في الذاكرة .

منذ سنوات ، وفي استراحة مطار دمشق ، التقيته مسافرا إلى مدريد ، وكانت فرصة حققت حلما ، سألته عن أشياء كثيرة : عن قلبه المطعون الذي قرأت في الصحف أنه سلمه منذ فترة لمبضع جراح ممتاز ، وعن مترجماته التي تجاوزت السبعين كتابا (منها المؤلفات الكاملة لديستوفيسكس ، وبعض

مؤلفات تولستوي وبوشكين وتورجنيف وليرمونتوف وكورولينكو ، المؤلفات الكاملة للفيلسوف هنري برجسن بعض مؤلفات الفيلسوف والشاعر جان ماري جويو وكروتشه وهيانس وفرانز فانون ، وعدداً من عيون الأدب الجزائري الحديث الذي استعار الفرنسية لغة ، وفي طليعة هذه الكتب ثلاثية الروائي الجزائري محمد ديب وهي الدار الكبيرة والغول والحريق) ، وأذكر أنني قلت في نفسي يومها : من حظ المؤلف العظيم أن يقع انتاجه بين يدي مترجم عظيم كسامي الدروبي الذي ينقل لك الأفكار والأساليب بطريقة تجعلك تتجاوز حاجز اللغة والقومية والجغرافية ، وأذكر أيضاً أنه قال لي : ان علاقتي بديستويفسكي بدأت عندما كنت في الثامنة عشرة ، لأنني شعرت أن بيني وبينه انسابا روحية ووجدت نفسي فيه وصرت أتحرك في عالمه كتحركي في بيتي ، وأعرف شخوصه معرفة أصدقاء طالت صحبتي معهم حتى لأكاد أحاورهم همسا في بعض الأحيان ، ولست أتخيل امكان النهوض بعبء العمل الدبلوماسي والسياسي الثقيل بالهمة والنشاط اللازمين دون اللجوء إلى ديستوفسكي ، تجديداً للنشاط وبعثا للهمة .

وأذكر أيضاً أنه عقد لي مقارنة بين ديستوفسكي ونيتشه ، وذكرني بعبارة نيتشه الشهيرة «ديستوفيسكي هو الوحيد الذي علمني شيئاً عن النفس الإنسانية» ، وعندما سألته كيف توفقون بين وداعة الأول وعنف الأخير قال لي : لقد كان نيتشه رقيقاً إلى حد الاغماء عندما رأى حصانا يضرب بقسوة ، ولكن الفرق بينه وبين ديستوفسكي أنه مجد تجاوز الإنسان لنفسه في حين آمن ديستوفسكي باذعان الإنسان لقدره ، والحقيقة التي اكتشفها الاثنان معاً هي أن في الإنسان توقا إلى تجاوز ذاته ، ويرى ديستوفسكي في هذا ينبوعا للعذاب والآلام ، أما نيتشه فيرى فيه مصدراً للخلق الابداع .

وقد رأى الراحل الكبير أن تمثل ديستوفسكي يعبر عن عراقه ثقافية وحضارية حتى لو كانت مختفية تحت ركام السنين ، فهو معاصر دائما حتى إننا نرى كثيراً من المذاهب الفكرية والتيارات الأدبية المختلفة تنمي نفسها إليها ، وتزعم بنوتها له ، فأراد لأبناء شعبه أن يتمثلوه كما تمثله ، وقضي عشرين عاماً في ترجمته مضطلعا بمهام لا تؤديها أقل من فرقة من الرجال الموهوبين ، فأثقل

ذلك قلبه المطعون ، واستهلك كل ما فيه من نبضات .

رحمك الله أيها المناضل الكبير رحمة تجزيك على ما ضحيت وقدمت لأبناء شعبك من كنوز روحية مبدعة .

مواقف !

كالأصوات الجميلة والناس الطيبين ، فان عدد الذين يحسنون النطق باللغة العربية قليلون جدا . ومن بين هذا العدد القليل : طه حسين والشيخ محمد رفعت والشيخ عبد الوهاب خلاف وشاعرنا الرقيق فاروق شوشة . . والمرحوم سامي الدروبي . وكان سفيراً لسوريا في مصر . وقد أبكانا جميعا يوم قدم أوراق اعتماده لجمال عبد الناصر سفيراً لسوريا ـ بعد الإنفصال . عندما قال باكيا أنه ما كان يتصور أن يكون سفيراً لبلده في بلده !

وقد شاهد الناس في مصر سامي الدروبي يتحدث بلغة عربية سليمة قوية جميلة . وكان يومها في مباراة مع الذين يقولون أن العربيةالفصحى عاجزة عن الوفاء باحتياجات الناس اليومية . . فأثبت سامي الدروبي ان الفصحى أقوى وأبقى وأشمل . وان عجز اللغة الفصحى عن الوفاء ، ليس عيباً في اللغة ، ولكنه عيب الذين لم يدرسوا هذه اللغة دراسة كاملة . وكان سامي الدروبي قديراً على ذلك . .

عرفت سامي الدروبي زميلاً في قسم الفلسفة . وكان رقيقاً ملء الصوت جميل اللفتات والهمسات . . وكان متمكنا من الفرنسية أيضاً . وكانت لنا أحلام من بينها أن نقدم للغة العربية «فلسفة الجمال» أي فلسفة تذوق الجمال في الفن والأدب والحياة . . واشترك سامي الدروبي مع اثنين من الزملاء السوريين هما عبد الله عبد الدايم وبديع الكسم في ترجمة دراسات في فلسفة الجمال . .

ولكن أعظم أعمال سامي الدروبي ، يرحمه الله ، ترجمته لاروع روايات الأديب الروسي دستويفسكي . فلم تعرف اللغة العربية ترجمة كاملة لمثل هذا الروائي العظيم . . إلا بقلم الأديب سامي الدروبي . وهذا هو العمل الذي سوف يدخل به سامي الدروبي عالم الأدب وتاريخ نقل الدماء الزكية إلى الفكر العربي الحديث . .

أنت لا تعرف هذا الرجل الراحل ، ولكنه صورة جميلة للاعتزاز بالعروبة وباللغة العرَبية .

لقد مات سامي الدروبي ، الفيلسوف ، الأديب ، السفير ، أحد عشاق لغتنا الجميلة العربية الفصحى .

جريدة
أخبار اليوم
١٦/ ٢/ ١٩٧٦

الثورة ١٧/ ٢/ ١٩٧٦

سامي الدروبي

بقلم : هاني الراهب

كان رد الفعل الأول هو : كيف سنتعرف على تولستوي باللغة العربية . اذن ؟ لا شك أن في الفكرة شيئاً من الأنانية . فالفقيد ، قبل كل شيء ، انسان يحزن عليه لذاته . كان انساناً فعلاً بالمعنى البسيط والعميق للكلمة . بالطبع . ان من نافل القول الحديث عن سجاياه ، وخلقه الأصيل . فهو واحد من ذينك الاثنين اللذين قال فيهما الشاعر الجاهلي :

وكلاهما قد عاش عيشة ماجد وجنى العلاء ، لو أن شيئاً ينفع

والذين يعرفونه يذكرون جيدا المعاني النبيلة والجميلة التي كونت شخصيته وحياته . لكن سامي الدروبي كان أكثر من قطرة صافية عذبة وشخصية غنية مشعة ، لقد عرف كيف يحافظ على ذلك كله ، في عصر شرس وحرباوي . ففي بلاد مثل سورية ، ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، حدث من التغير كما منوعاً ما لم يحدث خلال قرون عديدة سلفت. لقد توارت قيم كانت في حكم المندثرة ، وحلت محلها قيم جديدة ما لبثت أن اندثرت هي الأخرى ، لتخلفها قيم أكثر جدة صارت الآن في طور النزع . وتبدلت علاقات متخلفة ، وكانت الاعمار قصيرة في معظم الميادين والآفاق ، في الأدب والفكر والسياسة والاجتماع . فما أن يلمع نجم ويستبشر به الناس حتى يتكشف بعد حين قليل عن نيزك يعبر السماء الشاسعة الى لحظة انطفاء وشيكة .

لكن سامي الدروبي لم ينطفىء ، لقد ظل خلال ربع القرن الأخير يضيء في مداره الذي حدده لنفسه . يضيء باستمرار ضوءاً متزناً لاهو بالباهر فتعشى منه العيون ، ولاهو بالضئيل الهزيل فتتجاوزه العتمة الى الأحداث . انه واحد ممن يمكن تسميتهم حقاً بالرعيل الأول ، الذين توزعوا على مختلف النشاطات الثقافية والفكرية بعيد الاستقلال . لقد كانوا ، وهو منهم ،

مثقفين ثقافة عالية وعميقة ثقافة اتجهت بهم منذ البداية الى المنابع الأساسية الأصيلة فنهلوا منها ووصلوا الى مكامن انبثاقها الأولية . لذلك كان حديثهم عنها ، وخوضهم فيها ، حديث العارف حقاً والمتوجه ببوصلة العقل والأصالة . فهم لم يقرأوا عن ، وانما قرأوا . ولم يلتقطوا أفكاراً تصلح للاستشهاد في نقاش عصبي ، وانما تمرسوا بأنظمة فكرية . وقد أدركوا منذ بداية نضجهم الثقافي ضخامة الحاجة الى المعرفة ، وضرورة البدء بها فوراً وبطريقة صحية مجدية ، فمنهم من ساهم بانتاجه ، ومعظمهم انصرف الى تكوين مناخ ثقافي كان حجر الأساس في أغلب ما ظهر بعدئذ من تيارات فكرية محلية وانتاج ثقافي محلي . واذا لم يبدعوا الشيء الكثير ، فقد كان لهم الفضل التاريخي في أنهم وضعوا الخميرة في العقول ، وكانت خميرة فعالة . وسامي الدروبي واحد من هؤلاء . انه لم يدع ، ولم يتمدد الى أكثر مما أهلته مقدراته ، ولم يعتقد يوماً أن هذه الثقافة العالية لن تتاح الا له ، وبالتالي فهو المرجع الذي لا غنى عنه . على العكس ، لقد وضع مقدراته وثقافته في متناول الآخرين ، وخاصة الأجيال التي تلت جيله وطعمت من مائدته .

ورغم أن أجيالاً قد تلت جيله ، فقد ظل محافظاً على اتصاله بعصره . ليس فقط عن طريق نشاطه الثقافي المتواصل ، وانما أيضاً بادراكه المرهف للقيم التي بلورتها الحضارة الحديثة . ويحكى عنه أنه كان دائم الانضباط بمواعيده ، بالغ التقيد بها . وكان يتعامل مع الزمن كقيمة حضارية ومادية ، وكضابط أولي للعلاقات والانتاج والتوجه الشخصي . وتلك مزية نادرة في العالم الثالث ، حتى بين المثقفين . وهي دلالة على تفاعل أصيل مع معطيات العصر وعلى تحقق صحي لمعاني الحداثة .

وتتجلى قيمة الزمن عند سامي الدروبي في هذا العطاء المستمر ، الذي ما كان ليخرج الى النور لو لم تقترن اللحظة الراهنة في ذهن هذا الرجل الكبير بقيمة الانتاج ، ان الحديث عن أهمية الزمن حديث سهل وميسور ، فقد باتت الحقيقة ناصعة كعين الشمس . لكن ربط الادراك بالفعالية هو المهم . ويقينا لو أن الممارسة العملية كانت ديدن الناس ، والمثقفين خاصة ، مثلما هو الوعي النظري ديدنهم ، لتقلص حجم التخلف في حياتنا وخفت كثافته ،

وليس المقصود بالممارسة مجرد مواقف مبدئية ، والتقيد بها . ان الممارسة بوجيز القول ، هي الانتاج : به تتحول القيم الى عطاء وحقائق مادية ، وبه تمتحن وتقيم أيضاً .

وسامي الدروبي نجم اتخذ هذا المسار . لان اسمه اقترن في أذهاننا بالمؤلفات الكاملة لدوستويفسكي وتولستوي ، كان رد الفعل الأولي ما كان . لان اسمه اقترن بالعطاء . وان نظرة سريعة الى الترجمات وشروطها في حياتنا الثقافية ، توضح لنا أهمية هذا الجانب من عطاء الفقيد . لقد بذلت جهود متكررة ومتعددة لجعل الترجمة عملية مبرمجة وانتقائية وذات وجهة نظر . وكانت ثمة محاولات جادة وقيمة لتقديم قطاعات كاملة من الثقافات العالمية ، بحيث يتمكن القارىء العربي من الاحاطة بما يريد ويحتاج احاطة شمولية الى درجة كافية ، وليس مبتورة أو منقوصة . لكن شيئاً من هذا لم ينجح النجاح المطلوب . وبقيت الصفة الغالبة لعملية الترجمة هي العشوائية التي يوجهها اما المزاج واما التجارة .

الآن ، بوسع الكثيرين منا ان يغتبطوا لأن مكتباتهم تضم الآثار الكاملة لدوستويفسكي، هذا الفنان الأخلد. ثمانية عشر مجلداً، هي عالم كامل قائم بذاته ، ودوستويفسكي يجب أن يقرأ انتاجه مرة كل عشر سنوات . لقد صار هذا ممكناً بفضل سامي الدروبي : بفضل ايمانه ودأبه وحبه . وهو اذ فرغ من العملاق الأول ، بدأ بالعملاق الثاني . لم يتعذر بالمرض ، فينصرف الى حياة الدعة والكسل التي ينصرف اليها آخرون دونما مرض . بل جالد ضعف قلبه الوحيد : الضعف العضوي ، واستمر يعطي حتى النهاية .

أمثال هذا الرجل لاينتهون بالطبع ، انهم شموس صغيرة خالدة، ضياؤها المعرفة والمحبة ، ونحن نراها كل يوم بعين الا جلال والامتنان والعرفان .

سامي الدروبي
أنشودة الجمال
والصبر والعذاب

بقلم : رجاء النقاش

أخيراً مات سامي الدروبي ، العالم والأديب والفنان والانسان العظيم ، مات سامي بعد رحلة طويلة من العذاب مع مرض القلب ، حيث عاش وهو يناضل ضد هذا المرض القاسي عشر سنوات متصلة ، كان فيها يتنقل بين الأطباء في مختلف أنحاء الدنيا ، وقد أجرى الأطباء الأمريكان له جراحة في القلب ويصفها بنفسه في أحد أحاديثه الصحفية فقال «انهم قطعوا ذراعي اليمنى وادخلوا فيها أجهزة لاختبار القلب ووجدوا عند الشريان التاجي من القلب شريانين لا يعملان ولكن سامي الدروبي ، على كثرة ما عرف من أطباء العالم كان يمنح ثقته المطلقة للطبيب المصري الكبير حمدي السيد ، وكان ذلك مظهراً من مظاهر وفاء سامي الدروبي البالغ لأصدقائه ، وكان مظهراً من مظاهر ثقته العميقة بالانسان العربي والعبقرية العربية فلم يكن سامي في يوم من الأيام من الذين يتصرفون تحت تأثير «عقدة الخواجة» المشهورة الشائعة وخاصة عند مثله ممن يملكون الامكانيات لعرض أنفسهم على أعظم أطباء الدنيا ، وكانت ثقة سامي الدروبي بالدكتور حمدي السيد فوق ذلك كله تجسيداً حياً لمحبة سامي لمصر ، بل وعشقه الصوفي لها ، كان سامي الدروبي يحب مصر بعقله وقلبه ، وكان ينتهز أي فرصة لزيارة مصر وللعمل فيها ، وقد قضى في مصر حوالي خمس عشرة سنة من حياته بين الدراسة والعمل والزيارة .

لقدتعلم سامي في القاهرة ، فدخل كلية الآداب قسم الفلسفة سنة ١٩٤٢ وتخرج فيها سنة ١٩٤٦ . ونال الدكتوراه بعد ذلك من القاهرة أيضاً . وعندما قامت الوحدة المصرية السورية سنة ١٩٥٨ جاء الى مصر وعمل بها مستشاراً ثقافياً في وزارة الثقافة المركزية . وعندما وقع الانفصال سنة ١٩٦١ ، عاد الى سوريا وظل يناضل ضد الانفصاليين حتى سقط حكم الانفصال سنة ١٩٦٣ ، وقامت حكومة جديدة كان فيها سامي الدروبي

وزيراً للتربية ، ولكنه لم يصبر على البعد عن مصر ، فترك الوزارة وانتهز أول فرصة ليجيء الى مصر مندوباً لسوريا في الجامعة العربية ، ثم كان أول سفير لسوريا في مصر بعد الانفصال ، وقد ألقى أمام الزعيم الراحل جمال عبد الناصر كلمة قصيرة بعد تقديم أوراق اعتماده ، وكان ذلك في ابريل سنة ١٩٦٧ ، وقد ألقى سامي الدروبي كلمته تلك وهو يبكي ، وكان مما قاله في هذه الكلمة الرائعة «.. اذا كان يسعدني ويشرفني أن أقف أمامكم ، مستشرفاً معاني الرجولة والبطولة ، فانه ليحز في نفسي أن تكون وقفتي هذه كوقفة أجنبي ، كأنني ما كنت في يوم مجيد من أيام الشموخ مواطناً في جمهورية أنت رئيسها ، الى أن استطاع الاستعمار متحالفاً مع الرجعية ان يفصم عرى الوحدة الرائدة في صباح كالح من أصباح خريف حزين يقال له ٢٨ ايلول ، صباح هو في تاريخ أمتنا لطخة ستمحى» .

والذين لا يعرفون سامي الدروبي لا يتصورون معنى الحزن العميق الذي كان يسيطر على قلبه ، عندما شاءت الظروف له أن يكون أول سفير لسوريا في مصر بعد الانفصال ، فسامي الدروبي كان مؤمناً بالوحدة العربية ايماناً شديد العمق والصدق ، وكانت الوحدة العربية هي الأمل الأكبر في خلق حضارة عربية لها قيمة ، وفي خلق انسان عربي جديد قادر على مواجهة ظروف العصر وتحدياته الصعبة . وقد كان ايمان سامي الدروبي بمصر وحبه لها نابعاً من نفس النبع الصافي ، نبع ايمانه بالوحدة العربية . فقد كان مدركاً أشد الادراك أنه لا وحدة بدون مصر ، وان مصر هي الأساس في أي حركة لها قيمة في الوطن العربي كله .

كان مدركاً أنه لا عروبة بدون مصر .

ولكن آراء سامي الدروبي النظرية في في الوحدة العربية وفي دور مصر لم تكن مجرد آراء عقلية باردة ، بل لقد تحولت هذه الآراء الى عاطفة عميقة في قلبه ، انعكست في محبته العميقة لمصر ، وسعادته الغامرة عندما يكون في القاهرة عاملا فيها أو زائراً لها ، بل لقد انعكست هذه العاطفة الكبيرة نحو مصر في اختياره لأصدقائه ، فقد كان أكثر أصدقائه وأهمهم وأقربهم الى نفسه من مصر .

واذا أردنا ان نرسم صورة عامة للدور السياسي الذي قام به سامي الدروبي فاننا نجد هذا الدور في تبشيره بالوحدة العربية تبشيراً صادقاً أميناً ، وذلك دون الدخول في أي خلافات سياسية من أي نوع ، لقد حرص سامي طيلة حياته على أن يعمل في خدمة «القضية الأصلية» دون أن يغرق في الفروع والتفصيلات ولحظات التوقف والاختلاف ، وهي اللحظات التي تمليها السياسية اليومية العملية ، والحقيقة ان سامي الدروبي بهذا المعنى يعتبر علماً من اعلام النضال العربي المعاصر ، من خلال عمله كوزير وسفير ومفكر وأديب .

وعندما نتساءل بعد ذلك عن الدور الثقافي لسامي الدروبي فلابد أن نعرف شيئاً عن نظريته بالنسبة للواقع العربي المعاصر ، لقد كان يؤمن بأن الحضارة العربية في دور التكوين ، وهي بحاجة ماسة الى الترجمة التي تقوم على الدقة والأمانة وحسن الاختيار ، ولذلك صرف الجزء الأكبر من حياته في الترجمة ، وبدأ عمله بترجمة أعمال الفيسوف الفرنسي الكبير «برجسون» وساعده الدكتور طه حسين في نشر هذه الترجمات عندما كان يرأس تحرير مجلة الكاتب المصري، ويشرف على مطبوعاتها . وترجم سامي الدروبي بعد ذلك عديداً من الأعمال الفنية والفكرية ، كان أهمها رواية «جسر على نهر درينا» وهي الرواية الرائعة التي قدمت للعالم العربي كاتباً عظيماً لم نكن نعرف عنه شيئاً قبل ترجمة سامي الدروبي لروايته ، هذا الكاتب هو الروائي اليوغسلافي «ايفو اندريتش» ثم ترجم سامي مع صديقه الدكتور جمال الأتاسي كتاباً خطيراً آخر هو «معذبو الأرض» للكاتب والفيلسوف المناضل «فيرانز فانون» الذي وقف إلى جانب ثورة الجزائر ، وعاش في قلبها ، واستخلص منها أعظم النتائج والخبرات في كتابه الهام الذي ساهم سامي في ترجمته كتاب «معذبو الأرض» وترجم سامي أيضاً عن الفرنسية ثلاثية الكاتب الجزائري الكبير محمد ديب : البيت والحريق ، والنول .

على أن أهم انجاز ثقافي لسامي الدروبي هو ترجمته للاعمال الكاملة للكاتب الروسي الكبير دستويفسكي . . ان دستويفسكي باجماع النقاد العالميين ـ تقريباً ـ هو أعظم كاتب روائي في تاريخ الأدب العالمي كله . ومن

هنا حرص سامي الدروبي على ترجمته كاملاً وتقديمه للمكتبة العربية . وهذه الأعمال الكاملة تنشر الآن في مصر ، وقد أتمها سامي قبل وفاته ، وبلغت حوالي ثلاثين مجلداً كبيراً وقد حظيت هذه الترجمة باهتمام بالغ حتى في روسيا نفسها ، وأخذ الروس هذه الترجمة ووضعوها في متحف دستويفسكي في موسكو ، واعتبروها من أعظم الانجازات التي تمت في أنحاء العالم بالنسبة لأدب دستويفسكي .

وفي اعتقادي ان الحياة الأدبية العربية لم تدرك بعد أهمية ترجمة سامي الدروبي لأعمال دستويفسكي ، وسوف تمر سنوات أخرى قبل ان نحس بأثر هذه الترجمة على أدبنا ، ولست أشك في أن الجيل الأدبي الجديد سوف يستفيد فائدة بالغة الخطورة من ترجمات دستويفسكي وسوف تترك هذه الأعمال اثرها العميق عن الأدب العربي في الجيل القادم . . . صحيح أن السينما العربيةقد سارعت الى الاستفادة من هذه الأعمال ، فظهرت رواية «الأخوة الأعداء» على الشاشة العربية ـ وسوف تظهر بعض الأفلام الأخرى مستمدة من هذه الروايات . . ولكنني أعتقد ان الأثر الأكبر لم يظهر بعد في أدبنا وفننا السينمائي والمسرحي على صورته الحقيقية ، وما زالت اعمال دستويفسكي التي ترجمها سامي الدروبي في «معدة» الحياة الأدبية العربية لم يتم هضمها بعد ، ويوم يتم هذاالهضم فانها سوف تترك أثراً بالغ العمق على الثقافة العربية المعاصرة .

لقد ترجم سامي أعمال دستويفسكي عن الفرنسية ، وكان سامي يتقن الفرنسية ويتقن العربية ، ولذلك جاءت ترجمته رائعة وفذة .

على أن هناك جوانب أخرى من الابداع الفني والانتاج الأدبي عند سامي لم تنشر حتى الآن . فأنا أعلم أنه كان يكتب الشعر وأنه يملك ديواناً كاملاً كان يقول أنه سوف يتركه لأولاده ينشرونه بعد وفاته . وله كتاب آخر لم ينشر هو «أغاني السكارى على ضفاف نهر العاصي» يبدو أنه نوع من الذكريات التي كتبها سامي الدروبي عن حياته في «حمص» التي تقع على نهر العاصي .

هذه بعض الخطوط العامة السريعة عن حياة سامي الدروبي كسياسي

ومثقف وأديب . ولكن ماذ عن الانسـان ؟ لايمـكن أن نكتـب عن سامـي الدروبي بعقل هادىء فقد كان سامـي الدروبـي إنسانـاً رائعـاً يثير الحـب والاعجاب حوله في كل مكان . وكان هو نفسه شعلة من الذكاء والعاطفة معاً وفي رأيي انه كان نموذجاً فذاً للانسان «المتحضر» في مجتمعنا العربي المعاصر . بل كان مثلاً أعلى لهذا الانسان المتحضر . كان مثقفاً وحريصاً أشد الحرص على تنمية ثقافته . كان مؤمناً بأن تكون له رسالة وله نفع في المجتمع الذي يعيش فيه . كان محباً للناس حريصاً على خدمتهم بأقصى ما يستطيع بل بأكثر مما يستطيع . وله في ذلك مواقف عظيمة سوف تكشف عنها الأيام وتكتبهـا بحروف من النور . وكان فوق ذلك كله من أكثر من رأيت في حياتي صبراً على المصائب التي واجهته بقسوة وأهمهـا جميعـاً مصيبـة وفـاة ابنتـه الرائعـة «سلمى» في الثانية عشرة من عمرها في حادث مؤلم فقد اختنقت بالغاز في حمام منزل الأسرة بدمشق . أما مصيبته الثانية فقد كانت مرض القلب الذي ظل يعاني منه سنوات طويلة ، ومع ذلك صبر سامي الدروبي أجمل الصبـر في محنته ، وساعدته في ذلك زوجـة عظيمـة هي السيدة «احسـان البيات» أو «احسان الدروبي» كما كان يناديها كل المحبين والأصدقاء ، لم يتوق سامي الدروبي أبداً ، لم يغرق في الحزن . كان يتحـدى الموت بالعمـل . وكان شديد الاصرار على أن تكون حياته مثمرة ومفيدة حتـى اللحظـة الأخـيرة . والحقيقة أن سامي الدروبي انتصر في معركته لقد ظل يعمل وينتج وقلبه ينزف قطرة قطرة حتى مات .

وداعاً يا سامي يا أنشودة الجمال والصبـر والعـذاب . كم كنـت قوياً ورائعاً يا أبا سلمى يا أبا ليلى . . يا أبا مصباح . . كم كنت جميلاً ونبيلاً في حياتك وثقافتك وسلوكك مع الـدنيا والنـاس . كم كان كل شيء فيك نقياً وصافياً ومثيراً للحب والاعجاب . ومهما كانت قسوة الموت فسوف تبقـى يا سامـي على مر الأيام مثـلاً اعلى لكل ماهـو حقيقـي وجميل ونبيل في أرضنـا العربية .

فقيد الأدب ولغة الضّاد
سامي الدروبي

نصر الدين البحرة

في مقدمة كتاب «مسائل فلسفة الفن المعاصرة» للفيلسوف الفرنسي جان ماري غويو ، كتب الدكتور سامي الدروبي ، يوم ترجمه عام ١٩٤٨ :

«ان الفكر الانساني أشبه بالسنونو : لم تهيأ جناحاه لطيران يمس الأرض ، بل لانتفاضة جريئة عالية في الفضاء الحر ، وانما المهم اذن أن ينهض . وهذا شاق ولاريب إلا أن رنوه الأبدي الى المثل الاعلى لا ينى يضع تحت جناحيه هواء .

وسيزداد هذا التطلع الى المثل الأعلى قوة» . .

ولكن هذا السنونو الذي اعتاد التحليق في الأعالي . . هبط دفعة واحدة الى الأرض . بلى . . لقد كان أشبه بسنونو أدمن الطيران ، والانتقال ، على أجنحة الفكر والأدب ، من بلد إلى بلد . . لايعرف موسماً للهجرة ، أو موسماً للعودة . كانت أيامه جميعاً مواسم للسفر والارتحال في ذلك الفضاء المسحور . ولكنه كان وثيق الصلة بالأرض ، لم تكن مسألته أن يمسها مسا رفيقاً ليعاود التحليق من ثم . كانت الأرض منطلقه وقاعدته ، فان فيها سربه ، والى ربوع أهلها ، نهاية مطاف الطموح .

وعلى الرغم من أن الهواء كان ما يزال تحت جناحيه ، فلقد هبط دفعة واحدة الى الأرض . . . توقف القلب الكبير ، وغاب عنا الى الأبد الدكتور سامي الدروبي .

كنا نعرف منذ عدة سنوات أن مرض العصر قد أخذ يضرب صدره بقوة والحاح . فقعد أكثر من مرة . وترك الكثيرين من زملائه وقرائه في مختلف أرجاء الوطن العربي . يتابعون أنباء الأزمة بلهفة وخوف وقلق .

ومع أنه كان يعود الينا ، فقد كنا ندرك أن المرض ترك أثار بصماته واضحة عليه . . . وها هو ذا يتمكن منه أخيراً في وقت نحن فيه أحوج ما نكون اليه .

بلى . . . لقد ترك الدكتور سامي الدروبي وراءه تراثاً ضخماً . .

مدرسة كاملة . منهجاً في الفكر والأدب غاية في الوضوح والأصالة . ولكنه هو نفسه كان يرجو لنا ولنفسه أكثر من ذلك بكثير ، ذاك أن رنوه الى المثل الأعلى ، لم يكن لينقطع أبداً .

الا ماأكثر ما ينتظر النفوس الكبيرة من مهمات جسام . وما أقصر العمر عن أن ينهض لادائها جميعاً . .

ان أبناء جيلنا الذين فتحوا أبصارهم قبيل الحرب العالمية الثانية ، وأخذوا يملؤ ون بصائرهم بعدها ، سيظلون يذكرون ، ومعهم الأجيال الصاعدة ، بمزيد من الفخار والشكر ما قدمه الفقيد الكبير الدكتور دروبي من أعمال جليلة كانت مداميك راسخة في بناء الفكر العربي الحديث . ولئن خص الترجمة بجهده الضخم وعمله الدؤ وب المتواصل الرائع ، فحسبه أنه جعل منها علماً وفناً في آن واحد كان من نتيجتها أنه مكن الألوف من القراء في الوطن الكبير . ممن لا يملكون القدرة على قراءة الأمهات الادبية العالمية باللغات الأجنبية . أن يقرؤ وها باللغة العربية دون أن يفوتهم منها شيء ، وبالروح نفسها التي يقبل عليها القارئون باللغات الأجنبية .

كان أول عهدي بقراءة الدكتور دروبي مع كتاب «مسائل فلسفة الفن المعاصرة» وقرأت هذا الكتاب أكثر من مرة بمتعة لاتحد. وخلال ذلك عرفت الكثير من خفايا الترجمة . وكيف يمكن أن يثبت المترجم في الصفحات ما يكفي أن يعوض القارىء حقاً عن متعة القراءة المباشرة باللغة الأصلية .

ثم قرأت ترجمته رواية بوشكين ، أمير شعراء روسيا : «ابنة الضابط» وتابعت بعدئذ ترجمته ثلاثية الكاتب الجزائري الكبير محمد ديب ، حسنا ، ان الفقيد الكبير رد للكاتب الذي حرمه الاستعمار امكان الكتابة بالعربية ، ما أراد أن يكتبه لو أنه امتلك ناصية البيان العربي .

نحن لم نقرأ في الدار الكبيرة ، والغول ، والحريق ، وهي عناوين ثلاثية محمد ديب عملا مترجماً عن الفرنسية ، فقد خيل الينا أننا نقرأ عملاً عربياً من الجزائر كتب أصلاً بلغة الضاد . وهذا في الواقع اضافة على علاقته بأهمية الدكتور دروبي كترجمان كبير ، متصل اتصالا كبيراً ، بالبعد القومي في بنيانه الفكري .

ان الدكتور دروبي لم يختر ثلاثية محمد ديب ، للترجمة عبثاً . فقد كانت أمامه باستمرار مئات الأعمال الجليلة الجديرة بالترجمة . . . فلماذا خص هذه الرواية بالذات . . باختياره ، ولماذا أنفق عليها كل هذا الجهد ؟ لعله كان يود أن يسمع من يقول له : هذه بضاعتنا رددتها الينا .

ان من أعسر الأمور على قارىء الثلاثية ، ان يتصور على نحو ما أنها عمل ترجم . لقد أعادها الينا الأديب الراحل ، وقد برز فيها على نحو مدهش جانباها : الاجتماعي والقومي . فأحسسنا ونحن نتذكر أن محمد ديب كتبها أيام الاحتلال الفرنسي للجزائر ان كل حرف فيها ، لا يؤكد فحسب عروبة الجزائر ، بل . . وقبل كل شيء انها جزء لا يتجزأ من الوطن الكبير .

كان الدكتور دروبي ، وهو مترجم يحرص حرصاً خاصاً على أمانة النقل من لغة الى لغة ، ولكن ذلك ، لم يجعل الترجمة بعد اذ تخرج من بين يديه أشبه بقطعة صخر صلبة ، قطعة واحدة عسيرة الهضم ، كما يصنع بعض التراجمة ، بل كان يدخلها في صميم البيان العربي وصلبه، ذاك أنه كان يمسك جيداً بناصيتي اللغتين معاً ، ولم يكن انشغاله بأمانة النقل الى العربية ، بأقل من انشغاله الى درجة الهم ، باعطائها صيغتها العربية الفصحى ، وحين أقول الفصحى ، فانني لاأعني ما يصنعه بعض التراجمة ، اوما يمكن أن يتبادر الى الذهن أحياناً ، من كلمات وعبارات مقعرة فاقدة الروح ، وإنما أعني الفصحى الحافلة بالحياة والحركة والحس والذوق ، الفصحى الجميلة . . المعاصرة .

وكان الدكتور دروبي خلال ذلك يصرف قسماً من فكره وجهده واهتمامه ، بايجاد البديل العربي المناسب ، لتلك الكلمة الأجنبية «الفرنسية الى العربية أصلاً ما يوازيها . ومما أزال أذكر ترجمته لكلمة «نوينس» الفرنسية الى العربية ، لقد اشتقها ونحتها ، فاذا هي تصبح : «لونية» . وبالطبع فلست هنا في مجال الحصر . . ومن شاء فليرجع الى كتبه وما أكثر الأمثلة المثبوتة فيها .

. . . ثم ماذا بعد ؟

ما عسانا أن نقول . في المهمة الكبرى التي نذر نفسه لها حين انصرف الى ترجمة الأعمال الكاملة للكاتبين العظيمين : ثيودور دوستوفيسكي ، وليو

تولستوي ؟

. . . أجل أن خسارة الفكر العربي والأدب العربي ، بالغة الجسامة برحيل الدكتور سامي الدروبي .

سنظل نذكره ، ستذكره الأجيال العربية الطالعة سنوات طويلة ، ولقد يكون في ذلك ما يغريه هو ، بل لعله اختار هو نفسه هذه الطريق الى الخلود ، أما نحن تلاميذه وعارفيه عن قريب ، فلاشيء يعزينا عن فقده ، فوداعاً للفقيد الكبير . وسلاماً على الدكتور سامي الدروبي ، الابن البار لأدب العرب ولغة الضاد .

وقائع

حفل تأبين فقيد العروبة والفكر

الدكتور سامي الدروبي

أقام إتحاد الكتاب العرب مساء ٢٧ ـ ٣ ـ ١٩٧٦ حفلاً تأبينياً على مدرج جامعة دمشق لفقيد العروبة والفكر الدكتور سامي الدروبي بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته . .

وقد حضر الحفل ممثل السيد رئيس الجمهورية اللواء زهير غزال والأستاذ محمود الأيوبي رئيس مجلس الوزراء والأستاذ محمد حيدر نائب رئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية ، والأستاذ جورج صدقني عضو القيادتين القومية والقطرية رئيس مكتب الثقافة والدراسات والاعداد الحزبي ، والسيد العماد الركن مصطفى طلاس نائب القائد العام للجيش والقوات المسلحة وزير الدفاع وعدد من الرفاق أعضاء القيادتين القومية والقطرية ، ونجلا الزعيم الراحل جمال عبد الناصر عبد الحكيم وهدى وبعض السادة الوزراء ، وآل الفقيد كما حضر الحفل السيد رئيس وأعضاء المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب ، وعدد من أعضاء السلك الدبلوماسي العربي والأجنبي ، وحشد كبير من رجال الفكر والثقافة والأدب .

وقد استهل الحفل بتلاوة من آي الذكر الحكيم ، ثم وقف الحضور دقيقة صمت إجلالاً لروح الفقيد وتنشر «الموقف الأدبي» فيما يلي نصوص الكلمات التي ألقيت في هذا الحفل التأبيني الكبير .

كلمة

الأستاذ حافظ الجمالي

رئيس اتحاد الكتاب العرب

سامي الدّروبي والثقافة

إن من أصعب الأشياء أن يتحدث انسان مثلي عن سامي الدروبي . فلقد اعتبرت دوماً وأظن أنه اعتبر هو أيضاً ، أن حياته جزء من حياتي ، وموته جزء من موتي . ولا شك أن العكس صحيح أيضاً ولقد تمنيت أن يقول هو رثائي ، بدلاً من أن أقول أنا رثاءه ، لا لأنه أصغر في العمر ، وأكثر عطاءً فحسب ، بل لأنني أظن أن كل كلمة من كلماته ، سيحتضنها التراث ، وتختزنها الكتب ، وتكون قطعة من البيان الساحر .

وكيف لا يكون صعباً أن أتحدث عن سامي . لقد عشنا فترة طويلة من الزمن ، بدأت منذ بواكير العمر ، وبدأنا معاً أعمال الترجمة . في جملة كتب رأيناها مفيدة حقاً . كان ذلك في أوائل الأربعينات . وأشهد أن الفصل الأول الذي ترجمه ـ وكان أول ما ترجم ـ تميَّز مباشرة بالأسلوب العربي الشيق ، والوضوح الشفاف ، والبعد من كل ما يُذكِّر بالترجمة .

وأقول : لقد جمعتنا الحياة منذ بواكير العمر . ولكن علاقة القرابة ، والعمل ، والزمالة في المهنة ، في المدارس الثانوية ، ثم الزمالة مدة طويلة في فرنسا وفي كلية التربية ، كل ذلك يجعلني أشعر دوماً أنني وأياه شخص واحد ، لا شخصان ، وروح واحدة ، لا روحان .

وكذلك جمعتنا زمالة من أجل العقيدة الواحدة ، وكانت أفراحنا وأتراحنا متصلة بهذه العقيدة نفسها . تنتصر فنفرح معاً ، وتنتكس ، فنحزن معاً . فإذا كان هناك سجن فإن السجن سيجمعنا معاً ، هو أيضاً ، وسننام على حصير واحدة ، قلما نفترق لا في يقظة ولا في نوم .

تلك هي الصلات التي تجمعنا . فهل من الغريب أن يشق عليَّ أن أتحدث عن «أناي» الآخر ، أي عن صورة أخرى لنفسي ، أجدها مماثلة دوماً فيها ، بعد أن ووريت في التراب ، وقبرها الموت ؟

* * *

وأظن أنه ليس من العدل أن يقاس الانسان بمعايير الكمال المطلق . إذ أن هذا المعيار ، هو معيار الآلهة ، لا معيار للناس . ومنذ زمن طويل ، لم تعد الامهات تلد الانسان الكامل .

ولهذا فإن الناس لا يقاسون بعدد هفواتهم ، بل بالنسبة القائمة بين فضائلهم وهفواتهم ، ولا سيا فضيلة العطاء ، والقبض من الذات على الآخرين ، وتقديم خير ما في هذه الذات ، للآخرين . ومن هذه الناحية ، نستطيع بسهولة أن نضع سامي الدروبي في منزلة عالية بين الناس .

ولهذا فاني سأتحدث عن جوانب أساسية في حياة سامي الدروبي . وكل حياة متعددة الجوانب . وفي وسع كل منا أن يرى للآخر صورةً ما ، يعرفه بها ، إلا أن الجوانب التي أتناولها ، قد تكون أعرق الجوانب ، وأهمها في تلك الحياة الغنية التي عاشها سامي .

وأول هذه الجوانب ، وعي سامي للمعادلة الاجتماعية التي كان يعيشها ويشدها في عصره . ولم تكن هذه المعادلة جديدة في التاريخ . فمنذ ابن تيمية ، في القرن الرابع عشر ، ومحمد عبد الوهاب زعيم الوهابين الذي تأثر بابن تيمية ، ثم جمال الدين الأفغاني ، والشيخ محمد عبده ، وعبد الرحمن الكواكبي . كانت المعادلة واحدة الحدود ، واحدة المجاهيل .

وتتجلى هذه المعادلة في عدة أسئلة أو تحديات يطرحها المجتمع على أبنائه . فالمجتمع متخلف ، ولابد من حل لمشكلة التخلف ، والمجتمع فقير ولابد من حل لمشكلة الفقر ، والمجتمع متفكك ، ولابد من حل لمشكلة الظلم . وأخيراً فإن الانسان مستبعد من الداخل والخارج . ولابد من حل لمشكلة الاستبعاد .

وكان جواب سامي عن هذا كله ، وكان الحل الذي ارتضاه ، هو انتساباته العقائدية ، هذه الانتسابات التي أصبحت تتردد الآن على كل شفة ولسان ، أي الوحدة ، والحرية ، والاشتراكية .

وكان سامي في ذلك كله ، واحداً من جيل كامل آمن بهذه المبادىء ، كما ستؤمن بها الأجيال التالية ، تباعاً ، حتى تتحقق ، أو يتحقق منها ما يمكن أن يتحقق .

ولكن سامي ، كالكثير من رفاق نضاله ، ما لبث أن عرف أن المبادىء بذاتها ، مهما تكن سامية ، تظل عاجزة ، خائرة القوى ، ما لم يكن وراءها من يحملها ، حملاً حضارياً ، معاصراً ، ويغنيها بروحه ، ويملؤها من عزمه . فأكبر المبادىء وأعظمها ، تظل صغيرة ، إذا حملها إنسان صغير ، وأصغر المبادىء ، وأدناها قيمة ، تكبر ، وتتعاظم ، إذا حملها انسان كبير . وعبثاً يكون السمو في المبادىء وحدها ، إذا لم يكن وراءها سمو الانسان ، وشموخ نفسه ، وعظمة قلبه .

لا بد إذن من اغناء الانسان العربي بروح العصر ، والثقافة العالمية ، وبالثقافة جملة . ومن هنا كان اهتمام سامي الدروبي بالثقافة ، ينهلها من ينابيعها الثرة ، لا ليبقيها لنفسه ، ولكن ليعيد صهرها ، لتصبح عربية الوجه ، واللسان ، ولتكون مادةً لثقافة الأجيال الجديدة ، تستمد منها غنى الفكر ، وأصالة الروح ، لتتسلق عليها إلى ما هو أسمى منها .

ولقد أقبل سامي على هذه المهمة ، بجد لا يعرف الكلل ولم يكن يطلب شيئاً عزيزاً . كان كل ما يريده ألا يشغل بحاجات العيش البسيطة ، وألا تثقله هذه بالهموم ، فتصرفه عن مهمته الجليلة . ولقد أنتج في ظروفه هذه ما يزيد عن ثمانين كتاباً من عيون الكتب . في العلم والفلسفة ، والأدب ، والفن ، وبصورة خاصة من تلك التي تمثل حضارة العصر ، وآفاقه . وبالله كم نضيِّق على نوابغنا أفقَ الحياة ، فنخسر معهم الكثير مما كانوا يستطيعون أن يعطوه .

وليس القضية هنا أن سامي قد ترجم هذا كله . بل القضية أنه رزق فصاحة اللسان ، وعروبة البيان ، حتى لكأن من يقرؤه يحسب أن ترجمته هي الأصل ، والأصل هو الترجمة . وكان يسمع مني هذه الكلمات ، ويراها مديحاً غالياً .

والغريب أن سامي أنتج أفضل انتاجه ، بعد أن سدَّ المرض أمامه آفاق الحياة التي كانت آنئذٍ تنفتح له أكبر انفتاح . لكأنه أراد أن يُحيل كلَّ حركة من حركات عضلاته ، وكل خفقة من خفقات قلبه ، وكل قطرة دم في شرايينه ، إلى أثر باق ، يَخلدُ هو ، بعد أن يموت صاحبه ، ويجعل الحديث عنه

متصلاً ، كما لو أنه باق ، حياً ، لا يموت . غير أن ما أراده سامي حقاً ، هو أن يحيا شعبه ، ويتألق حياة وغنى ، وليس يعنيه هو شخصياً أن تطول حياتُه سنة أخرى أو عدة سنوات . أما نحن فكان يعنينا دوماً أن تطول حياتُـه ، لا لأنه أثير لدينا فحسب ، بل لأن هذه الحياة ستكونُ كلها عطاءً يتتابع بعد عطاء .

وعلى ذلك فإن جواب سامي عن تحديات عصره ، لم تكن في المبادىء وحدها ، فما أفقر هذه ، إن لم يكن وراءها الانسان . . . الانسان الـذي يرقى إلى مستواها ، بدلاً من أن يهبط بها إلى مستواه ، ويجعلهـا أداة لتقـدم أمته ، بدلاً من أن يجعلها وسائل جديدة للامعان في التخلف ؟ ترى هل كان جواب سامي هو الجواب المعقول ؟ لا ريب أنه اختار الطـريق ، الطويلـة الصعبة ، ولكني شخصياً ، لا أرى عن ذلك بديلاً .

وأنا أفهم جيداً أن تكون صيحات الـرواد الكبـار من ابـن تيمية إلى الكواكبي ، وجيهة جداً ، وأفهم أنه يجب القضاء على الخرافات ، والعودة إلى روح الدين ، والتقيد بمنظومة قيمه العليا ، ولكن من هو هذا الانسـان الذي يحسن هذه العودة ، وهذا التقيد؟ أما منظومة القيم المثلى فما أسهلها ، وما أسهل العثور عليها : فما من إنسان لايعرف أن الحق خير من الباطل ، والخير أفضل من الشر ، والوحدة أدعى إلى القوة من التناثر . لكن حمل هذه القيم ، واشاعتها في الناس ، والعمل بوحي منها ، لابوحي المنافع الذاتية ، والأهواء الشخصية ، أمر صعب يحتاج إلى «انسان» ما من نوع خاص ، وهذا الانسان هو الذي أراد سامي أن ينشئه ، بالتربية ، ويغنيه بالثقافة ، ويملأه بالعلم والأدب والفن ، ولقد فعل سامي ، في هذا الميدان ، ما استطاع ، وهو كثير ، لكننا سنظل بحاجة إلى ألف «سام» آخر ، لنستطيع قلب معادلة التخلف الشائع ، وخلق الانسان الجديد القادر على حمل القيم السامية .

وبعد ، فلئن كان من دواعي الأسف أن حفلنـا هذا حفـل تأبـين ، فيقينا ، كان مثل هذا الحفل سيقوم ، ولكن للتكريم لاللتأبين ، كان يكفي لذلك أن يمهلنا الموت أياماً قليلة ، إلا أن الأقدار شاءت أن يغيب عنها ، وأن نفتقد كلمته في شكر الذين شاركوا فى حفل تكريمه ، ترى هل يستطيع صوتي

أن ينوب عن صوته في شكر هؤلاء الأعزاء الذين شاركوا في حفل تكريمه بعد الموت ، وأن يقول للأصدقاء من مصر ومن غير مصر : شكراً . . شكراً على وفائكم لي ، وتكريمكم لذكراي ، وأن يختم ذلك كله بنظرة ملؤها الحب والحنان ، يقول فيها لزوجه احسان ، وابنته ليلى ، وابنه مصباح ، أن كل ما يفرحني بعد موتي ، أن تعيشوا سعداء ، في أمة عزيزة ، وأن تغفروا لي ما أثقلكم به مرضي من هموم ، وأنا أولى الناس بالاعتراف بالوفاء .

أظنه سيقبل أن أنوب عنه ، وسيرى أنني لم أتجاوز فيه ما كان يمكن أن يقوله هو ، في أعماق نفسه ، ولو أنه سيقول ذلك كما هي عادته - بلغة أعذب ، وأسلوب أرشق ، وتعابير تهز أعماق القلوب ، ولئن كانت حفلة التأبين ، صورة من صور الوداع الاجتماعي ، لذكرى راحل عزيز ، فلاريب أن حفلة الاستقبال للتراث الذي خلفه سامي ، ستظل قائمة على مدى الأيام .

• • •

كلمة العماد الركن مصطفى طلاس
نائب القائد العام للجيش والقوات
المسلحة وزير الدفاع

أيها السيدات والسادة !

أيها الحفل الكريم !

في البدء كانت الكلمة . . ورغم ذلك فانني أشعر أن الكلمات عاجزة عن تصوير هذا الموقف . . الذي استجد بعد رحيل الدكتور سامي الدروبي إلى جوار ربه . . ومع أن القاعدة الفقهية تنص على أنه «لا يفتي ومالك في المدينة» فانني أجد لدي الجرأة الأدبية لأن أتكلم بعض الشيء في الفلسفة على الرغم من وجود الدكتور بديع الكسم بيننا . .

إن الموت كحدث في حياة الانسان لا مفر منه حتى ولو بلغ من الكبر عتياً جعل منه مادة خصبة للكتب السماوية وللأنبياء والفلاسفة والعلماء . . غير أن القرآن الكريم يحتل المكان الأول في تحليله لهذه الظاهرة ومعالجته لها ، وإذا تصفحنا آيات الذكر الحكيم لوجدنا أن كلمة «موت» وما يشتق منها يتردد بكثرة حتى ليكاد يبلغ سبعة وثلاثين ومائة موضع .

وقد استهدف الله سبحانه وتعالى من هذا التركيز المكثف على قضية الموت بالدرجة الأولى أن يغرس الايمان في قلوب الناس ويزيل عامل الخوف والقلق من هذه الظاهرة الحتمية . . وأن يحث المؤمنين على العمل الصالح ، لأن فترة الحياة الدنيوية محدودة بأجل . . «فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون» .

إذن العمل الصالح هو جوهر الحياة الدنيا . . وهو الذي يبقى من الانسان بعد رحيله إلى رحاب الآخرة . . . «من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزيهم أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون» . فخلود الانسان ـ قولاً واحداً ـ لا يكون إلا بالعمل الصالح . . . أما بالعكس فهو الموت الحقيقي له حتى ولو كان حياً يدب على الأرض . . . ومن هذه الزاوية أود أن أنظر إلى رحيل فقيدنا الكبير الدكتور سامي الدروبي .

لا بد لي قبل الكلام عن أعمال فقيدنا «أبي مصباح وليلى» من أن أحدثكم عن كيفية معرفتي بهذا الانسان العظيم . . . إن قصتي معه تبدأ من أواخر الأربعينات عندما كان أستاذاً للفلسفة والمنطق في ثانويات حمص . . . كان أستاذنا وسيماً ربع القوام يتدفق حيوية . . ويفيض نشاطاً . . وعندما يتكلم كان ينبوعاً من العطاء والمعرفة . . . كان يسبي العقول في منطقة . . . ويأخذ بمجامع القلوب في حديثه . . . ولذلك فلا غرو إذا قلت لكم لقد سحرنا على الرغم من عدم إيماننا بالسحر . . . .

ولكم كانت فرحتي عظيمة عندما التقينا سوية في حزب واحد هو حزب البعث العربي الاشتراكي . . وعلى الرغم من فارق السن النسبي بيننا وهو الفارق البسيط الذي يكون بين الاستاذ وتلميذه . . فقد أحببنا بعضنا ، منذ النظرة الأولى «بعد الاستئذان من عشاق آخر الزمان» .

في بداية الخمسينات أوفد الاستاذ سامي الدروبي إلى فرانسا لاتمام دراسة في الفلسفة ونيل درجة الدكتوراه . . وانخرطت في سلك الجندية ولذلك لم يعد يرى أحدنا الآخر إلا لماما . .

وجاءت وحدة ١٩٥٨ بين القطرين (السوري والمصري) لتجمع بيننا في أوائل الستينات حيث ندب الدكتور سامي الدروبي للتدريس في جامعة القاهرة وندبت للخدمة بالقوات المسلحة في الاقليم الجنوبي . . . وكانت مفاجأة سعيدة أن يلتقي المحبون على ضفاف النيل بعد هجران طويل . . كان مقهى جروبي سليمان باشا الواحة التي تجمع شملنا أيام الجمع وكان رجال الفكر والأدب يلتقون هناك ، وإذ كنت أحضر بينهم مرتدياً اللباس المدني ولم تكن الموضوعات العسكرية تطرح للمناقشة في ندوتنا ، . . لذلك لم يخطر في بال أحد منهم أنني غريب عنهم ، سيما أن الدكتور شاكر الفحام كان من الحريصين على حضور هذه الندوة ، وقد أسهم دونما شك في قبولي كعضو طبيعي فيها .

ومن أطرف المصادفات أن الدكتور سامي الدروبي حمل في صبيحة أحد الأيام على عناصر السلك الخارجي وبدأ ينتقد تصرفاتهم . . ويفند شكاواهم المستمرة من نقص «تعويضات السفر . . » وأنهم غير محقين بذلك . . دون أن

يعلم - وهذه حقيقة - أن اسمه قد أدرج في كشف المنقولين إلى وزارة الخارجية . . كمستشار ثقافي في سفارة الجمهورية العربية المتحدة في البرازيل . . وحدثت مأساة الانفصال بين القطرين السوري والمصري في أيلول ١٩٦١ وكان موقفه مشرفاً ورفض التعاون مع المسؤولين في وزارة الخارجية آنذاك . . وعاد إلى التدريس في جامعة دمشق . . وبعد قيام ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣ أصبح الدكتور سامي الدروبي وزيراً للتربية والتعليم ثم سفيراً للجمهورية العربية السورية في المغرب ويوغوسلافيا وفي عام ١٩٦٧ عين سفيراً في مصر وهنا تعرّض فقيدنا الغالي لأصعب موقف في حياته وقد عبر عن ذلك في خطاب الاعتماد الذي القاه أمام سيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وسأنقل لكم الكلمة بنصها الحرفي ، لأنها أفضل ما كتب الدروبي في حياته . .

سيادة الرئيس :

«إذا كان يسعدني ويشرفني أن أقف أمامكم ، مستشرفاً معاني الرجولة والبطولة ، فإنه ليحز في نفسي أن تكون وقفتي هذه كوقفة أجنبي ، كأنني ما كنت في يوم مجيد من أيام الشموخ مواطناً في جمهورية أنت رئيسها ، إلى أن استطاع الاستعمار متحالفاً مع الرجعية أن يفصم عرى الوحدة الرائدة في صباح كالح من [أصباح] خريف حزين يقال له ٢٨ أيلول ، صباح هو في تاريخ أمتنا لطخة عار ستمحى ، ولكن عزائي عن هذه الوقفة التي تطعن قلبي يا سيادة الرئيس ، والتي كان يمكن أن تشعرني بالخزي حتى الموت ، أنك وأنت تطل على تاريخ فترى سيرته رؤ ية نبي وتصنعه صنع الأبطال قد ارتضيت لي هذه الوقفة ، خطوة نحو لقاء مثمر [بين قوى تقدمية ثورية] يضع أمتنا في طريقها إلى وحدة تمتد جذورها عميقة في الأرض فلا انتكاس ، وتشمخ راسخة كالطود فلا تزعزعها رياح .

ذلك عزائي يا سيادة الرئيس وذلك شفيعي عندك ، وشفيعي عند جماهير أمتنا العربية التي لا تعترف بالانفصال إلا جريمة ، وشفيع من ندبوني لهذه الوقفة ثواراً شجعاناً يقفون في معركة النضال العربي الواحد على خط

النار ، ويؤمنون بلقاء القوى الثورية العربية لا بديلاً للوحدة ، بل خطوة نحوها» .

.. وفي هذه المناسبة التي نجتمع فيها لتكريم فقيد الأمة العربية الدكتور سامي الدروبي أجد نفسي في موقف مهيب .. عندما أرى في الصف الأول هدى وعبد الحكيم جمال عبد الناصر يشاركون معنا في تكريم الفقيد العزيز وانني لا أرى في عملهما هذا سوى تجسيداً لمبدأ «الوفاء» الذي يعتبر من أكرم المناقب العربية في الوقت الذي أصبح فيه الغدر والطعن في الظهر سمة من سمات هذا العصر ..

وانني باسمكم جميعاً أقول لهما : أهلاً بكم في دمشق التي أحبت جمالاً والتي أحبها جمال وقال : «إنها قلعة النضال العربي» .

أيها الأخوات والأخوة :

ساعود معكم إلى بداية كلمتي لأقوم بمراجعة صغيرة وتقديم كشف بالأعمال الصالحة التي نهض بها فقيد العروبة لنرى إذا ماكانت هذه الأعمال الجليلة تكفي لتخليد هذا الرجل إلى قيام الساعة ؟ .. اعتقد انه لا يوجد اثنان يختلفان في هذه البدهية .. فلو أخذنا أعمال فقيدنا الغالي «ترجمة المؤلفات الكاملة لدستويفسكي» إلى اللغة العربية ورمينا كل ما عمله غير ذلك في البحر لوجدنا أن هذا العمل الضخم قمين بتخليد صاحبه أبد الدهر ..

وإذا كان جيلنا المعاصر لم يعط حتى الآن هذا الجهد الكبير ما يستحق من اهتمام فإن الأجيال العربية القادمة ستذكر بالشكر والعرفان هذا العمل المجيد .

وختاماً ربما تقولون لماذا لم أعدد لكم مناقب الفقيد الكبيرة ؟ .. وهي كثيرة ... أرجو بكل تواضع أن تعذروني عن هذا الصنيع .. لأنني محب .. والمحب لا يجد في حبيبه إلا كل ما هو جميل ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الأستاذ فوزي الكيالي
وزير الثقافة والارشاد القومي

أيها السيدات والسادة

حين يرسم الموت خط النهاية في حياة انسان مثل فقيدنا ، وتعظم الأحزان ، خاصة كانت هذه الاحزان أم عامة ، لفقده ، يظل الوجود المستمر لهذا الانسان من خلال أعماله وصفاته وسيرته عصياً على الموت ، وقد يكون هذا هو معنى الخلود . كما تظل شعلة عطائه متوهجة تحملها الأيدي وتتداولها جيلاً بعد جيل لتواصل بها الطريق وتخصب بها كل عطاء جديد .

والحديث عن سامي الدروبي طويل وعريض . طويل لأنه يسمي ، بطريقة أو أخرى ، حياتنا خلال نصف قرن من الزمن . وهو عريض وفسيح لأنه يتناول هذه الحياة لا في جانب من جوانبها ، ولا في مظهر واحد من مظاهرها ، وإنما يتصل بهذه الحياة في جوانبها السياسية والفكرية والثقافية والحضارية ويؤثر فيها . لأن فقيدنا رجل سياسة وعقيدة ، ورجل ثقافة وفكر ، ورجل ثقافة ، ورجل علم وأدب ، عاش حياته كلها منكباً على العمل وعلى الانتاج وعلى الفعل حتى آخر نسمة من نسمات حياته .

ولست أزعم حتى ولو رضيت بأن أشق على نفسي ، وأن أجور على شركاء لي في الحديث في هذا الحفل ، انني قادر على أن أقول كل ما كنت أود أن أقوله في الحديث عن سامي ، وإلا لكلفت نفسي من أمرها عسراً .

ولهذا فإنني سأكتفي بأن أتحدث عن ناحيتين اثنتين فقط من حياة سامي الدروبي . الاولى هي دأبه وجده واستشهاده في العمل والانتاج ، في كثير من الصمت والصبر والتواضع ونكران الذات . والثانية هي تفاؤله وإيجابيته وقوة عزيمته وصلابة إرادته دونما أي ادعاء أو غرور .

أما عن الناحية الاولى ، فإنني أستطيع أن أقول إن سامي الدروبي كان من بين جميع الأدباء والمفكرين أكثرهم انتاجاً وأوفرهم حظاً في اغناء المكتبة العربية بما كانت في أشد الحاجة اليه من الآثار الأدبية والفكرية والسياسية في العالم . فإذا استعرضنا بعضاً مما ترك لنا من أعمال نرى بينها :

١ - أعمال الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون .
٢ - بعض الاعمال الفلسفية للفيلسوف الفرنسي غويو .
٣ - ترجمات للفيلسوف الايطالي كروتشه .
هذا في مجال الاعمال الفلسفية .
أما في الفكر السياسي ، فقد ترجم لنا كتاب «موريس دوفرجيه» (مدخل إلى علم السياسة) ، وكتاب «معذبو الأرض» لفرانز فانون .
وفي مجال الأدب ، ترجم لنا ثلاثية الكاتب الجزائري محمد ديب (الدار الكبير) الحريق ، النول . وكتاب «جسر على نهر الدرينا» لا يفواندريتش .
ومن الأدب الروسي ، ترجم لنا أعمال دوستويفسكي الكاملة التي تقع في ثمانية عشر مجلداً كما ترجم لنا ، وبالاتفاق مع وزارة الثقافة في سورية ، المجلدات الخمسة الأولى من أعمال تولستوي الكاملة ، وحين توقف عن الحياة ، كان لا يزال باقياً من المجلد الخامس ثلاثون صفحة تحتاج إلى الترجمة .
هذه بعض من آثار الفقيد الراحل وأعماله ، وليست هي جميعها ، فللفقيد عدد آخر من الكتب في مجال الأدب والتربية وعلم النفس ، منها مثلاً كتابه المؤلف «علم الطباع» وكتاب «علم النفس التجريبي» ، وكتاب «سيكولوجية المرأة» ، وهما مترجمان . هذا مع العلم أن أعمال وآثار فقيدنا الكبير لا تمتاز بوفرتها فقط ، وإنما تمتاز أولاً بدقتها وبما بذل الفقيد فيها من عناية خاصة لتخرج إلى الناس آية في الدقة والاتقان ، حتى أنه كان يرفض أن يقوم أي شخص في سورية بمراجعة بروفات كتبه عند طباعتها ، مما اضطرنا في وزارة الثقافة إلى أن نرسل هذه البروفات إلى السفارة السورية في مدريد ، ليقوم هو شخصياً بتصحيحها . وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على أمانة سامي الدروبي ونزاهته وحرصه الشديد على اتقان ما يعمل .
فإذا أضفنا إلى ذلك كله ، الاسلوب الرفيع الذي تميزت به كتابات سامي الدروبي وترجماته ، وما فيها من أناقة ورشاقة وعمق ، والتي نستطيع أن نجد نموذجاً عنها في الخطاب المؤثر البليغ الذي قدم به أوراق اعتماده كسفير لسورية في مصر إلى الرئيس العظيم جمال عبد الناصر أدركنا قيمة هذه الذخيرة

الادبية والفكرية التي خلفها لنا الفقيد العظيم ، وأدركنا في الوقت نفسه مدى الحرج الذي تشعر به وزارة الثقافة الآن لاكمال السلسلة التي بدأتها مع سامي الدروبي في ترجمة المؤلفات الكاملة لتولستوي ، إذ من يستطيع من العرب جميعاً أن يأخذ دوره في هذا العمل الأدبي الضخم ، دون أن يضع شيئاً من قيمة هذه المؤلفات كما أردنا وكما أراد لها سامي الدروبي أن تكون ؟ .

الناحية الثانية ، والتي عبرنا عنها بايجابيته وتفاؤله وعظيم ارادته وقوة شكيمته ، وهذه الناحية ، وكما خبرتها بنفسي ، أية الأيات في حياة سامي الدروبي . ويكفي أن نعلم أن سامي الدروبي أنجز مؤلفات دوستويفسكي الكاملة ويربو عدد صفحاتها على أحد عشر ألف صفحة ، وهو مريض في القلب ، مرضاً لا يمكنه من أن يستلقي على سريره أثناء النوم ، ولا بد له من أن يبقى جالساً وهو نائم . بل أكثر من ذلك ، فإنه أنجز خمسة مجلدات من المؤلفات الكاملة لتولستوي ، والتي يصل عدد صفحاتها إلى خمسة آلاف صفحة وهو في حالة بين الحياة والموت ، وكثيراً ما احتاج خلالها إلى أن يرقد لمدة ثلاثين ساعة وهويتنفس من أنبوبة الاوكسجين .

كان سامي خلال فترة طويلة مريضاً ، ولكنه عرف كيف يحمل مرضه بكبرياء وشجاعة وصبر ، حتى غدا أستاذاً في احتمال الألم ، وتحولت عنده معاناة الداء إلى قراع لعدو شرس رفض الاستسلام له طوال أعوام ، فلما وهن القلب والجسم ، سقط القلم من اليد التي لم تعد قادرة على الامساك به .

وكأني بالفقيد الكريم هو ذاك الذي عناه ستيفان زفايج في كلامه عن دوستويفسكي حين قال :

«يقوم بينه وبين مصيره صراع لا يتوقف ، نوع من المعاناة المفعمة بالمحبة . فالحياة تؤلمه لأنها تحبه ، وهو يحبها لأنها تمسه مساً بالغ القوة ، ولأن هذا الرجل ذا الحكمة المتناهية يتعرف في المعاناة على أقوى امكانيات الشعور ، وكلما ازداد سقوط جسمه عمقاً ، زاد ايمانه تحليقاً ، وكلما ازدادت معاناته باعتباره انساناً ، ازدادت سعادته في معرفة معنى معاناة الألم وضرورتها» .

وإن كنت أنسى ، فانني لن أنسى أبداً زيارته لوزارة الثقافة منذ ما يزيد

على الشهرين قليلاً ، وزيارتي له قبل وفاته بأيام . وبرغم أنه كان قد وصل به المرض إلى درجة أصبح معها غير قادر على السير ، إذ كنا نتعاون في مساعدته على أن يخطو بضع خطوات ، وبرغم ما كان قد أصابه من هزال وضعف ، فإنه كان يتحدث بقوة وعزيمة لا مثيل لهما عندما كان الحديث يتعلق ببعض ما كان يهمه من أمر . وكان الموضوع الذي يسيطر على تفكيره في هذين اللقاءين هو اخراج مؤسسة لكتاب الجيب تطبع روائع التراث العربي ، وروائع التراث الانساني ، وتوزعها على الناس في الوطن العربي كله بمعدل خمسمائة ألف نسخة لكل كتاب ، وبمعدل كتاب في كل يوم .

كان الطبيب قد منعه من الحركة يوم زرته في البيت ، وكان قد منعه من الكلام ، وكان قد منعه من الانفعال ، وكان قد جاء إلى بهو بيته ليستقبلني وصاحبي الذي كان هو الاستاذ أديب اللحمي ، منزعاً أنبوب الاوكسجين من أنفه . وكانت إلى جانبه السيدة الجليلة زوجته التي كانت ترافقه كظله . وما أن بدأ حديث مؤسسة كتاب الجيب ، حتى انقلب هذا الجسد المهدم ، إلى كتلة مشتعلة من الحماسة والقوة والعزيمة ، وأخذ يتدفق بكلماته العاتبة على الأمة العربية كيف تسمح بأن يكون هنالك كتاب للجيب في ثلاثين لغة على الأقل ، بينها اللغة التركية وغير التركية ، ثم لا يكون هنالك كتاب جيب باللغة العربية ، ينشر الثقافة بين كل الناس ، وينقل إلى العربية أثمن ما أنتجته قرائح البشر ، وكان فيما قاله شيء يشبه التعهد بأنه قادر على أن يقود هذه المؤسسة ، وأن يوصلها إلى حيث نريد ، وإلى حيث يريد هو . وبرغم الحاحي الشديد بأن لا يتحدث كثيراً ، وبأن لا ينفعل كثيراً في أثناء الحديث استجابة لنصائح الطبيب ، خشية على صحته ، فإنه استمر في حديثه لا يلوي على شيء . وأخيراً التفت إلي قائلاً : هذا حلم عمري . حلمت بكتاب الجيب العربي منذ أن كنت صغيراً . والآن إذا ما قدر لي أن أشهد ميلاد هذا المشروع العظيم فإنني سأكون غاية في السعادة .

وتأملته يومها ، وكل شيء في مظهره ، وفي كيانه يوحي بأن الخاتمة تقترب . تأملت ابتسامته يومها ، تلك الابتسامة التي لم تفارق ثغره قط مهما

اشتدت الكروب وعظمت الخطوب ، تأملت بريق عينيه وحركات يديه وشدة أمله وعظيم تعلقه بأمته ولغتها ، وشدة حرصه على أن يوفر لأبنائها كل مصادر المعرفة ، وكل ينابيع الحكمة والأدب والفن .

لقد كان يحب أمته حباً عظيماً ، وكان يعشق أمجادها الخالدة ، لكنه كان يحب لهذه الأمة أن تكون أمة موحدة ، إلى جانب كونها أمة واحدة . وكانت وحدويته أصيلة وعميقة ، وظل على موقفه هذا حتى آخر لحظة من حياته . وعجبت لهذا الانسان كم كان قوياً ، وكم كان جلداً ، وكم كان صبوراً . عجبت له كم كانت ثقته بقدرته عظيمة ، وكم كان حبه لأمته كبيراً ، وكم كان فرحه بلقاء أصدقائه عميقاً وقوياً وجارفاً وسألت نفسي ، وهو يمد لسانه ليبلل شفتيه الجافتين المبيضتين ، : ترى ، وسامي الدروبي الذي لن يعيش لأكثر من أيام كما كان يبدو من حالته الخطيرة ، هل كان يفكر عندما يقول انني كفيل بأن أدير هذه المؤسسة وأن أضمن لها النجاح ، هل كان يعني ذاته نفسها ؟ أم أنه كان يعني أي شخص آخر من الذين يحملون نفس شعلته ؟ . وشعرت يومها أن الحدود قد ضاعت بين سامي وبين أصحابه ، بين سامي وبين قضيته ، قضية أمته العربية حريتها واشتراكيتها ووحدتها . فإذا به هذه الأشياء جميعاً ، وإذا بها هو .

الاجلال والأكبار لذكراه

والعزاء لأمته وأسرته والوطن الذي أنجبه وربّاه

كلمة الأستاذ عبد الله أحمد حسين
سَفير دولة الكويت بدمشق
فارس .. يترجل

فارس آخر من فرسان القومية العربية يودّع هذه الدنيا والأمة العربية تعيش أسوأ ظروفها .. يغمد سيفه وينزع خوذته ويترجل في زمن قلت فيه الفرسان وكثر فيه أدعياء الفروسية !!

أذكره يوم وقف عام ثمانية وخمسين وتسعمائة وألف ، وكان ضمن وفد الجمهورية المتحدة يصد الوفد الشعوبي الذي أرسله قاسم إلى الكويت في مؤتمر الأدباء العرب الثامن ، ولم تبرح صورته خيالي وهو يتحدث في مدرسة المرقاب هادئاً قوياً واثقاً من رسالته .

وأذكره يوم وقف أمام الراحل العظيم جمال عبد الناصر يقدم أوراق اعتماده كسفير للجمهورية العربية السورية فكان كمن يعزي الرئيس الجليل في الجمهورية العربية المتحدة وكأنما كان يدرك بثاقب فكره وشفافيته القومية أن الجمهورية العربية المتحدة قد سبقت زمانها وأننا لم نزل لا نستحقها .. ويومئذٍ بكى وأبكى البطل المفترى عليه .

وأخيراً أذكرة في الشام وقد قابلته عرضاً في مناسبات قليلة وكان سفيراً للجمهورية العربية السورية في اسبانيا فكان ضعيف الجسم واهناً ، ولكني كنت أرى سامي الدروبي المفكر القومي الصادق كما كنت أراه قوياً نبيلاً ، وكان أبرز ما يظهر هذه القوة وهذا الصبر النبيل عيناه وكلماته وترفعه الذي يدل على الأنفة والشموخ القومي ولا يدل على شيء من الغرور .

ثم علمت بنبأ وفاته من الأذاعة مساء يوم الخميس فلم أفاجأ ، لأننا في الآونة الأخيرة تعودنا على رحيل أبطالنا القوميين ، كانوا يرحلون ويبقى أعداء العروبة ، كانوا يذهبون ويقيم أولئك النفر الذين عرفتهم السفارات الأجنبية والذين يتلقون الوحي منها .

رحل سامي الدروبي وبقي سعيد عقل ، وقضى صدقي اسماعيل وبقي شارل مالك .. وهكذا في السياسة وفي الفكر ، ولكن يعزي المرء أن

الفكر القومي ثابت ثبات الجبال ، وأن لهذه الحالة المتردية أجلا ، وأن لكل أجل كتاباً .

ان الدكتور سامي الدروبي من ذلك الرعيل القومي الصافي ، الذي لم يأخذ بأسباب الخصومة التي حدثت بين الفرق القومية ، ولم يدخل في الفتنة التي أضاعت الزخم القومي وجعلت الفكرة العربية مضغة في الأفواه . . . لم يتشنج رحمه الله ، ولم تتزلزل نفسه عندما حدث الانفصال فيأخذ جانب هذا الطرف أو ذاك ، ولم يتحول الى طفل مراهق كما تحول الكثيرون من الشيوخ القوميين . .

لقد كان رحمه الله عربياً وحدوياً منذ بدأ النضال القومي حتى قامت الجمهورية العربية المتحدة وإلى أن خلق الاستعمار وأنصاره مأساة الانفصال وإلى أن رحل الى جوار ربه راضيا مرضيا .

لقد رأيتهم يتجهون به الى الضريح ، وكان نعشه خفيفا على أيدي الرجال لم يكلفهم عناء ، ولم يقتضهم بدل جهد ، فقلت يا للرجال . . وأي جبل يحملون ؟! وكانت خيمة صغيرة قد ضربت على ضريح المفكر القومي وكان الرجال يسوون جسده فيه وكان حوله كبار رجال الدولة ، وكان حوله الناس البسطاء فكأنما استقطب الجميع حوله ، والرجال العظماء يتساوى أمامهم الصغير والكبير ، بل ان الصغير والكبير يحس كل منهما بأنه ند للآخر اذا وقف أمام عظيم . وحين رأيت الخيمة المضروبة ورأيت المسجى تحتها تذكرت خيمة هانىء بن مسعود عندما ضربت يوم ذي قار ويوم دافع الخليج العربي عن نفسه وحين قال هانىء بن مسعود والله لا أفر حتى تفر تلك القبة ، فأدركت أن تلك القبة المضروبة على رأس سامي الدروبي تدرك أنها ضربت على رأس بطل كما ضربت تلك على رأس ابن مسعود . . فكما أشارت قبة هانىء بن مسعود إلى الصمود حتى الاستشهاد نهضت خيمة الدروبي لتشهد الناس على صبر الدروبي وبلائه في أيام كثر فيها البلاء واشتدت في ساعاتها المحنة حتى رحل المناضل القومي وقلبه تمزقه الجراح . . جراح الجحود وعدم الوفاء . . وضياع القيم .

ان الدكتور سامي الدروبي مدرسة في حد ذاته . . طراز من الرجال

تراهم فتتصور أن أمثالهم كثيرون في هذا الوطن ولكن اذا خبرتهم أدركت أنهم لو ذهبوا فانهم لن يعوضوا . . من الرجال القلائل الذين لا يشيرون الى أنفسهم في حديث أو حركة ولكن الأصابع تشير اليهم كلما حزب الأمة أمر له علاقة بالفكر أو كلما دست السموم أقلام ذات ضغن ، وما أكثرها هذه الأيام ، ولو كانت أقلام صغار أرادوا بالمخالفة والمعارضة أن يظهروا لهان الأمر ولكنهم كهول طمعوا في الرفد وما أشد دناءة الكهل اذا طمع ، واسوأ من ذلك بكثير أن يكونوا من أرباب القلم وأصحاب الريادة في الكتابة .

ميزة اخرى يتحلى بها الراحل الكريم ، وهي أنه لا يهزه ما يهز غيره . . يسمع البذاءة ، ويقرأ الكفر ، ولكنه يظل هادئاً حيث هو ، ثم يشير بكلمة بعد طول صمت وانتظار ، فاذا بالأفكار المسمومة تتساقط من حوله وإذا به يرفع الراية القومية عالية وكأنه لم يدخل معركة ولم يمتشق قلماً .

أدرك أنه صاحب الحق وعرف أنه يعبر عن ضمير الأمة لذلك لم يجنح الى ماكان يجنح اليه أولئك الذين أدركتهم خفة أصحاب الحاجات في كتاباتهم ، لم يستجد الناس التأييد ، ولم يحاول بتشنجات أصبحت تطغى هذه الأيام على وجوه ذلك النفر الخارجي أن يفرض عليك رأياً ، وانما يتحدث اليك في أهم القضايا القومية ، ويعلن وجهة نظره ويده تداعب حبات سبحته كأنما يحدثك حديثاً عارضاً ولكنك عندما تفكر فيما قال تدرك أنه قال قولاً ذا قيمة كبرى .

هذا الرجل الذي ودعناه يوم أمس بهذا الجمع الحاشد من الناس لم يكن صاحب سلطان ولم يخرج له المشيعون رغبة أو رهبة من سلطانه ، ولم يكن صاحب مال فأتى الناس يتقربون لورثته بالكلمة الطيبة والتعزية الرقيقة ، ولم يكن ذا سطوة يخشاها الناس فجاءوا اتقاء لما تجره سطوته عليهم من وبال ، وانما كان رجلا سمحاً كريماً رقيق الجسم أضناه المرض وتكاثرت على قلبه الكبير النضال حتى أسمه .

لقد شيعه الناس بهذا الحب والتقدير كباراً وصغاراً لأنه الدكتور سامي الدروبي صاحب القلب الكبير والقلم الرائد والفكر القومي الأصيل ، ولأنه ترفع عما كان القوم يتزاحمون عليه من عز زائف ومجد زائل .

جعل مجده في نضاله ، وعزه في سن قلمه ، واحتوى الناس في قلبه الكبير ، وجمع يديه على تراث أمته وسقط شهيداً في وقت كان فيه أدعياء الفكر والقلم هنا وهناك يستجدون نظرة رضى من سلطان ، ولقمة مغموسة بالذل يقذفها السادة في أفواههم . . فما أعزه ، وأذلهم . . ولله في خلقه شئون .

كلمة الاستاذ عثمان سعدي
سفير الجمهورية الجزائرية بدمشق

سيداتي ، سادتي . .

لقد ساهم سامي الدروبي في الثورة الجزائرية التي كان يؤمن بأنها ثورة الأمة العربية جمعاء ، ساهم بمواقفه كمناضل ، وساهم بالكلمة ككاتب داعماً ثورة اخوانه بالجزائر . وقد راج في الخمسينات أدب لكتاب جزائريين فرضت عليهم ظروف الاستعمار أن يستعملوا اللغة الفرنسية كأداة للتعبير .

وبادر سامي الدروبي الى نقل بعض هذا الأدب الى قراء العربية فترجم معذبوا الارض لفانون و (الدار الكبيرة ، والحريق والنول) . وصدرت الترجمة بمقدمة تعتبر من أعمق وأصدق ما كتب في هذا الموضوع .

ولقد دار نقاش كبير في الخمسينات والستينات حول هوية هذا النوع من الأدب الذي نسب الى الجزائر . فالبعض ذهب إلى أنه أدب جزائري اضطر في ظرف زمني معين إلى أن يستعمل لغةأجنبيةعنه. والبعض الأخر أنكر عليه نسبته الى الجزائر والى المكتبة العربية. ، معتمداً على حقيقة أن الأدب يسند الى اللغة التي كتب بها . وشارك سامي الدروبي في هذا النقاش ، فاعترف بالواقع المرير الذي كانت تعيشه الجزائر ، وهو اضطرار أبنائها الى استعمال لغة أجنبية في التعبير . يقول سامي الدروبي :

«ان هؤلاء الكتاب العرب قد عرفت فرنسا ، بأساليب التجهيل التي اتبعتها في الجزائر ، أن تنتزع منهم أداة التعبير باللغة الأم ، وأن تضع بين أيديهم أداة أخرى هي اللغة الفرنسية ، لا حيلة لهم في الاعراض عنها إذا أرادوا أن تدور ألسنتهم بكلام ، وأن تجري أقلامهم بكتابة» .

وأحس سامي الدروبي ـ وهو مترجم مرهف الحس ـ بأن الكتاب الجزائريين يشعرون بتمزق نفسي وهم يعبرون بلغة أجنبية عن عواطف وأحاسيس عربية ، ويحسون بأنهم عاجزون عن التعبير عن كل ما يجيش في نفوسهم . يقول سامي الدروبي :

«ان هؤلاء الكتاب الذين استعاروا اللسان الفرنسي للافصاح عن خلجات القلب العربي ، وأفكار الذهن العربي ، وصبوات الارادة العربية ، يشعرون شعوراً قوياً بأنهم من ذلك في مأساة . . في مأساة ذات وجوه عدة ليس أخطرها شأنا أن أحدهم يتمنى أن ينطق باللغة التي تتفق وسمرته ، وأن يكون عربي اللسان ، كما هو عربي الوجه واليد القلب» .

وسامي الدروبي كعادته يرفض أن يؤدي دور المحايد في القضايا القومية ، بل يصرّ دائماً على أن يدلي برأيه من منطلقه القومي المؤمن بأمته ولغته وقوميته ، فيقرّ أن الكاتب الجزائري عجز عن التعبير بالفرنسية عن كل ما يريد قوله ، فيقول :

«ان أخطرها شأنا احساسهم بأن هناك ارتباطاً بين مشاعرهم وأفكارهم وأحلامهم العربية ، وبين اللغة العربية التي كانت تستطيع وحدها أن تعكس هذه المشاعر والأفكار والأحلام عكساً صادقاً يتوافر فيه كل ماينبغي توافره في التعبير الأدبي من انسجام خفي بين المعنى واللفظ ، بين تموجات العاطفة وموسيقى العبارة ، بين لطائف الفكر وتثنيات الاسلوب ، بين ايقاع النفس ونبرات اللسان ، وذاك ماعجزوا عنه أو أعجزوا» .

ويرسم لنا سامي الدروبي صورة رائعة عما يشعر به الكتاب الجزائريون وهم يكتبون بلغة غير اللغة الأم ، فيقول :

«كان بهم ذلك الحنين الاسيان الذي يذكرنا بما تشعر به نفس فارقت جسمها · فهي تهوّم في عذاب اللا نهاية تبحث عنه ، نائحة نادبة ، ولا نجدة . . . أو بما يمكن أن يشعر به طفل فصل عن أمه ، فهو مابنفك سائلا عنها وجوه أمهات اخريات ، تريد احداهن ان تحتضنه ولكنه لايرى فيها أمه ، فهو يعرض عنها ، أو يستسلم لها على مضض وفي حسرة» .

ويستشهد سامي الدروبي بأبيات للكاتب الجزائري مالك حداد حيث يقول :

«أنا أرطن ولا أتكلم . . ان في لغتي لكنة . . انني معقود اللسان . . .» .

ثم يورد سامي الدروبي حواراً دار بين مالك حداد والكاتب الفرنسي

أراغون حيث يقول له :

«نعم يا آراغون ، هذه هي مأساة اللغة . . لو كنت أعرف الغناء لقلت شعراً عربياً . . نعم يا آراغون ، هذه هي مأساة اللغة . . لقد شاء الاستعمار أن يكوّن في لساني آفة ، أن أكون معقود اللسان . . لاتلمني ياشاعر ، ياصديقي ، اذا لم يطربك صداجي» . .

ولا أجد أفضل وأروع من أن أختم تقييم سامي الدروبي للأدب الجزائري المعبر عنه باللغة الفرنسية ، بهذا النص الذي يمثل أيضاً سامي الدروبي ، المترجم الذي يعيش النص الذي يترجمه ، فيتمثل مضمونه ويصوغه من جديد وكأن النص صيغ بلغة الترجمة دون أن يفقده روحه ورواءه . يقول سامي الدروبي :

«والفاجعة بعد ، عند من يترجم الى العربية آثار كتاب الجزائر المكتوبة بالفرنسية ، أنه يحس بأنه لايرد الى الأثر شيئاً مما كان يمكن أن يكون له من رواء لو كتب بالعربية ، وانما هو يفقده مزيداً من ذلك الرواء ، فالاثر قد ضاع منه شيئاً مرتين : مرة حين كتب بالفرنسية ، ومرة حين ترجم عن الفرنسية» .

ان سامي الدروبي لم يصدر رأياً قاطعاً في انتماء ما كتبه الادباء الجزائريون بالفرنسية ، لكن يستنتج كل من قرأ ما كتبه في هذا الموضوع ، أن سامي الدروبي غير مقتنع بانتماء هذا النوع من الادب الى المكتبة العربية . . ثم استقلت الجزائر وحمي الجدل حول هذه القضية بين أبنائها ، وانجلت معالم تيارين ـ التيار الأول فسّر دعاته الاستقلال تفسيراً سطحياً ، وطالبوا باستمرار سيادة اللغة الفرنسية بالجزائر بعد الاستقلال وقرروا بالتالي وجود أدب جزائري معبر عنه بالفرنسية . ـ والتيار الثاني اتخذ موقفاً قومياً ، فطالب بتغيير هذا الوضع الشاذ الموروث ، بالتعريب . . تعريب كل شيء في الجزائر المستقلة اذا أريد للاستقلال أن يكون حقيقياً . ومن هذا المنطلق أبى وجود أدب جزائري معبر عنه بالفرنسية . يقول مالك حداد : «لا يوجد أدب جزائري معبر عنه بالفرنسية ، وانما وجد أدب فرنسي ذو اهتمامات جزائرية» . وهكذا توصل مالك حداد الى ما أشار اليه سامي الدروبي قبل عشر سنوات .

بسبب شفافية حس الدروبي ، وصلابة ايمانه بقوميته ، واستقرائه لتاريخ قومه الذي بلغ أحياناً حدّ التنبؤ . . هذا هو سامي الدروبي القومي ، وهذا هو سامي الدروبي الفنان ، وهذا هو سامي الدروبي المؤ رخ . .

سيداتي . . سادتي :

انه ليوم صعب وقاس أن يقف فيه تلامذة سامي الدروبي وأصدقاؤ ه وأحباؤ ه ليؤ بنوه ، وليستعرضوا مآثره ، وأياديه البيضاء على كل ما هو مضيء ومشرق وجميل في تاريخ أمتنا المعاصرة . .

سامي الدروبي هو الأديب العربي الذي كرس كل لحظة من حياته القصيرة في مداها ، الغنية في مضمونها وانتاجها ، لخدمة لغته العربية التي عشقها وهام في عشقها ، فعاش عمره يعزف ألحانها فيطرب ، ويترنم بألفاظها فيسحر ويأسر .

سامي الدروبي هو الذي أعطى بعداً جديداً للدبلوماسية العربية . . لقد عملت معه كدبلوماسي ، ولمست فيه عن قرب كيف كان يمثل عن جدارة ضمير أمته ، وتراث أمته ، وعبقرية أمته ، ولم نكن نحن الدبلوماسيين العرب الذين صاحبناه وماسيناه نتعامل معه على أنه سفير لقطر عربي ، وانما كنا نعتبره سفيراً للعروبة كلها أينما حلّ وفي أية عاصمة وجد . .

سامي الدروبي هو الانسان العربي الذي عاش احداث امته بكل خلية من خلايا جسمه ، وبكل خفقة من خفقات كيانه ، وبكل نبضة من نبضات قلبه ، وبكل خلجة من خلجات نفسه . . سامي الدروبي هو الذي آمن بأمته فصدق في ايمانه ، وأحب وطنه العربي الكبير فكان الوفي الكبير لهذا الحب الكبير . . رحم الله سامي الدروبي وجعله مثلا تحتذي به الاجيال العربية الحاضرة والمستقبلة . أما عن الأخت احسان الدروبي ، فان انتماء سامي الدروبي الى العائلة العربية الكبيرة كان دائماً أوضح من انتمائه لعائلته الصغيرة ، ولهذا فنحن نشاركها مصابها بالقدر الذي تشاركنا فيه هي مصابنا في فقد سامي الدروبي العربي .

كلمة الاستاذ محمود أمين العالم
جمهورية مصر العربية

ما أقسى الجرح على الجرح . .

جرح الغربة ، وجرح محنةٍ باغية تتربصُ من جديد بأمتنا العربية . . ويأتي جُرحُ فقدانك أيها الصديق . . الرفيق . .

كان سامي آسياً للجراح ، فلما كان جرحه ، تعمّقت وغارت كل الجراح ، لأنها جميعاً موصولة به . . لستُ أتحدث عن سامي ، الصديق النادر ، تكون معه . . فتكون مع حقيقتك ، بلا قناع من ادعاء ، أو مسافة من تحفظ . .

إنما أتحدث عن سامي ، فأتحدث عن خلاصة للانسان العربي الباهر الذي كان سامي تجسيداً حياً لأشرف فضائله ، وأنبل أشواقه .

أتحدث عن سامي فأتحدث عن الانسان العربي الباهر ، تنبض حياة أمته وتتجدد ، بكلمته المضيئة ، وفعله الخلاق ، وإصرارة الواعي ، ومعاناته الصابرة ، وتقحمه الجسور ، واستشهاده الرضى . . أتحدث عن سامي ، فأتحدث عن الانسان العربي الباهر ، يواجه صمت الاستبداد والقمع ، وصمت السجون والمعتقلات ، ثم صمت القبور أخيراً . .

ولقد اجتاز سامي أبواب الصمت الثلاثة . . شامخاً مترفعاً . . واجه الاستبداد والقمع ، وواجه السجون والمعتقلات ، واليوم ترتفع حقيقته المضيئة بيننا من خلف قبره . .

أتحدث عن سامي ، فأتمثل فيه الانسان العربي الباهر ، بكل معاناته ، ونضالاته ، وتضحياته . عندما عملت أول مرة ، أنه مريض بالقلب ، قلتُ له : أنت يا سامي عاشق لأمتك العربية ، يعاني قلبك ما تعانيه . .

حزني عليك يا سامي موصول بحزني على ما عاناه ويعانيه الانسان العربي .

لا . . ليس حزن كآبة ، بل حزن غضب ، إن صح أن يكون الحزن غضباً .

تمنيت أن يمتد به العمر ، حتى يشهد هزيمة الهزيمة التي ما تزال تتربص بأرضنا العربية ، في أرضنا العربية ، وتسعى للامتداد المتلوِّن بصور شتى .

تمنيت أن يمتد به العمر ، حتى يشهد النيل الذي أحبه ، تعود مياهه من جديد ، تصيب الخصوبة في حياة شعبه ، وحياة أمتنا العربية جمعاء ، لا في طواحين مُستغليّه وأعدائه .

تمنيت أن يمتد به العمر ، حتى يشهد تراث عبد الناصر يتجدد ويتألق ، بعد أن كان يتبدد ويختنق . تمنيت أن يمتد به العمر حتى يشهد رايات السلام والديمقراطية والتقدم ترفرف فوق عروبة لبنان الموحد . .

تمنيت أن يمتد به العمر ، حتى يشهد أعلام فلسطين الثورة تختال مظفَّرة فوق أرض فلسطين . . تمنيت أن يمتد به العمر ، حتى يشهد مطالع الوحدة العربية ، التي غناها وأغناها ، تترسّخ بالحرية والاشتراكية ، في وطننا العربي الكبير . .

تمنيت أن يطول به العمر . .

فقد كان محباً عظيماً للحياة ، مدافعاً عظيماً عن الحياة . . محباً مدافعاً عن مطلق الحياة ، وإن يكن آثر أن يجعل من حبه لمطلق الحياة ، حباً خالصاً ملتزماً بأمته العربية . .

عندما التقينا أول مرة ، حسبتُ أن الفكر الفلسفي المجرَّد صناعته ، وما أسرع ما تبيّنتُه . . . أبداً شاكي السلاح في معارك الواقع الحي . .

والتقينا رفاق سلاح . .

لعل اجتهاداتنا في خدمة أمتنا العربية كانت تختلف . . ولكن اختلاف الاجتهادات ما كان يصنع بيننا أبداً اختلافاً في الهدف البعيد ، أو يمنع المعالجة المشتركة للهدف القريب . . . بل ما أكثر ما كان يعمق الرؤية لكلَيْنا . وكان لقاؤنا على اختلاف الاجتهادات ، معنى كبيراً عميقاً لامكان ، بل

لضرورة أن تلتقي كل الاجتهادات الثورية العربية في حضن جماهيرها لتشارك معاً في صناعة تاريخها . .

كان يتهمني دائماً بالتفاؤل الدائم ، وهو لا يدري أن إشراقة الحياة فيه ، رغم ما يعاني ، كانت ينبوعاً غنياً من ينابيع تفاؤلي ، وما تزال . .

لسنوات وسنوات . . كادت إرادته الحية وحدها ، أن تكون مصدر دفقةِ الدم الحار في قلبه ، ولمعةِ الحياة في عيونه ، ومنطلقِ الابداع في كتاباته وخطواته . .

كان يرتفع ويترفع على مرضه ، بالعمل المثمر والعطاء المتصل . . في غمرة مرضه ، يفقد شرياناً عزيزاً لا من شرايين قلبه وحسب بل من شرايين حياته كلها ، يفقد «سلمى» ، ابنته العزيزة ، أكمل ما تكون نضارة شبابٍ واعد . . . ويتحول حزنه العميق العميق ، إلى مزيد من الاضافة الخلاّقة إلى ثقافتنا الحية . . .

قيل لي . . . قبل أن يموت سامي بساعة ، قام من سرير مرضه ، ليصحح جملةً في بعض ما كان يكتبه لنا . . .

قيل لي . . قبل أن يموت سامي بدقائق ، بثوانٍ ، كان يعلّم الحكمة لأبنائه ، وينشر البهجة في بيته . .

قيل لي . . عندما مات كان وجهه يشرق بالضياء العذب . .

وأقول . . هذا هو معنى سامي بيننا ، حياً وميتاً . . . محبةٌ للحياة تغني الحياة نفسها وتتجددها .

وأقول . . إنه باق بيننا بكل ما عانى وجاهد ، بكل ما أبدع وأضاف .

ما أكثر ما ألف وترجم من كتب ، ولكنه ما كان أبداً مجرد مؤلف أو مترجم ، بل كان مخصّباً لثقافتنا القومية بخبرات بشرية عميقة فيما يقدمه ويختار لنا من كتابات وترجمات .

ما كان يترجم لغةً إلى لغة ، بل كان يترجم أغنى دروس الابداع البشري ليغذي بها حياتنا العربية المجاهدة .

وكان . . ينسج من اللغة العربية ، أهازيج إبداع ، تعبيراً عن أدق

الخلجات وأعمق التصورات في رونق معجز .

على أن ممارسته للحياة نفسها ، كانت أرقى ترجمة لمعنى الانسان الباهر فيه ، شرف الفكر وشموخ الذات ، وجسارة الفعل وصفاء الضمير .

كان الشعر ، وكان الفروسية ، هذا الامتزاج والامتداد الأصيل الرائع لتراثنا العربي العظيم . . كان الحكمة وكان الأنس ، ما رأيت مثله حالماً أكثر واقعية من كل الواقعيين ، وما رأيت مثله واقعياً أعمق حلماً من كل الحالمين . .

كان الفكر الذي يغنى ، وكان الغناء الذي يفكر .

كان الانسان العربي ، أصالة تراث ، وتجدد رؤ ية ، وتفتح أفق ، وسخاء عطاء . .

أنا لا أقف لأرثي سامي أو أبكيه ، فهيهات أن أو فيه حقه . .

أنا أتنسم بتواضع وتقدير ومحبة ، عطر حياته الباقي بيننا . . . وأتساءل . . كيف نجسد مشاعرنا نحوه ، وامتناننا له ، حقائق حية . . .

هل اقترح أن يجمع تراثه الفلسفي والأدبي والسياسي في أعمال كاملة ، وهو صاحب الأعمال الكاملة . .

هل اقترح أن يقام معهد قومي للترجمة ، موصول باسمه ، يكون مدرسةً لعلومها وفنونها ، وتخطيطاً واعياً دؤ وباً متصلاً يخرجها من الاجتهادات الفردية ، بل أكاد أقول من التضارب وسوء الاختيار ولا أقول سوء القصد ، إلى العمل الحضاري الشامل المنتظم الذي يغذي احتياجاتنا الثورية .

أتمنى أن يتحقق هذا ، لا من أجل سامي وحده ، بل من أجل تنوير ثقافتنا العربية وتثويرها . .

على أني أعرف ، أعرف ، أن سامي الدروبي لن يرضيه جمع تراثه ، بقدر ما يرضيه جمع الكلمة الثورية العربية ، وتوحيد نضالها ، ومواصلته بحسم وحزم واقتدار .

أعرف ، أعرف ، أن سامي الدروبي لن يرضيه معهد للترجمة ، بقدر

ما يرضيه أن نُحسن قراءة دروس الحكمة في كتاب النضـال العربـي ، وأن نجودَّ ترجمتها في ممارستنا الحية . .

هكذا يكون المسلك الحق ، الذي نعبّر به جادّين عن تقديرنا وامتناننا لسامي الدروبي ولكل سامي دروبـي آخـر من شهـداء الكلمـة والنضـال في أمتنـا العربية . .

● أن تتلاقى كل الاجتهادات الوطنية والتقدمية والثورية تلاقياً جاداً في ساحات النضال العربي من أجل التحرر والتقدم والوحدة .

● أن تتعانق معركة التحرير الوطني بمعركة التجذير الإجتماعي ، فلا حياة ولا انتصار لاحداهما بغير الأخرى .

● أن نحسن التمييز بين أصدقائنا وأعدائنا لا باللسان وحـده وإنمـا بالممارسة النضالية .

● أن ترتفع إرادة الجماهير الشعبية بالمشاركة الديمقراطية الفعالة الحقة في صياغة حياتها وتجديدها .

● أن تنحسـم المواقف ، وتنتهـي لعبـة التوازنـات والتنـازلات غـير المبدئية .

. . . هذه هي الباقة التي نقدمها لقبر سامي الدروبـي ولـكل سامـي دروبي من شهدائنا . . باقة إصرار واعٍ على مواصلة النضال تحقيقاً لما عاشوا من أجله ، وعانوا من أجله ، وماتوا من أجله . .

ولتطب نفساً ، ولتقر عينا يا سامي ويا كل الشهداء ، مسدودٌ مسدودٌ طريق هؤلاء الذين يبذرون الفتنة والعزلة والانقسام ، ويكرسون التخلف والتبعية والاستسلام في أرضنا العربية .

ومسدودٌ مسدودٌ ياسامي وياكل الشهداء ؛ طريقُ هؤلاء الذين اختاروا أن ينتكسوا بنضال أمتنا العربية ، بخطواتهم المتبعثرة الخائرة البائرة .

مسدود مسدود طريق هؤلاء الذين اختاروا أن ينفتحوا على أعداء أمتنا العربية ، وخصوم تحررها وتقدمها ووحدتها ، وأن ينغلوا على أشرف أبنائها وأصدق أصدقائها وأنبل أشواقها . .

مسدود مسدود طريقهم بكل ما تبذله سواقيهم المجدبة المتسولة من جهود ومحاولات .

أجل يا سامي وياكل الشهداء . . بقدر حزننا عليكم ، وخسارتنا فيكم ، وامتناننا لكم ، سيتضاعف تفاؤلنا ، ستتضاعف مسئوليتنا ، سيتضاعف نضالنا . .

هذا وعدنا . . وعهدنا . .

وبعد . .

عزاءً لأسرتك الصغيرة العزيزة ، الوالدة ، احسان ، ليلى ، مصباح وبقية الأسرة الكريمة . عزاء لأسرتك الكبيرة ، أسرة النضال السياسي وأسرة النضال الثقافي وأسرة جماهيرنا العربية التي قدرتك وأحبتك .

وسلاماً عليك ياسامي ، صديقاً ورفيقاً ونموذجاً عربياً وانسانياً باهراً . .

وتحية لسوريا العظيمة التي أنجبتك . .

كلمة الدكتور حمدي السّيد
من جمهورية مصر العربيّة

سيداتي وسادتي

ـ ما كنت أتمنى أن أقف هذا الموقف الصعب لأرثي سامي الدروبي .

ـ إن فجيعتي فيه يعجز اللسان عن التعبير عنها ، فلقد صاحبته في آخر عشر سنوات من حياته كنت فيها قريباً إلى قلبه ونفسه وقضيت معه ساعاتٍ وأياماً ، وسافرت معه إلى آخر بلاد الدنيا ، ورافقته في مشوار مرضه الطويل . . .

ـ كنت أشعر بالفخر لأنه من بين الناس جميعاً اختصني بثقته ، ومن بين الأطباء جميعاً أولاني شرف رعايته . . .

ـ لقد أعطاني الكثير من عقله وفكره واكتشفت فيه الانسان ، واكتشفت فيه الفنان والشاعر والعاشق ، العاشق لكل ألوان الجمال ، والمحب لكل القيم العظيمة والنبيلة في الحياة . . .

وعرفت فيه أيضاً الانسان المؤمن والمناضل ، المؤمن بعروبته والمناضل في سبيل وحدة أمته ، والمعتز بقوميته ولغته وتراثه .

ـ كان يحلم بمستقبل باهر لهذه الأمة العظيمة ، وكان يؤمن بأن كل ما أصابنا من محن وكوارث ما هي إلا سحابات صيف لا تلبث أن تنقشع ، وكان في أحلك الظروف والأوقات لا يطيش صوابه بل دائم التفاؤل ، وكنا عندما يدركنا اليأس يعيد إلى نفوسنا الهدوء والتوازن . . .

ـ لكن أعظم ما عرفت في سامي الدروبي هو الانسان الصامد الصابر في معركة المرض ، كان مرضه ملحمة عظيمة من الصبر والحرمان والصمود .

صبر على المرض وآلامه ، وحرم نفسه من كل أطاييب الحياة وصمد وناضل من أجل أن يعمل وينتج ويؤلف ويترجم حتى وهو على فراش الموت .

- كان يشكو من علةٍ في قلبه ، وتفاقمت العلةُ على مر السنوات وكان علاجه يتطلب حرماناً شديداً ، وكان طعامه بسيطاً لاطعم له ، وحُرم من التدخين الذي كان شغوفاً به ، وكان له تعليقٌ ساخرٌ على ذلك بأن كلّ ما هو لذيذٌ في الحياة ضارٌ بالصحة .

- لم يكن يتمسك بالحياة حباً في الحياة ، لأنه كان محروماً من كل ما يحبه فيها ، ولكنه كان يتمنى أن يطول به العمر حتى يحقق حلمه في أن يترك للمكتبة العربية تراثاً ثقافياً وأدبياً ضخماً ، وكان يتمنى أيضاً أن يطول به العمر حتى يرى كل شبر في الأرض العربية وقد تحرر وأن يتحقق حلمه في الوحدة العربية الشاملة . . .

- في عام ١٩٦٩ تبين من الفحوص أن علة قلبه قد تقدمت بحيث أن احتمال بقائه على قيد الحياة لأكثر من عامين احتمالٌ قليل ، ولكن تمسكه بالحياة ونضاله الفذ ضد المرض مكنه من أن يعيش سبع سنوات منتجة بعد هذا التاريخ ، تحمل خلالها ثلاث نوبات قلبية كبرى كل منها كانت تكفي لانهاء الحياة ، وحقق في هذه السنوات السبع نتاجاً أدبياً وفكرياً كبيراً .

- كان إلى جواره سيدةٌ عظيمة هي زوجته ، كانت رفيقة كفاحه ، شجعته وشدت من أزره ، وسهرت الليالي الطويلة في رعايته ، وتحملت من الصدمات مايفوق طاقة البشر ، وكم من ليالي استيقظت فيها على نوبات آلام مبّرحة بالصدر نتيجة لعجز الشرايين الاكليلية عن تروية عضلات قلبه ، وقبل أن يمد يده لأخذ قرص الدواء المسكن يجدها أسرع منه إليه ، وكان دائماً يتساءل هل هناك «سلك» غير منظور يربط ما بين قلبه وقلبها بحيث تشعر بآلامه فور حدوثها ؟ ولكن هذا السلك الغير منظور لاشك أنه سلك الحب والوفاء والمودة والتراحم . . .

كان يبادلها حباً بحب ، ووفاء بوفاء ، كان يحاول أن يتظاهر بالصحة أمامها وكان يخفف ويهون عليها شدة ما يعاني من آلام ، وكان يصارحني

دائماً بأنه يخشى عليها وعلى صحتها من شدة قلقها عليه .

ـ في حياتي المهنية الطويلة لم أجد مثل ما وجدت في زوجة سامي الدروبي من تفانٍ لم يفتر ، وحنان لم ينضب ورعايةٍ لم تهتز على مدى سنوات مرضه الطويلة . . .

أذكر أنه في أيامه الأخيرة حضر للقاهرة لينهي بعض أعمال خاصة بكتبه وترجماته ، وكان يبدو عليه الضعف الشديد ، وكنت أشعر أن النهاية قد قربت لأن النوبات القلبية كانت تعاوده كل يوم تقريباً ، وزوجته الوفية إلى جواره لاتغيب عيناها عن أنفاسه لحظة ، وفي احدى فترات انتعاشه عرضت عليه أن يزور أحدث قسم لجراحة وأمراض القلب بمستشفى جامعة عين شمس والذي أشرف عليه ، لاجراء بعض الفحوص ، وكنت أعلم أن زيارة هذا القسم ، الذي أعدّ على أحدث مستوى ، سيسعده كل السعادة ، لأنه كان يحز في نفسه جداً ، اضطراره للسفر إلى أوروبا وأمريكا لاجراء الفحوص المتطورة ، والتي لم تكن أجهزتها الباهظة التكاليف قد توفرت بعد في الوطن العربي ، وكان يحز في نفسه أيضاً أن الأطباء الذين أجروا له هذه الفحوص هناك كانوا من الأطباء العرب الذين تركوا بلادهم لنقص الامكانيات .

وأثناء زيارته للقسم كان يبدو عليه الرضاء والفخر ، وعندما كنت أعرض عليه أحدث أجهزة الفحوص والانتعاش والعلاج ، قال «أظن أن علة قلبي قد تفاقمت ، وعندما تحين منيتي لن تستطيع أجهزتك انعاش قلبي وإعادته للحياة» .

تظاهرت بالانشغال وتجاهلت هذه الملاحظة وقدمت إليه أحد مساعدي من الأطباء الشبان . .

وعندما قلت للطبيب الشاب هذا هو سامي الدروبي هل تعرفه ؟ أجاب الشاب بسرعة «هل هناك في الوطن العربي من لايعرف سامي الدروبي أو ينكر فضله على الثقافة العربية ؟ لقد قرأت له كل ما كتب وإن اسلوبه في الترجمة لم يَسبقه إليه أحد» . . .

احمر وجه سامي الدروبي الشاحب ، واغرورقت عيناه بالدموع

ولعله وجد في إجابة الطبيب الشاب ما عوضه عن سنوات طويلة من المعاناة والصبر . . . .

سيداتي وسادتي

لا أجد وداعاً لسامي الدروبي خيراً مما ودعه به الأديب رجاء النقاش حين قال :

«وداعاً يا سامي ، يا أنشودة الجمال والصبر والعذاب ، كم كنت قوياً ورائعاً ، كم كنت جميلاً ونبيلاً في حياتك وثقافتك وسلوكك مع الدنيا والناس ، كم كان كل شيء فيك نقياً وصافياً ومثيراً للحب والاعجاب .

ومهما كانت قسوة الموت فستبقى يا سامي على مر الأيام مثلاً أعلى لكل ما هو حقيقي ونبيل في أرضنا العربية» .

كلمة الأستاذ يوسف الخطيب

وَداعاً يا سامي

يوم أن اعتلينا متون أحلامنا البعيدة
أيها الصديق الراحل ، الماثل . كأريج بستان
كنت أنت أسبقنا ، وأصدقنا
على متنِ جوادك العربي المطهم بقلائد النجوم .
كانت الحرية عشقنا ، وتوقنا
وقلبك النابض أبداً بالحياة
كان قيثارتها المرسلة ، المشدودة الأضلاع .
كانت الوحدة حبنا الرائع ، الضائع
ونحن معاً نشق في إثرها صدر ذلك الليل
برؤوس أقلامنا الملتمعة كرؤوس الرماح .
والليلة ، أيها الصديق الراحل عنا ، الماثل بيننا
أشهد في لون جرحك أن هذه هي الشهادة
وأشهد في حزن موتك أن هذه هي الولادة
لأن ما بين نقطة الحبر الجريحة حتى خلوص الضياء
وبين نقطة الدم المسفوحة على أرض الفداء
يكتسي الحلم كل ألوانه المبدعة ، البارحة
ويوم تبتسم شفاهه أطفالنا الآتين
سترتسم حتماً على شفاه أطفالنا الآتين
كل أمكنة الخيال ، وكل أزمنة الحنين . .

فلنمزج خمرتنا جيداً
ولنشرب في حبك نخب الليلة ،
من دالية جميع الأفراح ، ومن ساقية جميع الأحزان .
ثم ، ماذا أضع الليلة عند رأسك أيها الصديق العظيم
وأنت الذي أغنيتني . .
أغنيتنا . . بتذكاراتك الخالدة التي لاتزول . .
سأعتزل الليلة ، عليّ أستطيع أن أجري رياح الأرض .
فأسوق إلى ثراك الطاهر
غيمة من أعلى الجليل ، وغيمة من سفوح الخليل
سأعتزل الليلة هائماً وحدي على تلك الربوع
حتى أضفر لجبينك الشهم إكليلاً من نعمان القدس
ومن حبك اللطرون . .
سأعتزل الليلة ، حتى أنفر عند رأسك النبيل
جوقة عرس من كل عصافير فلسطين
وسأعتزل الليلة حتى أرسم فوق شاهدة قبرك
كل أنهار فلسطين ، وكل غزلان فلسطين
لوحة حب ، وأراجيح ، وأعياد ، وبساتين
فذلك أيها الصديق ، الرفيق
كل ما في الوسع ، الآن ، أن أفيَ من دينك العظيم
ووداعاً ياسامي
ولنشرب من حبك نخب الليلة
من دالية جميع الأفراح ، ومن ساقية جميع الأحزان

كلمة السيدة
الفت عمر باشا الادلبي

تتوهج الشهب لحظات خاطفة تبعث خلالها بأقصى ما لديها من ألق قبل أن تنطفىء انطفاءتها الأخيرة وتصير إلى مقرها السرمدي الأخير .

هكذا كان سامي الدروبي ، شهاباً خارقاً في دنيا العروبة ، ظل يتوهج عشر سنوات كاملة تأبى شعلة روحه أن تهوي عن ذراها الشامخة لتسكن في مثواها الأبدي .

ظل هذا الشهاب المعجزة يصارع الموت بتصميم عنيد يوماً بعد يوم ، وأحياناً ساعة بعد ساعة ، والمعجزة الكبرى أن همته لم تفتر خلال هذا الزمن الطويل من مرضه القهار كما تفتر همم المرضى والضعفاء ، فهو لم يكف عن عطائه الخير في مواقفه كلها كأديب مفكر ، وسياسي مسؤول ، وصاحب عقيدة ، وحامل شعلة ، ورب أسرة .

لكأنه حينما كان يكتب ينفث لهاث روحه على الصفحات فإذا هي نفحات من الجمال الخالد . وكيف لاتكون كذلك وهي حشاشة روح تشع لتنطفىء ، وعصارة قلب يذوب ليسيل أسطراً وحروفاً .

كان أطباؤه يتساءلون حيارى : كيف يستطيع قلب كادت تُسدُّ شرايينه ، وتتلف عضلاته أن يتحمل طموح صاحبه العملاق الذي ما كفَّ عن ارهاقه بما لايستطاع .

من لنا بمن يدرس هذه الظاهرة ليكتشف إلى أي مدى تستطيع قوة الانسان الروحية أن تتحكم بتركيبه المادي ؟

لقد كانت هذه الروح الجبارة ، روح سامي الدروبي ، في سباق دائم مع الزمن . لقد أنتج صاحبُها خلال عمره القصير ما يزيد على خمس وثلاثين ألف صفحة ، مؤلفة ومترجمة . اختار فيما ترجم منهـا أروع روائـع الأدب العالمي ، وبخاصة الروسي ، فنقلها إلى العربية بدقة صارمة ، ولغة فصحى مشرقة ، حتى ليخيل للقارىء أنها وضعت كلها بالعربية .

وكان إذا ألف كتب بعاطفة رصينة ، وأسلوب سهل ، يتميز بالعذوبة والرشاقة مع قوة في التعبير ونقاوة في الصقل ، واحكام في النسج .

لكم هي غالية علينا هذه الصفحات يا سامي ، لقد أغنيت بها أدبنـا العربي ، ستظل خالداً فيها بيننا دائماً أبداً ، كلما عدنا إليهـا ، ومـا أكثـر ما سنعود ، سنرى خيالك ماثلاً بين كل سطر وسطـر ، وبـين كل فاصلـة ونقطة ، وكم نسعد حينما يخيل إلينا أنك ما زلـت معنـا ، وأنـت في عالمك الثاني .

ذكرى : ولعلهـا من أمضى الـذكريات على قلبــي ، يوم ذهبنـــا إلى المستشفى العسكري لنعزي الدكتور الدروبي ، المريض بقلبـه ، المفجـوع بابنته الصبية في حادث أليم .

وان أنسى لا أنسى ماحييت تلك الدموع المحبوسة في مآقيه الحمر التي كانت تبرق في عينيه الصافيتين فتشفان عما يضطرم بـين الجوانـح من لوعـة وأسى .

كنت أرى في عينيه يومئذ نوراً علوياً غريباً ، يلائم بين عذوبة الطفولة ورقتها، وقوة الرجولة وقدرتها على الكبت والصمود . ولعلي كنت أتساءل :

أهكذا كانت عيون الأنبياء عندما كانوا يمتحنون بالمصائب والنوائب ؟

ومهما نسيت لن أنسى أيضاً زوجه الثكلى التي تربطنـي بهـا أواصر صداقـة وقربى : هي رفيقة أولادي ، أكن لها ما أكن لهم من حُب وعطف ، لن أنساها أبداً وهي تمسح إذ ذاك معه الثكل ، وتتحامل ما استطاعت لترسم على فمها ابتسامة رضا ، تخلع ثوب الحداد عندما ينصرف عنها المعزون ، وترتدي الثوب الزاهي ، وتهرع إلى المستشفى حيث زوجها ، لترفه عنه ، وتهون عليه المصاب الأليم .

كم من مرة رأيتها تضرع إلى بارئها ليقبل ابنتها الصبية فدية لأبيها المريض . لقد عرفت هذه الزوجة كيف تستمد من روح زوجها العظيم الصبر ، ونكران الذات ومواجهة النكبات .

أيها الصديق الغالي سامي الدروبي ، إن رحيلك المبكر عنا كارثة لاعزاء لنا فيها ، لقد كنت الغيور على وطنه ، الباذل لأمته ، الثائر على الظلم والطغيان ، الأمين على مسؤولياته ، الحادب على أسرته . الوفي لأصدقائه . لئن غبت يا سامي عن الأحداق ستظل شعلة مشرقة في أذهاننا ، ولوعة في قلوبنا ، نحن قراءك في وطنك العربي الكبير ، وأهلك ، وأصدقاءك ، وطلابك ! ، وان صوتنا ما هو إلا ومضة من وفاء نبيل عرفناه بك واستودعك الله إلى حين الملتقى .

كلمة الدكتور
بديع الكسم

أصدقاء سامي كثيرون في مشرق الأرض العربية ومغربها . وكل منهم يكُن له عاطفة اكبار ومحبة . أما من عرفة الحياة والفكر فقد أحس احساساً بأن أصالة الروح أقوى من منطق الزمن ـ. عرفناه قبل الاستقلال إرادة واعية تدق أبواب الحرية كلّها ، حرية الوطن وحرية المواطن وحرية العقل في الكشف عن الحقيقة . وذهبنا في طلب العلم إلى القاهرة . وعاش سامي فترة الجامعة كالوتر المشدود بين الأخذ والعطاء . كان يتلقف من المعاني التي تُخصب الوجدان ، وترسّخ لديه الايمان بالكرامة والعدل .

وكان يمتحن قناعاته بالحوار والجدل . وأشهد أن رفاقه كانوا يرضون كل الرضى عن الكثير الكثير مما يرى وما كانوا يخالفونه إلا في القليل . وأشهد أيضاً أن الأيام قد بينت أنه كان الأعمق نفاذاً في أكثر هذا القليل .ـ كان سامي يأخذ من ضمير أمته التي يؤ من بعبقريتها ، ومن تراث الفكر الانساني كلّ ما يستطيع ؛ وكان يعطي الفكرَ وأمته أكثر مما يستطيع . وقد رأيناه في جامعة دمشق يخلص للأمانة التي حملها لتكوين الأجيال . وقد كان يمكث الساعات في مخبره الصغير وغرفته الضيقة بالكلية ، يُعنى بكل جهاز من أجهزة التجارب النفسية . وحين كان يتخذ منّا موضوع اختبار ، اختبارٍ لنا ولآلاته العجيبة ، أو كان يطبق علينا روائزه في قياس المهارات أو في جوهر الشخصية ، ما كنا في أكثر الأحيان ، ندرك من النتيجة إلا ابتسامته الرقيقة . وكان عزاؤ نا الخفي أن ثقة سامي بالآلة لم تكن بغير حدود . فقد كنا نعرف اهتمامه الخاص بالعلاقة بين الفكر واللغة ، أي بين الباطن والظاهر ، بين الأعماق والمرئي على

السطح . ففي قدرة اللغة أن تفصح عن جانب أو جوانب . ولكنها تجفل أمام الأعماق . هذه الأعماق لايقربها إلا جدس الفنان الكبير .

وكانت الوحدة التي ملأته بالفرح ، ولهبت حماسه للعمل المنتج . وقبل زوال الانفصال بليلة واحدة سمعه الكثيرون في دمشق يرفع صوته بكل قوته وايمانه ويقول : أمتنا واحدة . ثم انفتحت أمامه مجالات واسعة ليخدم وطنه الصغير ووطنه الكبير بالحضور الفكري والمبادىء الثابتة ، والأمل العريض .

وقبل أن يفارقنا بأيام قليلة طلب إلي أن أحضر له كتاباً كان قد قرأه وأحبه منذ أكثر من ثلاثين سنة . وأتيته بالكتاب فابتهج كل من حوله . ثم تحدث إلينا عشية الوداع عن ذكرياته وتطلعاته ، وكان حديثاً مشرقاً نابعاً من صفاء الذهن وتدفق العفوية . فانكشفت أمامنا بجلاء تام وحدة أفكاره ووحدة آماله ، وقلت في نفسي : إن الحفل الذي سيقام بعد أيام تكريماً لسامي ، لابد أن يعكس . في أقوال المتحدثين عن فكره وانتاجه ونضاله ، هذه الوحدة العميقة التي تربطُ بين أعماله كلِّها . وما خطر في بال أحد منا أننا نودعه . ولكن لقد كنا بحضرة وداع مؤقت وفي الوقت ذاته لم يكن هناك وداع على الاطلاق ؟

فسيبقى سامي قوة نضالية في حركة أمته ، وسيبقى فكراً خصيباً في ثقافة عصره ، وسيبقى نموذجاً حياً للعطاء الصادق في أفق الأجيال العربية وسيبقى نظرة حنانٍ محضٍ خالص في بيته وأسرته ، وسيبقى معنا جميعاً ، نحن الذين عرفناه وأحببناه ، الصديق الوفي الذي لايغيب .

كلمة
السيد مصباح الدروبي

نجل الفقيد

ماكنت أدرك أن الكلمات تعجز كل هذا العجز عن التعبير عما يضطرم في النفس من شعور وأحاسيس إلا عندما أحببت أن أتحدث إليكم عن أبي .

وإني لأتساءل الآن : أية صورة من تلك الصور السامية أستطيع أن أنقلها إليكم دون أن تبهت ألوانها أو تفقد روعتها .

هدوء الليل والمصباح الخافت وأبي منحن على أوراقه يكتب بلاانقطاع ومن حوله أدوات الاسعاف : جهاز الأوكسجين ، زجاجة «النيتروستات» الموسعة للشرايين وغير ذلك ، وظل جسده النحيل يرتسم على الجدار المقابل ضخماً عملاقاً .

أتكون الظلال في بعض الأحيان أكثر صدقاً من الواقع .

أمي في سريرها توهم أبي أنها في سبات عميق ، وماهي بالنائمة أبداً ، وكم كنا أختي وأنا نتسلل من غرفنا نلتقي أمام غرفة بابا . لقد جئنا لنطمئن عليه وقد تركناه قبل قليل يعاني ما يعاني من ألم وضيق فتفاجئنا هذه الصورة الفريدة .

كنت أقف أنا وأختي نتملى هذه الصورة دون أن يشعر أبي بنا نرتجف خوفاً ووجلا من أن نفقدها ذات يوم وها نحن أولاء قد فقدناها .

فيا لفداحة ما فقدناه ويا لقساوة هذا القدر .

منذ ابتلى أبي بمرضه القهار أيقن أنه على وشك الرحيل عنا فكانت تجول في عينيه الصافيتين المعبرتين نظرات وداع أليمة كلما رنا الينا كان يخفيها عنا ما استطاع ، يبددها بابتسامة أو ضحكة أو نكتة يرويها لنا يحاول أن يبعدنا

عن الكارثة التي تحيق بنا ، كي لا نفقد شيئاً من مرح الطفولة أو لهو الشباب . كم كان بارعاً في تمثيله هذا ، لقد جعلنا نعتقد حقاً أن أبانا سليم معافى ، وأنه سيبقى حياً بيننا .

صور وصور ، تنداح أمامي ، ما أعجزني وأنا في حالتي هذه أن أنقلها إليكم صادقة كل الصدق في أبعادها وألوانها وظلالها .

ولكن ، لابدَّ لنا أن نكتبها ذات يوم أمي وأختي وأنا لتظل أمثولة طيبة لنا وذكرى باقية من أبي الذي كافح وناضل وجاهد وكان مجلياً دائماً أبداً .

إن أثمن ما خلفه لنا والدي هو ثروة من الأصدقاء الأوفياء الذي ما انقطعوا عنا أبداً وظلوا على حبهم ووفائهم القديم . وإن أكبر عزاءٍ لنا ما شملنا به من محبة سيادة الفريق حافظ الأسد الذي كان لأبي طيلة مرضه مواسياً ومشجعاً ، ثم كان لنا من بعده مواسياً ومشجعاً أيضاً . فله منا الشكر والامتنان . حفظه الله للوطن وللعرب جميعاً .

كما أننا نتوجه بالشكر الجزيل لرئيس مجلس الوزراء ، سيادة الأستاذ محمود الأيوبي ، ووزير الدفاع سيادة اللواء مصطفى طلاس اللذين على الرغم من مسؤلياتهما الكبيرة لم ينسيا أبداً من كان أستاذهما وظلا على ودهما ووفائهما كأحلى ما يكون الود ، وأجمل ما يكون الوفاء .

وإني لأشكر أيضاً باسم أسرتنا أصدقاء أبي وزملاءه الذين تحدثوا إليكم عنه بما أوحته ذكرياتهم معه وقراءآتهم له وأقدم امتناني للذين تحملوا مشاق السفر لمشاركتنا في هذه لذكرى الحزينة نجلا الزعيم الخالد جمال عبد الناصر .

كما أشكر اتحاد الكتاب العرب الذي كان قد قرر إقامة حفل تكريم لأبي ، فأبت المنية إلا أن تحوله إلى حفل تأبين . وأشكركم جميعاً على مشاركتكم لنا في هذه الذكرى الأليمة .

سامي الدّروبي
مُترجماً ..

جورج صدقني

لست أدري ، في الحقيقة ، إن كان قد آن الأوان لكتابة أية دراسة تحليلية عن سامي الدروبي . لأنه ـ إذا كان من المتفق عليه أن يكون التحليل دقيقاً وحيادياً ـ ليس منا من يستطيع أن يرتضي لنفسه برود الحياد وفتور الموضوعية ، حين يكتب عن إنسان ربطته به أوثق الأواصر . كيف أخرج من نفسي لأقول كلاماً هادئاً عن سامي الدروبي ؟ وهل أبقى ـ إن فعلتُ ـ أنا نفسي الذي اتحدث ؟ أو ليس سامي الدروبي جزءاً من تاريخ جيلنا كله ، وجزءاً من تاريخي الشخصي أخاً وأستاذاً ورفيق فكر ونضال، وقبل كل شيء وفوق كل شيء صديقاً كريماً رائعاً ليس له نظير ؟

ولعلني ـ لهذه الأسباب ـ آثرت أن يكون كلامي عن وجه واحد من وجوه حياته ، عن أقرب الوجوه متناولاً من زاوية البحث والتحليل ، أعني سامي الدروبي المترجم . ولكنني أعترف بأنني سأكون عاجزاً ـ حتى في هذا المجال ـ عن حبس عاطفتي أن تسبغ على الحروف لوناً من الحب الحزين .

ـ ١ ـ

في مدريد أصر إصراراً على أن يأخذني بنفسه ـ رغم مرضه وعلة قلبه ـ إلى طليطلة . وفي طليطلة قادني إلى مسجد صغير من آثار الأمجاد الغابرة . وهناك شرع يشرح لي : انظر هذا العمود ، كم هو رشيق الصنع . . . انظر الأقواس . . . الأحجار المنمنمة الصغيرة فكأنها من الآجر . . . أرأيت إلى النور كيف ينسكب هادئاً من شقوق النوافذ ، فيضفي على النفس سكينة تغري بالصلاة ؟ هذا المسجد الصغير أروع من كل ما شاهدت في قرطبة وفي غرناطة . . . هنا تشعر أنك في بيت الله ، وفي بيتك أيضاً .

قلت : كثيرون نالوا فرصة زيارة هذا المسجد الجميل ، ولكن من فاز مثلي بدليل سياحي عظيم ؟ فضحك ضحكة رضى .

كنت ـ وأنا أصغي إليه يشرح لي شرحاً ضافياً ، ويحرص على أن ينقل لي كل ما يعرف عن كل حجر من أحجار ذلك المسجد ـ يتملكني شعور بأنني قد لمست شيئاً من حقيقة المترجم في شخصية سامي الدروبي الانسان : لقد كان يترجم أكثر مما يشرح . سامي الدروبي كان يحب التواصل الانساني ، ويرتاح الى نقل مشاعره واحساسه بالجمال إلى الآخرين ، ولذلك كان مترجماً . كان يغار من الثقافة الأوروبية إعجاباً بها ، وكان غيرياً يأبى أن يجهل أبناء العروبة ما يعرف من كنوز هذه الثقافة ، حريصاً على وضع هذه الكنوز في متناول الجميع ، ولذلك وجد سامي الدروبي نفسه في الترجمة ، ووجد نفسه مترجماً .

ـ ٢ ـ

كان سامي الدروبي يحب أن يترجم ، ولكنه لم يكن مترجماً هاوياً ، ولا كانت الترجمة هواية لديه . كانت الترجمة في نظره رسالة حضارية . ولطالما بشر بأن هذا العصر من تاريخ العرب يجب أن يكون عصراً للترجمة . ولطالما حلم بأن يكون هذا العصر عصر الترجمة الثاني بعد عصر الترجمة الأول أيام العباسيين . ورأيه في ذلك أن الأمة العربية بأمس الحاجة إلى أن تفتح نوافذها للهواء والشمس . ولم تكن الترجمة لديه رسالة يبشر بها بالكلام وحسب ، بل انبرى بنفسه إلى حمل لوائها فكان علماً من أعلامها البارزين .

ولعل في هذا تفسيراً لقلة ما ألّف ـ على جودته ـ بالقياس إلى غزارة ما ترجم إلى العربية . لقد كان سامي الدروبي مفكراً ممتازاً دون أدنى ريب ، ولكن لعل أبرز أفكاره الممتازة أنه كان يعتقد اعتقاداً جازماً بأن نهضة الأمة العربية وبعث تراثها وأمجادها يقتضيان الاطلاع الشامل على الحضارة الحديثة ، وتمثل وجوهها المختلفة فكراً وفلسفة وأدباً وفناً الخ . . ومن هنا كان إيمانه برسالة الترجمة .

- ٣ -

وسامي الدروبي المترجم ذو همة وحمّية لا يترك الأعباء على الآخرين ، بل لعله كان يساوره القلق ـ على كثرة المترجمين ، وعلى تباين كفاءاتهم ـ أن يهمل كتاب أحبه فلا يترجَم ، فيبادر إلى ترجمته بنفسه . بل لعله ـ فوق ذلك ـ كان يضيق ببعض ما يظهر من ترجمات سريعة وسطحية ، فيشعر بمسؤولية إعادة ترجمتها بنفسه ، ولقد فعل في بعض الأحيان .

كان سامي الدروبي يحس بأن ترجمة الثقافة الأوروبية مسؤولية شخصية : وإني لعلى مثل اليقين بأن طموحه جعله يحلم بأن يترجم بنفسه كل ما اطلع عليه من روائع الفكر والأدب في العالم . لكأني به كان يقول : ليت روائع الفكر والأدب في العالم جمعت في مجلد واحد ، إذن لترجمته واسترحت .

- ٤ -

ولكن سامي الدروبي كان يعيش مع الموت في كل يوم : يسير معه في طريقه ، ويجلس بجانبه إلى المائدة ، وينام معه في السرير . كان في سباق رهيب مع الزمن ، وكان أكثر ما يخشاه أن يخذله جسده فلا يستمر في العمل والعطاء . كان أسوأ ما في المرض في رأيه انه مذل مهين ، ترفضه طاقة الروح ولكن طاقة الجسد تسلمها للخذلان .

سألته مرة عن حاله فقال : علة قلبي على حالها ، ولكنني مصاب بالأرق ، إنني أكاد لا أعرف طعماً للنوم . ثم أضاف : ولكنني وظفت هذا الأرق في ترجمة تولستوي . تعال انظر كيف أعمل .

وأخذني من يدي إلى غرفة عمله الصغيرة : غرفة كالمحراب ، طاولة في ركن منعزل ، وكتب وأوراق وأقلام ، ومقعد ، ونور هادىء . ثم قال : هنا أعمل . الكل ينامون ، وأنا أعمل هنا حتى مطلع الفجر .

قلت في نفسي : (راهب في صومعة !)

هذا الراهب ذو الجسد العليل قدم للمكتبة العربية زاداً يغذي نفوس قراء العربية إلى زمن طويل .

- ٥ -

كان سامي الدروبي فناناً يحب الجمال ، ويصنع الجمال أيضاً . أما

العربية فلم يكن يحبها وحسب ، بل كان يهيم بها حباً ، ويتأمل جمالها كالعاشق الولهان .

وسامي الدروبي يقرأ الفكرة في أصلها باللغة الأجنبية ، ولكأني به تروقه الفكرة وتستهويه ، ولكنه يرثي لحالها ، ويريد لها أن تخلع أسمالها البالية وتلبس ثوباً عربياً قشيباً يبرز مفاتنها .

لن نفهم سامي الدروبي في ما ترجم ، إذا لم ندرك فيه الفنان الذي يهوى الجمال، والشاعر الساحر البيان ، والعاشق الولهان الذي يرى في العربية أجمل لغات الأرض .

إنك ، إذا ما قرأت ترجمات سامي الدروبي ، تنسى نفسك ، وتتوهم أنك تقرأ نصاً عربياً أصيلاً ، لم ينقل من لغة أخرى ، بل كتب بالعربية منذ البداية : أسلوب مرهف ، رشيق العبارة ، جميل العبارة ، وبكلمة واحدة تشعر أنك أمام بيان عربي ساحر ، بل أكاد أجزم أنك ، لو أمعنت النظر في بعض العبارات ، لوجدت أنها ذات وزن وموسيقا .

بل إنني لأجرؤ على القول إن سامي الدروبي ، وهو يترجم ، كان يمارس نوعاً من التقويم ، إذا صح التعبير ، فكأن الفكرة في الأصل معبر عنها بلسان أعجمي معوج ، وهو بترجمتها يعبر عنها بلسان عربي مستقيم فصيح .

- ٦ -

ذات مرة ، أشار الفيلسوف الفرنسي المعاصر بول ريكور إلى صعوبة الترجمة ، فتحدث عن أن في كل لغة منطقاً معيناً ، وأن لكل لغة عبقريتها الخاصة بها ، وأن لغة كل شعب هي - بمعنى من المعاني - ثقافته وفكره وتراثه الحضاري . وهكذا تكاد كل لغة تكون عالماً مستقلاً عن سائر العالمين ، وبالتالي تكاد الترجمة تكون مستحيلة ، لأنها أشبه بالانتقال من عالم إلى عالم آخر .

لقد كان سامي الدروبي ، بدون أدنى ريب ، آخر مترجم يمكن أن يجد أثراً لهذه الصعوبة ، إذا نظرنا إلى الأمر من زاوية القدرة والكفاءة ، لأنه كان ضليعاً في اللغات التي ينقل منها - ولاسيما الفرنسية - وكان في الوقت نفسه

مالكاً ناصية التعبير بالعربية .

ولكن الواقع كان على النقيض من هذا التوقع تماماً : فسامي الدروبي ـ وعلى وجه التحديد ، بسبب من تمكنه من اللغتين التي ينقل منها والتي ينقل إليها ، وبدافع من أمانته الكلية أيضاً ـ كان أول من يعرف أن نقل العواطف والأفكار من لغة إلى أخرى يغيرها ، مهما بلغت أمانة النقل والترجمة .

كان يعرف أن الترجمة الكاملة مستحيلة ، ولكن هذه المعرفة تحولت لديه إلى نوع من المعاناة في ترجمته ثلاثية الأديب الجزائري محمد ديب (الدار الكبيرة ـ الحريق ـ النول) من الفرنسية . وقد عبر عن هذه المعاناة خير تعبير في مقدمة الترجمة . إن الأدباء الجزائريين ، الذين عبروا بالفرنسية ، حالة فريدة من نوعها ، أفصح عنها الأديب الجزائري مالك حداد بقوله : «الفرنسية منفاي» . فكأن الانسان في هذه الحالة معقود اللسان ، يعبر عن خلجات نفسه بلسان غيره . وما أشقى الانسان يضطر أن يجعل من لسان غريب ترجماناً عما يجول في خاطره ، ويحس أن هذا اللسان الغريب لم يحسن التعبير ، ثم يلجأ إلى لسانه فلا يسعفه لأنه معقود .

كان سامي الدروبي يشعر ـ وهو يترجم الثلاثية الجزائرية ـ بأنه كمن يحاول أن يفك عقدة لسان محمد ديب ، فهل نجح في ذلك ؟ لانظن أنه فعل ، ونجزم بأنه لم يكن بوسع أي إنسان آخر أن يفعل . إن ترجمة الثلاثية رائعة ككل ما ترجم سامي الدروبي ، إذا أدخلناها في عداد الأدب الفرنسي المترجم إلى العربية . أما إذا رأينا في الثلاثية أدباً جزائرياً معبراً عنه بالفرنسية ، فان ترجمتها الحقيقية هي أن نجعلها ما كان محمد ديب سيقوله لو لم يكن «معقود اللسان» . هنا تبرز استحالة الترجمة الكاملة بأجلى معانيها ، ويعبر سامي الدروبي عنها في سياق حديثه عن الأدب الجزائري المعبر عنه بالفرنسية ، فيقول إن كتابة هذا الأدب بالفرنسية جعلته يفقد شيئاً من روائه ، وترجمته من الفرنسية تفقده شيئاً من روائه أيضاً .

ـ ٧ ـ

لو أطلقت لخيالي العنان لجمح بي وطار إلى مجاهل المستقبل : ولرسمت

لي مخيلتي أن العرب قد بعثوا امجادهم ، وأقاموا دولتهم ، وأن مؤرخي ذلك العصر القادم كتبوا عن أيامنا هذه ، فقالوا ؛: «. . . ومن عوامل البعث العربي ما عرفته هذه الحقبة من نشاط في ميدان الترجمة . لقد تميزت تلك الحقبة بكثرة عدد المترجمين ، وكان سامي الدروبي أشهرهم على الاطلاق ، وقد تميز بغزارة الانتاج ، والامانة ، والدقة ، وطلاوة الأسلوب ، كما تميز قبل هذا كله بوعيه المهمة القومية التي كان يقوم بها وهو يترجم» .

جيل الأمانة

بعضهم قضى نحبه والبعض ينتظر

أنطون مقدسي

اذ أذكره أنسى السفير والوزير ، أنسى السياسي ، أنسى الاستاذ والكاتب والمفكر . . .

وربما نسيت الصديق ، وعمراً اجتزناه معاً ، وقد أنسى التاريخ .

اذ الصورة الاولى هي الأبقى ، الكل فيها ، وكأنها هي موجودة بذاتها ، تلازمك ، تستدعيك ، تقسرك ؛ وسيان استجبت أم لم تستجب فهي تعيش لذاتها عالماً له قوامه ومقوماته .

والبدء صورة ، وفي البدء تتحدد المصائر .

وكان بدؤنا في الربيع ، ربيع الشباب ، وتدشين العمر احتفال بالربيع .

وبقي الربيع يأتيني معه .

كانت الأمة ، يومها ، تعيش ربيعها : فالاستقلال يستدعي الثورة ، والنهضة البعث . . ؛ والوضع الجديد جيلا جديداً ؛ وهي ، اذ تتمخض عن الانقلابات الجسيمة التي ستلي ، تختار ممثليها وقادتها ، تختار ، بالاحرى ، الارض التي ستنبتهم . فقد آن للشعب ان يبرز إلى ساح التاريخ ويمثلها .

لم يكن اذ ذاك ما يشير إلى الدور الذي سيلعبه ذلك الشاب الوسيم . فقد كان ، على فطنته ، حييا يؤثر السكوت على الكلام ، والصف الثاني على الأول . الا أني رأيت فيه ، يومها ، شيئاً ما أزال أراه . فقد بدا لي ، أول ما بدا ، طاقة حب في تفتحها الأول . فاذ تراه يستبقيك ، يشدك اليه

برفق ، ويغادرك فلاتنساه . ويعود فكأنك تعرفه منذ أن وجدت .
ولقد صدق الفلاسفة الأول عندما رأوا في الحب القوة التي تؤلف بين الموجودات طرا .
والحب ، اذ يوجد ، يوجد عطاء .
وكانت الأمة ـ ومازال ـ بحاجة الى من يعطيها قلبه وكل ماله .
وكان معطاء .
والأمة بعد عطاء لا حاجة .

* * *

وتمضي السنون .
لقاء وفراق . . .
. . . وسفر
والعمر سفر ، و «الدنا مشوار»
ننشد الاستقرار ونحزم الامتعة (أية أمتعة : يامتاع الغرور !)
فالحقائب جاهزة للرحيل .
دوما على سفر ،
دوماً على موعد ،
وعالم سيده المصادفة .
وإن التاريخ الا مجموعة صدف لا تدري أنى وكيف تؤلف جملة تستحيل دلالة ، فالحدث يصدمك عند المنعطف في دنيا كلها منعطفات .
في باريس القاه ، وفي القاهرة ومدريد . . . في دمشق القاه ، وفي حمص وحلب . . .
في بيته أو في بيتي ، في المقهى ، في الجامعة ، في الشارع . . . وعند الأصدقاء . . وفي سجن المزة . . .
ولقاؤه دوماً جديد .
اذ في عينيه ابتسامة تقول ، لاتدري ما تقول ، تقول :
غداً نيسان ،
وفي نيسان عرفته ، واذ مضى نيسان ، ودعته .

وفي نيسان ولد البعث . وكنا نريده فرحة ميلاد .

* * *

كان يطيب له أن يطبخ فنأكل ، أن يسكب فنشرب . . . وأن نتكلم فيتكلم ، اذ يستثير الحوار ويتوارى ، وعلى فجأة يندفع فيه حديثاً من القلب إلى القلب .

ومناجاة ،

وفعل صلاة ،

وشغفاً لا يرتوي الى الكلم الجميل يتذوقه كما الأكل الشهي : يستمتع بكل حرف من أحرف اللسان المبين .

واذ يتكلم أسكت ،

. . . واصغي

وما يزال صوته يطوف حولي ، وايقاعه الى مسمعي يعود . ويعود هو ـ هو ذاته ـ معه ، وكأننا على موعد .

ونحن دوماً على موعد ، اليوم وغداً كما بالأمس . فالصديق ماثل أمام الصديق ، حاضر في قلبه حضور الوجود في الموجودات .

ان المحبة لا تموت

* * *

بروح المحبة هذه أقبل على التدريس والأدب والسياسة . . .

يريد الكل ،

وذلك كان شأن الجيل : الكل دفعة واحدة ؛ اذ الثورة جملة لا يمكنك أن تنتقص بعداً من أبعادها ، ولا حرفاً من أحرفها .

وكانت المرامي تفوق الوسائل . الا أن الاستقلال والدم المراق على مذبح الامة شقاً للعمل ؛ فسحة لا حدود لها .

والأمة بعد فسحة وجود .

وفي الفسحة الأوسع دشن البعث وجوده ،

والجيل عمره

وأردنا وجودنا المستعاد ،

حواراً على القمة !

مع الماضي ،

مع الاعلام والتراثات ،

ومع الانسان . . .

ورسالة ،

اذ الوجود أن تكون للانسان ؟

وفداء الانسان . .

فالتربية هي زج الاجيال في معركا البناء ،

والأدب ، أن تسائل الاكبر بين الكبار ،

والسياسة حيث تلتقي قلوب ألف بينها الذي ألف الوجود ،

وجعل منه تعبيراً وآيات تقول .

. . . وتبدأ الثورة ،

وما تزال في بداياتها ،

يمضي جيل الامانة وما تزال تتمتم أحرفها الاولى ،

وتتعثر .

يمضي ، وهو ينتظر ،

وان العمر الا لهفة انتظار ، «ومشوار» . . .

• • •

في تلك الأيام ، اتضحت الرؤ ى وتحددت المرامي .

لم يكن ثمة جديد . فرواد النهضة الأولى قالوا ، على طريقتهم ومن منطلقاتهم ، ماسنقول ؛

ومع ذلك فالكل جديد .

وتلك هي المنعطفات التاريخية ، تبدو بعد حين ، وكأنها نتيجة طبيعية لما سبق ، وهي في حقيقتها فعل من أفعال الحرية ، وخط آخر . . وفعل الحرية أن تجمع الماضي لتستعيده مستقبلا .

فعل الحرية أن تجسد الفكرة ،

أن تجعل منها وجوداً .

فحرية البشر وجودهم ،
كما ان الوحدة وجود الأمة ،
والديمقراطية وجود الشعب ،
والاشتراكية وجود الجماعة .

يلي الاقتصاد وصراعاته ، التاريخ ومنطقه ، والناس وحاجاتهم . والامة ، اذ تتوحد تستبعد الطفيليات والطبقات التي استنفذت فهي الى زوال .

والكل استقام للجيل اذ اكتشف الارض الصلبة حيث تنبت الافكار وتصبح أدوات لتحويل العالم ، أقصد الشعب ، بالاحرى كان الشعب ينادي ، والثورة أن تصغي لندائه . . .

. . . وتستجيب
ولأول مرة كان ثمة التحام بين القول والشعب ،
لأول مرة تمتم الشعب وجوده .

. . . في تلك الأيام وضعت الأمانة في عنق الجيل ، وحملها ،
وكان مظلوما .
لم نخترها ،
لست ، أنت ، الذي تختار ،
بل التاريخ يختارك .
يضعك في المقدمة ، والى الأمام أو الى «أرذل العمر» .

من مسألتين مسألة ، والخيار في الحقيقة لا ـ خيار ، اذ الانسان لا يختار موقعه من الوجود . الا أن أرضه وتاريخه وطبقته . . . وكذلك وسائله من ابعاد شخصيته ، كما أنه ـ هو ـ يعد من أبعاد الوجود ، وفعله فعل وجود .
والكلمة فعل وجود وحرية .

. . . في تلك الايام تكلمت العروبة بعد صمت طال واستطال حتى لكأنه دهر . وسمعنا صوتها وهللنا ، كما يهلل الأهل لمجيء الوليد .
تكلمت فوجدت ،

اذ الكلام ملزم ،
اذ الكلام مصير .
وبالكلام يوجد الانسان فرداً وجماعة .
بالكلام يبدأ الوجود .
وفي البدء تتحدد المصائر .
وتكلمت بلسان هؤلاء الناس

لم يكن في واقعهم ، ولا في تاريخهم ، ما يؤهلهم لحمل مثل هذه الامانة . فهم فئة من المثقفين ، جلهم من الطلاب وأساتذتهم ؛ وكلهم ، كالطبقة التي أنجبتهم ، يؤثرون السلامة على المغامرة . الا أنهم وجدوا في الصف الأول ، ولا حيلة لهم في الأمر ، المصير أرادهم فأرادوه ، وأتوا اليه كما أتى اليهم .

وفي المنعطفات الاختيار :
فاما الكل أو لاشيء ،
أما الثورة أو اللا وجود .
والسؤال ما يزال مطروحاً
ولا تدري كم يبقى مطروحا .

ولكن ، اذ يقلب التاريخ صفحته ، يطوي الثورة - ما حقق منها ومالم يحقق - والثوار - ما بقي منهم ومن ذهب .

• • •

ربح الجيل معارك وخسر أخرى ، ربما خسر أكثر مما ربح .

تعثر ، تراخى ، تناقض ، بدل مواقعه ، وأحياناً أضاعها .

ضاع في متاهة الايدلوجيات ، ناسياً أن الفكر بعد من أبعاد الوجود لا كله ، فصنف الناس وأعاد النظر في التصنيفات ، وأعاد وأعاد ، وضع هذا في الميمنة وذاك في الميسرة وبدل الترتيب .

سبقته الاحداث ، لهث وراءها ، استعجل الامور ، ونسي أن الوجود فعل انتظار ،

. . . وان الثورة ، اذ تصبح مغنما ، تتوارى الى الأبد .

الا انه بقي أميناً لما رأى ، حافظاً لما سمع ، ساهراً على ما أعطي .
خارت قواه ، وأحياناً استسلم . ومع ذلك بقي أميناً لما سمع .
وكان بهذا طليعه .
أزاحوه ، وبقي يعيد ماسمع .
وكان بهذا عظيما

• • •

بين أبناء هذا الجيل عاش شبابه ، عاش عمره ، لازمهم ، لازموه ، شركة حياة استمرت رغم محن الدهر ورزاياه ، وبالعين التي رأوا بها رأى .

وكان منهم في موقع القلب يؤثره على الصدارة ، اذ هو انسان المودة ، والحياة الحميمة ،
فالوفاء شيمته ،
وكان الجيل ، على فقره ، عزيز النفس ، كريمها ومتلافا اذا اقتضى الامر .
فلم يبخل ،
لم يهادن ،
لاهو ولا الذين شرعوا بالمسيرة ، وشقوا الدرب عندما لم يكن ثمة درب . .
فقد نادوا الشعب وسمعهم ، ودفعوا باليقظة الى حدود التمرد . فثمة المظاهرات والاحتجاجات ، والعصيان ورفض القوانين والاعراف الاقطاعية ، ومناهضة الاحلاف . . . وتاريخ كل ساعة من ساعاته جديدة في حياة أمة رضخت للقدر دهراً .
تلك كانت بوادر الثورة في الخمسينات ، وأنبل أوجهها ، اذ كان العمل لمن يعمل . ومن يتقاعس فليسامحه الله ويعفو عنه .
وليالي الثورة كانت ليالي عيد .
أما الثورة فشيء آخر
. . . وكان بيننا فرحة وجود

وترفا . . .

فلم أره ، يوما ، إلا باسماً .

وفي أشد حالات المرض ، اذ يشده الداء الى السرير ، ويحجب أنبوب التنفس وجهه الجميل ، كانت ابتسامته الحنون تطوف في المكان ، وتعيد الينا ذكرى البهجة الاولى ، والفرح الذي يرافق المرامي العظيمة .

. . . وبقي العطف الكبير عنوان وجوده .

وفي الأيام الاخيرة ، اذ نزوره ، ينتصب ، لا ليرى دمشق (فهي حاضره في خياله) ولا ليمتع ناظريه بأرض العرب (فهي وجوده) بل ليضم الكل ـ والاهل والاصدقاء والرفاق ـ الى قلبه المحب ،

وعيناه تقولان :

أمتكم أمانة في أعناقكم

ـ بلى ، ياصديق . الا أننا ـ كلنا ـ شارفنا على نهاية الدرب . . . .

. . . وتلك سنة الاحياء .

ولقد قامت أجيال أخرى فيها الكثير من الزؤان وبعض من الحنطة ، الكثير من الدخيل ، وأقل منه الاصيل .

. . . والأمة تنتظر

. . . وسوف يطول الانتظار .

* * *

وذلك كان واقع الجيل : ان استعجل وانتظر ؟ وبين الموقفين تردد . . . وضاع ،

. . وأخذ يتوارى .

واذ يسبقك الزمن تصبح الرسالة سياسة ، والسياسة ـ وهي الحرية في المستوى الأعلى ـ دفاعا عن النفس . والدفاع علامة وهن ، اذ الاصل في الوجود الانشاء .

وتصبح الوحدة ـ وهي بدء وغاية ـ وسيلة ،

والاشتراكية ، وهي المدخل الى الحداثة ـ روتينا في ذمة الدواوين والايديولوجيين .

ويعلق الشعب ، فالحرية لفظة ، مجرد لفظة ، والكلام الذي هو قول الحق ، لغو .

صراع مع الزمن ، ذلك هو العربي اليوم :

تاريخ طويل لا تدري أهو مسعف أم عبء ،

حداثة طاغية لم نتميز بعد طريقنا اليها ،

مشكلات مزمنة وعقد أكثر أزمانا ورثناها من عصور التردي والتخلف ، ويبدو اننا سنورثها كاملة لابنائنا وابناء أبنائنا .

وتجزئة عاشت عمر النجوم كلما ظننا أنا تخطيناها ردتنا خاسرين .

أمة يتلو كل ابن من ابنائها صبحاً ومساء قانون الايمان بوحدتها ؛ واذ ننتقل الى العمل ينطوي كل منا - السياسي والمواطن العادي ، ذاك أكثر من هذا - على قطريته وأنانيته ، ويقضي جازماً ان الآخر هو المتآمر .

قل ، وأنت الآن في ذمة الرحمن الرحيم ، بأي ترياق نشفي هذا الداء ؟

بأي اكسير نعيد الحياة الى الحياة ؟

بأية نار الهية نذكو الجذوة الكامنة في أعماق الشعب لتستحيل ناراً تحرق الدخيل والرذيل ؟

قل :

يوم الانفصال (ولم يكن الأول ولا الأخير) ضمدت الجرح ، سددت الثغرة ، رتقت الفتق . وكنت حكيماً . ولكن أما آن لنا أن ننتقل من التسويات الى الحياة ؟

وكنت تعرف أن بعد اللقاء فراق ،

وتنتظر لقاء لا فراق بعده .

كلنا ننتظر .

والبعث فسحة انتظار ،

. . . وأمل

ويكفي جيل الأمانة أنه بعث الأمل .

وكان وبقي جيل الشهادة .

والشاهد يتوارى كي تكون ثمة شهادة ، يتوارى كي تكون رؤياه

* * *

.... وأقسمنا ألا يكون بعد الآن انفصام بين سورية والعروبة .

اذ وضعنا علم العروبة فوق الاعلام ، ورأيناه يرفرف ، ورأيناه الامصار والاقطار تأتي ، البعض اثر البعض ، وتشهد معنا ،

بهذا سجلنا في التاريخ وجودنا .

فالنار ، اذ تشتعل لاتنطفىء ،

والثورة ، اذ تبدأ ، تجد الثوار ،

تجدهم يوما .

أجل ، على صخرة صلبة وقفنا .

انهارت الأرض حولنا وبقيت الصخرة وبقينا واقفين ؛

ان أمتنا هي أمة الصمود ، اجتازت الانحطاط وبقيت حية ،

... ومرفوعة الرأس : الكل أو لاشيء .

حاصرها العدو ، حاصرنا ، كما المرض حاصر قلبك الكبير . الا أن في القلب شيئاً غير العضلات والاوردة ، روح القلب اذا شئت . وبقيت الروح فيك حية ، كما هي في هذه الأمة ،

والروح لا تموت .

وبعد فما الفرد في عمر الزمان ؟ ما الجيل في عمر الأمة ؟ المهم أن تعمل ، ولقد عملت ؛

ورأى الله أعمالك والمؤمنون ... وأنت الآن تقول : هاكم وزناتي : لم أدفنها في الأرض ، استثمرتها ، أتت أكلها ، صارت تراثاً ، والله وحده باق وأنتم زائلون .

لأنك لم تيأس .

وجيلنا جيل الأمل . فلم يكن العمر ، في أعيننا ، سراباً ، اذ رأيناه في الأماني والمرامي ، فهو بهجة وجود .

ولم تستسلم .

فقد رأيناك ، في الأيام الاخيرة ، كما في الاولى ، وراء مكتبك تسطر

الكلم الجميل ، وتنثره كي يكون وجودنا جميلا ،
وليكون البعث ما أردناه :
حواراً أكثر منه عقيدة ،
وانفتاحا على النبيل والعظيم ،
وحرية سينعم بها يوما شعبنا .
وكانت علامة حضورك ابتسامة ماتزال بيننا تشير اليك .
لم تنسك السفارات والوزارات انك وجدت كاتبا ، وان القول هو الانسان ،
واننا من أمة أوجدها الكلام ،
فكتبت ،
وجعلت من الأكبرين بين الكبار جزءاً من تراثنا .
مرة واحدة ، لدقائق ، رأيتك ضعيفا ،
كنت ضيفك في مدريد . وتشعر قبيل الفجر اني ساهر ، فتأتيني وتستلقي على السرير ، وتتنهد !
ـ قل ياصديق ، علام ؟ حتى متى ؟ الى متى ؟ قل ألا يكفي . . .
لم تكن اللحظات الوحيدة في حياتنا ، اذ تمنينا لو نسعد بنعمة النسيان .
الا أن جيلنا جيل اليقظة والقلق ،
. . . والسؤال
والقلق والسؤال وجه الوجود المتحفز .
ونتحدث . ونعيش فرحة اللقاء :
ـ عش لحظتك ،
الانسان في عمر الزمان لحظة ،
والثورة في عمر الامة لحظة
لحظة الترف في دنيا الشح .
. . . . ويودعني بعدها بقليل ؛
يود لو استبقاني بقربه دهراً .

كم تمنينا ، وتمنينا .

وكما بدأ العمر ياصديق ، يتوالى ويزول ؛ لقاء وفراق .

. . . يودعني : عيناه تلهثان ورائي . وأنا الهث وراء الطائرة ؛ ويبقى في ذاكرتي لهفة لقاء

وان الوجود الا فرحة لقاء .

...

أن تحمل موتك في جسدك ، تطوف العالم برفقته ، وتروضه وتكتب ، تلك كانت آيته .

ان ترى موتك ، سنوات عشراً ، يطوف حولك ، يغذ السير نحوك ؛ يناديك فتزيحه وتبدع تلك كانت آيته .

. . . . ومعركة الصمود .

كان الداء ينقض عليه ، يحاصره ، يسد عليه المنافذ فلا يشكو ، رغم الألم ، لا يتذمر ، رغم الاختناق ، بل تتجمع قوة الحياة في عينيه ، ويطوف علينا بناظرين في ابتسامتهما أسى عميق .

. . . . وينتظر

وإذا ينتصر يوسع مراميه ،

يضع مشروعاً جديداً لثقافة أخرى .

والعمر شروع في العمر ومشروع للاجيال .

تلك كانت رسالة البعث

. . . . والجيل :

ان تنتظر ،

وتؤمن بأن الحياة أقوى من الموت ،

وان الفرد زائل والشعب باق .

...

للقلب الكبير الحزن الكبير والفرح الكبير .

رأى ورأينا .

رأينا

الامانة تدفن في سيناء ،
والاخوة يأكل بعضهم البعض في لبنان ،
ومآسي شتى يادنيا المآسي .
ورأينا ،
مولد فلسطين ..
وبعث الفداء على أرض فلسطين ،
ونسينا العسر واليسر ، التعب والراحة ،
الالم واللذة . . .
وصلّينا
خبزنا أعطنا كفاف يومنا
وللعروبة الثروات ،
. . . . والجاه والعز والدلال .
رأيناها كما عهدناها :
أمة تشهد أن لا اله الا الله وتعبد الاصنام .
وصلينا :
ربنا وقنا شر الشرك ،
وأنت أرحم الراحمين ،
رأينا
أمة تحضن أبناءها ويطعنها الاصيل قبل الدخيل ،
وشعباً ينادي ولا مجيب .
رأينا وآمنا بالمعجزات ؛
وهتفنا مع شاعر العروبة :
أمة العرب لن تموت . . .
وسلمنا الامانة وصلينا
ربنا اغفر لنا
وأنت أرحم الراحمين

• • •

تؤكد الحياة ذاتها اذ تعاني الموت .

واذا تراه ، اذ تواجهه - في لحظات نادرة تواجهه - تختبر الروح في الجسد . في هذه اللحظات - فيها وحدها - يعرف الانسان بمعرفة مباشرة ، انه ليس جسداً وحسب ، ان ماهيته شيء آخر ، شيء ليس واقعة ولا مفهوماً ، فلا يمكن أن يتصور ، ولا أن يكون له اسم في أي لسان .

ذلك انه حيث تتكون الالسن .

ذلكم هو السر ،

سر الوجود ، يبدع ذاته باستمرار :

وجود الامم ،

كحدث الحياة ، كل مرة بلون ، كل مرة بنغم ، يتجدد دون انقطاع .

وجود الأمم ،

يكتبون هذا الوجود ، كل منهم على طريقته ،

ويمضون ، وتبقى الكتابة ،

تبقى أمانة

والوجود أمانة وكتاب مبين .

الاستاذ سعيد حورانية

٢٠/ ٥/ ٧٦

لم يكن سامي الدروبي مترجماً ممتازاً من الدرجة الاولى فحسب ، ولم يكن ذا ذوق رفيع في الاختيار ، واتقان اللغة التي يترجم عنها ، إلى جانب اتقانه اللغة الام فقط ، وانما كان إلى جانب ذلك انساناً عظيماً ، حي الضمير ، يحترم نفسه وقراءه . لم تكن تراجمه نقلاً حرفياً ، وانما كانت ابداعاً خالصاً ، وفهما عميقاً لروح الكاتب المؤلف ، ومحاولة مضنية لتطويع لغتنا العربية الغنية التي تصلبت شرايينها على أيدي جماعة من المترجمين المتخلفين أو التجار أو الجهلة أو سيئي النية . فهذا الرجل كان مؤسسة كاملة وحده ، وإن القيام بترجمة الاثار الكاملة الروائية لعبقري معقد مثل دوستوفسكي ، وانجاز ترجمة قسم من مؤلفات تولستوي ، إلى جانب عشرات من الكتب المتفرقة الهامة . . لعمل يعجز عنه فرد ، فكيف بمريض دائم ، يهدده قلبه في كل لحظة بخيانته ، ويرزأه القدر بأعز أحبابه وتلاحقه المصائب ملاحقة عنيدة ، ولكن قوة روحه الخارقة كانت تتغلب على كل شيء . . منذ زمن طويل لم نسمع في دنيانا العربية بمثل تفاني العلماء هذا . . ففي غرفة الاوكسجين كان يعمل ، واثناء الطعام كان يشك بكلمة ، فيقوم ليتحرى دقتها . وكان يقضي وراء الطاولة عشر ساعات . . يكتب ويملي ويراجع وعيناه الطيبتان تبرقان بحمى اصحاب الرسالات ، ولقد كان دوماً في صراع مع الزمن ، وكان يخشى أن يغلب ، وكانت صلابته الروحية أكبر من جسمه الضاوي ، وأكبر من شرطه البشري . . لقد كان يحترق . . ولكن يا لها من شعلة متوهجة تركها لنا هذا الرائد العذب . لقد أبى أن يموت إلا وهو على طاولة الكتابة . تركه الطبيب منذ دقائق ، واوى إلى حجرته ، وكذلك ابنته . . وبعد دقائق سمعت ابنته حركة فهرعت إلى حيث يعمل . . كان واقفاً يراجع معجماً . .

يا ابي أنت متعب استرح الآن !. إن كلمة تقلقني ، وأظن انني ترجمتها خطأ ، ساراجعها واعود للنوم ، اذهبي واستريحي .. وتذهب البنت ، ويأخذ الوالد كتابه إلى الطاولة ويجلس دقيقة .. دقيقتين .. ثم يحني رأسه ثم يهوي .. لقد انتهى سامي الدروبي .. بل لقد ابتدأ ! فامثاله يعيشون فينا وفي أجيالنا الفتية نسغا ودماً من العطاء والتفاني عصيين على الموت والفناء .

●

لكي تدرك أجيالنا الشابة ، المأثرة التي حققها سامي الدروبي ، والمدرسة التي تتلمذ عليها وسار بها أشواطاً إلى الامام ، وهي المدرسة التي صمدت في وجه الغوغائية ، والروح التجارية ، واللصوصية العلمية التي انتشرت منذ أوائل القرن حتى الآن .. كي تدرك تلك المأثرة يجب أن تعرف شيئاً عن قصة الترجمة الحزينة التي افسدت اجيالاً واجيالاً من القراء . ويؤسفنا جداً أن يكون بعض الشعراء والكتاب الموهوبين قد ساهموا بشكل أو بآخر في نشر مفهوم خاطىء ، أن لم نقل كلمة أخرى ، عن امانة الترجمة واهميتها ، وكيفية نقلها ، مما وضع الاسس لفهم قاصر امتد حتى ايامنا هذه .

مدرسة
سامي الدروبي
في الترجمة

رجاء النقاش

● الترجمة أساس كبير من اسس بناء حضارتنا الجديدة
● كان وحده مؤسسة كاملة من مؤسسات الترجمة في الوطن العربي
● المترجم لا ينبغي أن يكون أداة للنقل من لغة إلى لغة

سعدت سعادة غامرة عندما تلقيت الجزء الاول من الترجمة العربية الكاملة لاعمال الكاتب العالمي الكبير «ليون تولستوي» وقد قام بهذه الترجمة الاديب العربي الكبير المرحوم الدكتور سامي الدروبي . وكان سامي قد أتم هذه الترجمة قبل وفاته في أوائل سنة ١٩٧٦ إلا عدداً قليلاً من الصفحات قامت ابنته الآنسة «ليلى» بترجمتها ، وقد ظل سامي يعمل في هذه الترجمة حتى آخر يوم في حياته .

وهذه الاعمال الكاملة لتولستوي تثير في الذهن خواطر متعددة أهمها «موقفنا من الترجمة في مجتمعنا العربي» . إن الترجمة هي أساس كبير من أسس بناء حضارتنا الجديدة ، ومنذ اللحظة الاولى التي عاد فيها رفاعة الطهطاوي إلى مصر من بعثته إلى فرنسا في أوائل القرن الماضي وهو يعمل بهمة ونشاط في سبيل ترجمة الاعمال الفكرية الكبرى إلى اللغة العربية ، ذلك لأنه كان يدرك أن «الترجمة» هي المدخل الاساسي لتحقيق فكرته عن تنوير المجتمع العربي ، ونقله إلى عالم جديد من الحضارة العصرية التي تخلف عنها كثيراً ، وقد أنشأ «رفاعة الطهطاوي» مدرسة سماها مدرسة «الالسن» وجمع فيها عدداً من التلاميذ النابغين ، حتى يتمكن من توجيههم واستخدامهم في نقل التراث

العالمي إلى اللغة العربية . ومنذ ذلك الحين وحركة الترجمة إلى العربية تمضي في طريقها . . . مرة بجهود رسمية تقوم بها حكومة من الحكومات العربية ، ومرة أخرى بجهود فردية يقوم بها أفراد من الادباء والمفكرين .

الترجمة الكاملة

ولقد كان سامي الدروبي ـ رحمه الله ـ واحداً من اعلام المفكرين الذين آمنوا بدور الترجمة في بناء الحضارة العربية الجديدة ، وكان شديد الاقتناع بأننا في حاجة إلى مجهود كبير لكي نلاحق العصر الحديث في مستواه العقلي .

وكان هو وحده مؤسسة «كاملة من مؤسسات الترجمة في الوطن العربي ، فقدم أعمالاً كثيرة كان أبرزها الاعمال الكاملة لديستويفسكي . و «ثلاثية» الاديب الجزائري محمد ديب التي كانت مكتوبة بالفرنسية ، ثم هذا العمل الكبير الذي يظهر بعد وفاة سامي الدروبي ، وهو الترجمة الكاملة لاعمال تولستوي ،.ولقد كان سامي الدروبي كاتباً ومفكراً ، ولكنه آثر أن يعطي جهده الاكبر للترجمة تعبيراً عن فكرته عن حاجة الثقافة المعاصرة إلى قدر كبير جداً من الآثار العالمية المنقولة بدقة إلى اللغة العربية بلغة تمكنها من أن تكون جزءاً من المكتبة العربية ، وليست «نشازاً» لا يهضمه العقل العربي لسوء لغته ، وسوء اختياره ، وللسرعة وعدم الدقة في ترجمته ، والحقيقة أن سامي الدروبي قد وضع بأعماله الكبرى في الترجمة «مستوى حضارياً» راقياً يقف شامخاً أمام المستويات التجارية الاخرى التي انتشرت في الوطن العربي في مجال الترجمة ، وذلك بحثاً عن الربح السريع ، وقد انتشرت هذه المستويات التجارية على وجه الخصوص في بيروت خلال الخمسينات والستينات ، فكانت الترجمات ـ في كثير من الاحايين ـ تصدر ناقصة أو غامضة أو مشوهة . وكان اختيار الأعمال المترجمة يخضع دائماً لهدف الربح ، لا لهدف التثقيف ورفع المستوى الفكري ، وفتح الباب أمام العقل العربي حتى يتصل بحركة الثقافة العالمية اتصالاً دائماً . وللحق فإن الحركة التي مثلتها «بيروت» في الترجمة لم تخل مما هو نافع ومفيد ، ولكنها كانت على الاغلب حركة بعيدة عن العمق والاتقان والدقة ، رغم أنها كانت بالغة النشاط والقوة . . . أما في مصر فقد خفتت حركة الترجمة أو ارتبكت ، ولم

تعد تمثل تياراً فكرياً صحيحاً في الثقافة العربية المعاصرة ، كل ذلك رغم ما يقوم به بعض المفكرين من جهود فردية في هذا المجال ، ولقد كانت حركة الترجمة في مصر تمضي في الستينات على منهج محدد أثمر ثماراً ممتازة ، وفي هذه الفترة ظهرت سلسلة «روائع المسرح العالمي» العظيمة وظهر كتاب «سقوط الحضارة الرومانية» لجيبون وظهر كتاب «تاريخ الفن الاجتماعي لهاوزر» وظهرت أجزاءً عديدة من «قصة الحضارة» لديورانت وظهرت ترجمات ممتازة لمعظم أعمال الكاتب الفرنسي العالمي «مالرو» ، وظهرت ترجمات أخرى لاعمال عالمية بارزة عظيمة الشان والقيمة ، ثم اضطرب الطريق وغامت الرؤ ية أمام حركة الترجمة في مصر ، فلم يعد لها منهج ولم تعد تنتج أعمالاً هامة على أساس اختيار منهجي سليم إلا في النادر القليل يكون عندما يتصدى للترجمة كاتب ومفكر من طراز الدكتور فؤ اد زكريا ، الذي قام في الفترة الاخيرة بترجمة عدد من الكتب الهامة منها ترجمة جديدة لجمهورية أفلاطون .

هوجم طه حسين هجوماً عنيفاً لتبنية ترجمة الاعمال الكاملة لشكسبير عندما كان مسؤ لاً عن الادارة الثقافية للجامعة العربية ، فالفكرة هي أن الاعمال الكاملة لفنان كبير أو كاتب كبير أو مفكر كبير تحدث من الاثر - ما لا تحدثه الاعمال الفردية المتفرقة . إن «الاعمال الكاملة» تحدث «صدمة» فكرية وحضارية تؤ دي إلى درجة أعلى من اليقظة في التفكير والشعور . ولقد لقي الدكتور طه حسين هجوماً عنيفاً على تبنيه لترجمة الاعمال الكاملة لشكسبير ، وكانت حجج المهاجمين كثيرة وعجيبة من أمثال الادعاء بأن طه حسين كان يزيد تغريب الامة العربية من خلال الجامعة العربية على حساب التراث العربي الصافي الاصيل . . . وهي حجج في غاية السخف والتخلف ، ولكن طه حسين احتمى بعناده المعروف وصلابته المشهورة ولم يعبأ بالحملة عليه وواصل تبنيه للمشروع حتى استطاع أن يتم معظمه في حياته ، وهذا هو نفس ما تعرض له سامي الدروبي بعد اصداره للمجلدات الاولى من ديستويفسكي ، فقد صرخ بعض الصارخين بأن هذه الترجمة اساءة للعرب والحضارة العربية ، لأن ديستويفسكي وجودي غدمي لا يؤ من بالتقدم . وصمد سامي الدروبي واستمر في طريقة ، لا يعبأ بهذه الصرخات

غير الناضجة ، وذلك لا يمانه العميق بأن الوصاية على العقل العربي غير جائزة .

وإذا كان هناك ما لا يتلاءم مع شخصيتنا في هذه الاعمال ، فعلينا أن نرفضه نحن بأنفسنا ، لا أن يرفضه لنا مفكر أو أثنان ، ويظل العرب معتمدين على آرائهم راضين بأحكامهم المختلفة ، ويكون العقل العربي بذلك كالطفل الذي يعتمد في كل شيء على أبيه . . . ولا شك أن العقل العربي قد تجاوز ، أو آن له أن يتجاوز هذا الاعتماد الطفولي على عدد من مفكريه الذين يحددون له ما يصح وما لا يصح ويفرضون عليه وصاية دائمة وغير سليمة .

أدوات الترجمة الصحيحة

وأخيراً فإن سامي الدروبي في ترجماته يملك بدقة «أدوات» الترجمة الصحيحة ، فهو يعرف أسرار اللغة العربية ، ويعرف أسرار اللغة الفرنسية التي ينقل عنها ، ثم أنه لم «يجيء» إلى عالم الترجمة من باب العجز عن أداء أي دور فكري أو ثقافي آخر ، فهو مفكر وكاتب وأديب ، اختار ميدان الترجمة عن وعي وموقف نظري ورؤ ية حضارية واضحة .

وهذه كلها هي الاسس الصحيحة للترجمة كما نحتاج اليها في ثقافتنا العربية المعاصرة ، هذه هي «مدرسة سامي الدروبي في الترجمة» ، وهي المدرسة التي تقف نقيضاً لما يمكن أن نسميه «مدرسة بيروت» وهي المدرسة التي أقامت الترجمة - في معظم ما يصدر عنها - على التجارة والاثارة وعدم الاتقان .

وكم كنت أتمنى أن تقوم في سوريا أو في مصر أو في العراق أو في الخليج أو في أي مكان من الوطن العربي مؤ سسة قومية باسم «مؤ سسة سامي الدروبي للترجمة» ، وتكون مهمة هذه المؤ سسة هي ترجمة عيون الفكر العالمي بنفس الاسلوب وعلى نفس الاسس التي وضعها سامي الدروبي والتزم بها في كافة انجازاته العظيمة في ميدان الترجمة إلى العربية .

إنه اقتراح أرجو أن يجد من يستمع إليه وأرجو أن يأخذ طريقة إلى النور ، حتى يظل الباب الذي فتحه سامي الدروبي في الثقافة العربية

المعاصرة مفتوحاً نطل منه على الدنيا الواسعة بصورة سليمة لا ضباب فيها ولا غموض .

رجاء النقاش

تكريم الدكتور
سامي الدروبي
في الذكرى الثانية لوفاته
إحياء الفقيد في متابعة كفاحه واستكمال طريقه

اجتمع في المركز الثقافي العربي بحمص لفيف من رجالات الفكر والادب لاحياء الذكرى الثانية لوفاة فقيد الفكر والعروبة الدكتور سامي الدروبي . وكانت لجنة أحياء الذكرى قد قررت يوم الثلاثاء ٢٨ ـ ٢ ـ ١٩٧٨ موعداً للتكريم ومناسبة لتسمية قاعة المحاضرات في المركز الثقافي باسم الفقيد الدروبي . وما من شك في أن تكريم الدكتور سامي الدروبي تكريم للفكر نفسه ، ولكن المرء ما فتىء يدعو إلى تكريم يتجاوز حدود الكلمات ، ولعله يرى أن احياء الفقيد يكمن في بعث أفكاره واستكمال الطريق التي سار فيها .

لقد تعرف مفكرو الوطن العربي على الفيلسوف هنري برغسون عن طريق الدكتور سامي الدروبي ، كما تعرفوا عن طريقه على أعمدة الادب الروسي ، وبخاصة دوستوفسكي وتولستوي . ولن نأتي بجديد إذا قلنا أن عمل سامي الدروبي في الترجمة هو المدرسة الحقيقية لنقل الفكر الاجنبي إلى اللغة العربية . فمنذ سنوات طويلة خاطب الدكتور طه حسين الفقيد الدروبي بما معناه أنه لم يقرأ في حياته ، أية ترجمة ، قديمة كانت أو حديثة ، أكثر دقة واتقاناً من ترجمات الدروبي . وليس هناك شك في أن الاعمال التي ترجمها عجزت عنها مؤسسات كبيرة ، مما يشير إلى أن هذا الرجل يملك من الصفات ما يجعله أهلاً للتكريم ، فقد ملك اللغة العربية والفرنسية وملك معها الصبر والدقة ، فكان يدرس فكر الاديب والفيلسوف قبل أن يترجم كتابه ، كي يصل إلى جوهر تفكيره وخطة حياته وطرائق التأليف عنده . ولعل تصديه لترجمة مؤلفاته هنري برغسون كاف لمعرفة بعض الصعوبات التي

تجاوزها الفقيد الدروبي حين ترجم المؤلفات الفلسفية لبرغسون المعروف بأسلوبه الملتوي المتلون ذي الفكر الفلسفي الدقيق . ويصدق هنا ما قاله الاستاذ حافظ الجمالي عن سامي الدروبي : «إن من يقرؤك يا سامي يظن أن ترجمتك هي الاصل وأن الاصل هو الترجمة» .

بدأ برنامج التكريم بكلمة الاستاذ علي عقلة عرسان ، التي أعلن فيها أن الكتاب لم يحضروا إلى هذه القاعة لبكاء الدروبي ، وإنما حضروا لاسترجاع معاناته ومتابعة رسالته . واضاف قائلاً أن العمل هو الحياة وأن قيمة العمل هي الباقية ، ولذلك فإن تكريم الدروبي لا يكون بغير احياء مدرسته في الترجمة ، كأن نعلن عن جائزة باسمه تعطى للمترجمين الذين يقدمون اعمالاً متميزة في هذا الحقل . وقد أبان الاستاذ عرسان عن أن سامي الدروبي كان يضع قبل وفاته خطة لترجمة الادب الروسي كله إلى اللغة العربية . ولا يدري الاستاذ علي لماذا يبحث عن سامي الدروبي حين يقرأ دوستوفيسكي ، ولماذا يبحث عن ديستويفسكي في سامي الدروبي ؟ ويروح يتساءل عن مقدرة الرجل على الاحتمال والصبر والمتابعة ، ويشكر له عمله في تعميق دور الفكر في الادب والحياة الاجتماعية .

وقف الاستاذ حافظ الجمالي، صديق الفقيد وقريبه في الوقت نفسه، فشكر للمحدثين تجديدهم لظاهرة التكريم التي عرفت عند القدماء ، ثم أخذ يسترجع ذكرياته الاولى عن سامي الدروبي حين بدأا معاً في عام ١٩٤١ يترجمان كتاباً بعنوان «ما بين التربية وعلم النفس» وقد ذكر أن حياة الدروبي كانت مليئة بالعلل ، إذ كان يشكو دوماً من أوجاع مختلفة ، وعلى الرغم من ذلك فقد ترك للمكتبة العربية نحوا من ثمانين كتاباً ، ولو خلت حياته من المرض لا نتج عدداً مماثلاً من الكتب . إن سامي الدروبي ، في رأي الاستاذ الجمالي ، رائد في العمل النضالي ، ليس لأنه من الرعيل الاول من البعثيين، ولكن لأنه مناضل ذو طريقة خاصة في النضال ، بعيدة عن المظاهرات والخطابة ، أن طريقته في النضال هي اغناء الحياة العربية عن طريق اشاعة الترجمات ، وهو يقصد من ذلك إلى تثقيف العمل السياسي بحيث تصبح السياسة مثقفة لا الثقافة مسيسة .

لقد وقف الاستاذ يحيى الترجمان يحدث الحاضرين عن مرحلة الشباب الاول في عمر سامي الدروبي، أيام كان تلميذاً في تجهيز حمص،وفي دار المعلمين العليا بدمشق . فذكر هدوء الفقيد ورصانته وصفاء نفسه وبعده عن المنازعات وطيش الشباب ، وحبه للعربية ، ومشاركته في العمل الوطني أيام الاحتلال الفرنسي لسورية. ثم راح الاستاذ الترجمان يذكر أمثلة من الذاكره على تواضع الفقيد الدروبي ، وعمله ، ونزعة حب الحرية في نفسه .

ثم وقفت الدكتورة نجاح العطار ، وزيرة الثقافة ، تخاطب سامي الدروبي في شخص الحاضرين ، فأعلنت أنه لم يمت من انسداد في شريان القلب ، لأنه مليء بحب الانسان العربي . وأضافت أن الدروبي في العبقرية سرها المرصود ، وقد بقيت ملحمته بغير ختام ، وإذا أردنا تكريمه فلن يكون ذلك بالكلمات والخطب وحدها . كان الفقيد يعرف أن اللغة العربية لساننا ، وأن القومية رائدنا ، وقد كان وفاؤه للرئيس الراحل جمال عبد الناصر وفاء لكل الشمائل العربية الفذة ، وكان حبه للرئيس حافظ الاسد متابعة للطريق التي نهجها من قبل .

ذكر الرفيق عبد الله الاحمد عضو القيادة القطرية ، في كلمته بأن المرء يتساءل عن الدرجة التي يبقى فيها بعض الاشخاص ملكاً لاحزابهم ، وعن المدى الذي يحق للاحزاب أن تفتخر بأعضائها الذين يكتسبون صفة عالمية ؟ أن سامي الدروبي هو الانسان الذي عرف قدر أمته فأعطاها ، وعرف انتماءه الثوري فأخلص له ، ومن هنا فقد خسر الوطن فيه مناضلاً ومفكراً وانساناً ومواطناً صالحاً

كانت كلمة الختام للسيدة احسان بيات ، زوج الفقيد سامي الدروبي ، التي وقفت تشكر الخطباء والحاضرين بلهجة ملؤها الصدق ، وباسلوب بليغ مؤثر . كانت كلماتها ذوب قلب كسير فقد في الزوج الاهل والصديق والابن ، وكانت أكثر بلاغة حين قالت للحاضرين انها لن تتحدث عن زوجها ، بل ستتركه يتحدث بنفسه اليهم وكانت قد اعدت شريطاً منقولاً عن مقابلة مع سامي الدروبي كان اجراها معه تلفزيون القاهرة وما أن بدا صوت المرحوم يدوي في القاعة بلغته الجزلة ، وتعبيراته الواضحة ، وحديثه

عن أصول الترجمة من لغة إلى لغة ، حتى وجم الحاضرون ولم يعد أحد يدري هل الزوج أكثر بلاغة من الزوجة ، أو الزوجة أكثر بلاغة من زوجها ؟

لقد اختتم الحفل بازاحة الستار عن اللوحة الرخامية التي تعلن عن تسمية قاعة المحاضرات بالمركز الثقافي قاعة سامي الدروبي . وقد قامت وزيرة الثقافة ، الدكتورة نجاح العطار ، بازاحة الستار معلنة اختتام حفل احياء الذكرى الثانية .

سمر روحي الفيصل

كلمة الدكتورة نجاح العطار

في حفلة تسمية قاعة المحاضرات في المركز الثقافي العربي في حمص باسم المرحوم الدكتور سامي الدروبي .

«وحده لا يستشعر العذاب
ذاك الذي جرح في المعركة»
والمعارك أنواع ،
أكرمها ، أغلاها ، المعركة على جبهة الفكر
تلك التي نحن جنودها . .
ونحن الذين ، من مزق الأكباد ، نشعل نيرانها ،
الزيت ، تبارك ، دمنا ، والنور ضوء عيوننا ،
ثم لا نكف ، وفي الرمق بقية ،
ولا ننثني وفي النفس قدرة على عطاء
فاذا خان الجسد ،
أو خان العمر ،
وخبت شعلة الجانب الأيسر ،
وتوقف النبض في الشرايين
سقطنا مقاتلين شهداء ،
وتركنا للرفقة من بعدنا أن يواصلوا المشوار ،
هكذا ، سامي الدروبي ، في رحلة العمر ، ورحلة الحرف ، سقط شهيدا .

قل عانق النجم ، في توق الانخطاف الى الملأ الأعلى ، وتفيأ سدرة المنتهى في الظمأ الى الحقيقة التي هي أعلى من القمر . . ورحل قابضاً على الشمس التي سقانا من أشعتها رحيقاً ، في بيان معجز ، قد نستطيع وصفه وتمجيده ، والكلام عليه الى آخر الدهر ، لكننا لن نستطيع أبدا الاتيان بمثله ، لأنه نسيج وحده ، ولأنه في العبقرية سرها المرصود ، الذي لا يفتح بابه الا لمن أوتي الحكمة ، أو قبس من وادي عبقر جمرة تشعل الحرائق المقدسة في مواقد الابداع .

رحل قلت ؟ ارتفع ، ويالجناحي النسر حين المدى غايتهما ، والأعالي ملعبهما ، وحين القلب يقصر عن همة النفس ، فيترامى الشوط شوقاً الى الهدف ، ويكبو الفرس بفارسه ، وتصخب الدنيا بمعازف الملحمة التي ظلت بغير ختام .

ملحمته ، هو ، ظلت بغير ختام ، فدنان الوعود انغلقت على نفسها ، والماء الذي كان مقدرا له ان يتحول في معجزة البيان الى رحيق ، غاض ينبوعه ، والعرس الأدبي ما زال ينتظر ضجة الفرحة الكبرى .

لقد أجمع الأطباء أنه مات من علة في القلب . لا ، أيها السادة ، كما هتف شاعر يوماً ، لم يمت من علة في القلب ، ولا من انسداد شريان ، بل مات من حب الانسانية الكبيرة ، هذا الذي ملك عليه نفسه ، وأوهى قلبه ، في كفاح دام طويلاً ، عدته فيه كانت يراعته تارة ، وأعصابه طوراً ، وكيانه في كل حين .

ميزة سامي الدروبي الأولى أنه كان إنسانا بكل ذرة في وجوده ،

وكان الانسان فيه نبيلاً نبل عينيه الزرقاوين .

وكان مناضلاً ، يعطي النضال بسخاء ولا يسأل . . شأنه في ذلك شأن النهر الذي يفيض الخير على ضفتيه بغير منة . .

وكان هذا الانسان محدداً غير مجرد . .

وكانت أهدافه محددة غير مجردة ،

فهو من جيل نادى أمته الىٰ البعث ، لأنه سبيلها الى النهوض من رقدة العدم .

وهو من جيل أيقظ فكرة الوحدة العربية من بطون الكتب لتكون واقعاً

في الناس ،
وهو من الثوار الذين غذوا الثورة الآتية في موكب الأيام ،
ومن الذين استشرفوها ، وأطلوا عليها من فجر هذا القرن . .
ومن الذين أمدوها بالفكر وقوداً وبالعمل زاداً ، وحين انفجرت كان جندياً مخلصاً من جنود المخلصين ، وفي ساحها بقي إلى أن تخطفه الردى . .

فلما ارتحل ترك القضية أمانة في أعناقنا ،
تركها وصية للعمل لا للزينة ،
وتركها وثيقة نضال لا حلية تباه ،
وتركها واقعة تكريم ، بمثلها نكرمه ، لا بالكلمات وحدها ، ولا بالخطب وحدها أيضاً .
وفي هذه الايام التي يعربد فيها الشر من حولنا ، وتنحط الهمم في سوق التخاذل ، ويتلفت النيل العظيم الينا من شكوى واستغاثة ، يصبح النضال في سبيل القيم القومية والانسانية التي آمن بها سامي الدروبي أفضل طريقة لتكريمه ، وأبلغ مرثاة في تخليده ، وأروع قصيدة نعدد بها مآثره ولا نقتصد .
كان ، رحمه الله ، يعرف أن العروبة لساننا ووجهنا وضميرنا
وأن الوحدة العربية جامعتنا وسورنا
وأن عبد الناصر ، ذلك الزعيم الذي كللت الشمس هامته ، قائد أمتنا الفذ في معركة العروبة ضد أعدائها ، ولهذا كان وفاؤه له وفاء لكل الشيم العربية الأصيلة التي مثلها ،
وعندما سقطت الوحدة الاولى بين سورية ومصر ، بكى سامي الدروبي من غضب واستنكار ،
وعندما قدم بعد ذلك أوراق اعتماده الى الرئيس عبد الناصر ، كممثل لسورية في مصر ، ترجم دموعه كلمات لا أصدق ولا أغلى ، هي في البلاغة سحر ، وفي التعبير عن الذات نجوى قلب ، أوجعته نكسة الوحدة التي كانت سببا في بلواه ، واعتبر نفسه ، خارج شكليات الأمور ، مواطنا عربيا مصريا بقدر ما هو مواطن عربي سوري .

فمصر وسورية ، بحكم الأخوة والنضال والمواجهة ، قطر واحد ولن تفرق بينهما حدود أو مراسيم . .

أيها الفقيد الغالي .

أيها الثاوي على الحب والارض . .

كتابك بيننا ما زال منشور الصفحات ، وسيبقى ، لأنك أنت فيه ، بكل مافي معانيك الأدبية والقومية والانسانية من عظمة وجلال . .

نم قرير العين . .

فأنت في الصديقين ، وأنت في الخالدين .

كلمة الاستاذ يحيى الترجمان

صديق الدكتور سامي

أيها الحفل الكريم

لعل من أشق الأمور على المرء أن يتحدث ، بكامل قدرته ، عن رفيق صباح وقد تعجله القدر وسرقه الموت من صف الطليعة الفكرية والقومية .

وليس مايسعف مثلي في الحديث عن سامي الدروبي سوى دواعي قول الحق ومقتضى التمسك بالمثل العليا والابقاء على رسالة روادها ليظلوا القدوة والشعلة الدائمة التي تنير الطريق للأجيال القادمة .

من هذا المنطلق استمد قدرة التغلب على ماشق من الأمور وشجاعة الحديث عن سامي .

إني لن أتحدث عن سامي الدروبي الدكتور ، عن سامي الدروبي الفيلسوف ، عن سامي الدروبي الأديب الكبير ، عن سامي الدروبي السياسي الحكيم ، عن سامي الدروبي العربي الوحدوي الأصيل ورجل العقيدة الثابتة البعيدة عن الهوى والغرض المنزهة عن المزايدة والمرض .

لن أتحدث عن سامي الدروبي حين غدا وضمير الأمة العربية يعيش في أعماق كل خلية من خلايا جسمه . فقد يكون الحديث في كل ما ذكرت من اختصاص كثيرين غيري اولى به مني وأحق ، ولذا فسوف أتحدث فقط عن سامي الدروبي زميل الصبا والدراسة رفيق درب عهد الشباب والأمل فأقول : على مقعد الدراسة تم اللقاء بسامي فترة التجهيز كلها وفترة دار المعلمين العليا . تلقينا العلم معاً في قاعة واحدة طلابها دون الثلاثين تأثروا وتفاعلوا جميعاً بعطاء نفس المدرسين حيث كانت المدرسة وحيدة ولكل صف شعبة واحدة في حمص ودمشق وبالتالي فقد تعلمنا وتخرجنا معاً متأثرين بتثقيف وتهذيب واحد وحدّ بين عقولنا وقلوبنا إضافة الى مافعلته حياة الدراسة

الداخلية وما فرضته الغربة من لقاء كامل ومستمر فترة دراسة الثاني عشر ودار المعلمين بدمشق حيث كانت الشعبة فيهما وحيدة بالنسبة للقطر بكامله .

إن هذه الظروف الدراسية وامتدادها فعلت فعلها في كشف مافطرت عليه نفس كل منا وأتاحت تكوين زمر صغيرة من رفاق الصف الواحد لايتجاوز أفرادها أصابع اليد عدّا يلتقون على مائدة الطعام ويتبادلون انتاجهم الدراسي ويتجاذبون أطراف الحديث عن آمالهم وأمانيهم ويسرون لبعضهم بما يعتقدونه سراً فلا يبقى لواحد منهم تجاه الآخرين أي ظلام في ساحة نفسه كلها وغدت النفوس متقابلة ترى بعضها دون ستر أو حجاب مشدودة برباط الحب البريء والعاطفة الصادقة والاخلاص اللا متناهي .

فكيف كانت نفس سامي كما رأيتها ورآها معي بقية الرفاق ممن وافته المنية وممن ينتظر ؟؟

إليكم أيها السيدات والسادة القليل القليل من عظيم ماكان عليه سامي وما اتصف به وتميز فالمقام لايسمح بذكر الكثير .

تميز سامي بالهدوء والرصانة وصفاء النفس والبعد عن الانفعال والمنازعة ومجانبة طيش الشباب .

أحب جميع رفاقه وأحبوه . أحب دوام الألفة بينهم جميعاً وكره النزاع والشقاق فلم يحدث أن تشاجر أو تنازع مع أحد مدة الحياة الطويلة التي عشناها معاً .

حدث مرة نزاع بين طالبين من رفاقنا في الثاني عشر الأول دمشقي والثاني من دير الزور فانتصر للأول بعض الدمشقيين بينما ناصر الحمصيون الطالب الآخر واشتد اللكم والضرب في قاعة المهجع حيث نبيت جميعاً وكان سامي وحده غاضباً من هذا النزاع فما أن تدخل الموجهون وحسموا النزاع حتى بادر بلوم الطرفين وانتقد بشدة موقف المتحمسين وراح يضفي من هدوئه ورصانته وصفاء نفسه ورقة حديثه ماهدأ ثورة النفوس وأخجل حتى المتحمسين .

أحب سامي اللغة العربية وافتتن بسحر الكلمة وجزالة الاسلوب منذ كان في المرحلة المعادلة للاعدادية الآن ولا جدال فيما كان لهذا الحب من أثر كبير على تعلقه بأمته وبتراثها الذي غدا مقدساً بالنسبة اليه .

وأذكر مرة أننا كنا نتلو مقطعاً من مقال لطه حسين فأعجبه القول

وأسكره جمال التعبير فقال لي حرفياً «آه يايحيى ليتني كطه حسين حتى بعماه فهو يرى مالايراه المبصرون» إنه كلام يبلغ بالنسبة لطالب في الصف التاسع وفهم عميق لمعاني ماقرىء وحب كبير لهذه اللغة الجميلة والحبيبة .

حملتني الذكرى ، منذ مدة يسيرة ، على استعادة رؤية خطه وتوقيعه على ظهر صورة له أهداني إياها عام ١٩٣٨ حين كنا نتبادل الصور لتبقى تذكرة للماضي الجميل . وإليكم مادونه آنذاك : «أخي يحيى : أفيكون الدهر ليناً فيذكرنا عهد هذا الشباب المرح بنفس تعمرها الحيوية ، ويغمرها السرور ؟ لو أنه منصف لفعل ولكن ما أبعده عن الانصاف» . وأذكر أني أجبته بما يفرض بذل الجهد لجعله ليناً لاينسينا عهد الشباب المرح . فردّ علي بصورتين يقول في ظهر الاولى «بارك الله بهذه الحيوية المتدفقة التي تتمخض عن مستقبل لك باسم . هذه الحيوية التي تأبى إلا أن ترغم الدهر فلا ينال منها» .

ويقول في ظهر الثانية : «بل سنحمله على أن يفعل حلاً» .

فبربكم أبهذا المستوى من الكلام ، صيغة ومضموناً ، يتخاطب طلاب الحادي عشر الآن ؟! .

ذلك شاهد من شواهد عديدة يظهر بوضوح اتساع أفق سامي منذ كان شاباً وقدرته على الأداء الجميل والتعبير الغني وعزمه على العطاء السخي فكان صادقاً فيما وعد ، وأعطى مالم يعطه سواه من رفاقه .

عاش سامي الشاب مع جيله مرحلة تاريخية كانت فيها التجهيز ومعاهد الدراسة مصدراً رئيسياً من مصادر تحريك الضمير القومي والوطني ومهاجمة المستعمر وفضح تحركاته وأساليبه ؛ وغدت مهمة تحرير الوطن ، الصغير والكبير ، من الاستعمار الغاشم رسالة الجيل الذي آمن آنذاك بالعمل طريقاً لتحقيق رسالته التي تحطِّم حدود التمييز بين الشعور الوطني و الشعور القومي ، فهما في وجدانه شعور واحد . موت فيصل الأول يشيع الحزن والألم في سوريا ووفاة الملك غازي تثير التظاهر والغضب ومهاجمة السفارة الانكليزية . كما أن ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١ تجعل من سوريا مرجلاً يغلي حقداً على الاستعمار ويدفع بنا ، سامي وبعض رفاقه ، مع استاذين من أساتذتنا الى تكون نواة ثورية مثقفة أسميناها آنذاك باسم نصرة

العراق تولت جمع التبرعات وقامت بحملة الاعداد للتطوع في ثورة العراق على أنها ثورة التحرر العربي . واتخذ سامي من مهنة التعليم سبيلاً لغرس روح النضال في أبناء شعبنا من أجل التحرر والوحدة . وتميز بالتواضع الجم فهو غير مباه رفاقه بما حباه الله ، لا يظهر تفوقه تعمداً ولا يرغب في الانتصار على الضعيف أو يزدريه بل يعمل على مساعدته ليرفع من قدرته كي يسير بنجاح .

آمن بوجود الخير في كل النفوس ووجوب التعاون للافادة منه حيث يكون .

لم تنل المناصب من نفسه مايبعدها عن تواضعها الفطري وينسيها حب الأصدقاء وزمالة الشباب .

وأذكر على سبيل المثال ، لا الحصر ، الحادثة التالية :

دخل عليه حين كان وزيراً للتربية ، أحد رفاقنا في الدراسة وقال له :

صباح الخير سامي بك . فدهش الوزير سامي وحملق بصاحبه قائلاً : ماذا تقول ؟ هل أسأت اليك بشيء يا فلان لتناديني كذلك ؟

خجل الرفيق الزميل وقال : بم أدعوك والكل هنا في دمشق بيك ؟!

فأجابه أنت فلان وأنا سامي فقل إن شئت أبا مصباح أيجوز أن يميز بين اسمينا نحن أي لقب ؟!

وأجلسه إلى جانبه وحدثه حديث المشتاق للعهد القديم وسأله عن جميع الرفاق القدامى كما أوصاه أن يبلغ أحدهم رجاءه إليه بالتزام البعد عن مواقع الشبهات كي لا تسيء اليه الشائعات المغرضة مؤكداً له بأن السوء لن ينال منه ولو أدى الأمر إلى ترك الوزارة بل حتى الى سجن الوزير نفسه لقناعة بالتجني والظلم .

فبربكم جيعاً كم هم الوزراء أمثاله ؟!

إن عظمة سامي لم تكمن أبداً فيا وصل اليه من مناصب رفيعة فكم وصل اليها من هو دونه بكثير وكم قصر عنها من هو أهلها ؟ كما لا تكمن أيضاً بغيض علمه وترجمته لأوابد المؤلفات . إن عظمته تكمن في صفاء نفسه وقوة شكيمته في صدق إخلاصه وعظيم تواضعه في نقاء وحدويته وبالغ حبه لأمته .

رحمك الله أبا مصباح فقد كنت بحق أبا المصابيح جميعاً وستبقى قاعتك في هذا المركز الثقافي منارة تضيء الطريق للعاملين في الحقل الثقافي والقومي وندوة تجمع روادها على الاخلاص والوفاء والمحبة والتواضع وخدمة وحدة الأمة العربية والله أسأل أن يجعل من ذلك خير عزاء لذويك ورفاقك وبني قومك جميعاً .

والسلام عليكم .

يحيى الترجمان

في ذكرى المربي الكبير

سامي الدروبي

● محمود أبو خضور

كان ذلك في العام ١٩٦١ . . وكان الفحص الشفهي في كلية الآداب بجامعة دمشق لايجتازه الا طويل العمر ! كانت المادة مادة علم النفس التجريبي وكان الأستاذ الفاحص الدكتور سامي الدروبي الذي سيظل في قلب كل واحد منا نحن تلاميذه .

دخلت الى المخبر . . وكان يحب أن يجلس دائماً في مخبر التربية . وبعد أن أشار الي بالجلوس . . سألني : ماذا قرأت ؟

أجبت : المنهاج !

تساءل : المنهاج فقط ؟

أجبت : وقليلاً من الروايات والدراسات .

قال : أي الدراسات ؟

قلت : دراسة حول العواطف الغامضة . .

قال : وطبيعي أن هذه الدراسات أشارت الى أن الموت والحب يصنفان ضمن هذه العواطف .

قلت : نعم ولكن تقسيمها يتدرج تحت مقولتين : عواطف فاعلة وعواطف منفعلة !

قال : دعك من هذا انه تصنيف سارتر . . أريد رأيك انت .

لقد كان مربياً عظيماً يطالبنا دائماً بتجديد رأينا . . وصمت ووقف على سبب صمتي ثم تجاوز ذلك متسائلاً : هل الحب أن نتطلع في وجوه بعضنا بعضاً أم نتطلع معاً الى وجهة واحدة .

قلت : أن نتطلع معاً الى جهة واحدة !

فبدت علائم بشر خفيفة على وجهه ثم سألني :

ـ أين قرأت هذه الجملة ؟ (الى هذا الحد كان دقيقاً)

قلت : لاأذكر بالضبط أفي «أرض البشر» أم في «بريد الجنوب» ؟

قال : على أي حال هذا يكفي . ولكنني أريد أن أسألك سؤالاً واحداً : من قال «إن موتي يهمني أنا» .

قلت : غابريل مارسيل !

قال : هل هناك شيء آخر حول الحب ؟ فلزمت الصمت ظناً مني أن هذا خارج عن موضوع الفحص . .

ومرت لحظة قطعها بسؤال :

ـ هل نجحت في فحص الفلسفة ؟

قلت : نعم .

قال : بماذا تترجم كلمة Predetermine في مذهب ليبنتز ؟

قلت : الأستاذ يوسف كرم يترجمها بتناسق سابق ، والدكتور بديع الكسم يترجمها بتناسق أزلي . والدكتور عادل عوا يترجمها بانسجام سابق .

قال : وأنت أريد رأيك .

ولزمت الصمت ظناً مني أنني أقف موقف المتأدب ولم يكن يخطر ببالي أنه رحمه الله سوف يؤاخذني على موقفي هذا .

وبعد لحظة صمت قصيرة قال لي : تحمل المادة . . عندما سألتك عن الحب لم توضح لي ارتباط الحب بالموت أو الزمن وعندما قلت لك دعك من تصنيف سارتر للعواطف وافقتني ولم تعارضني . . أو على الأقل لم تقف الموقف العلمي . معك ثلاثة أشهر في الصيف تراجع المادة من جديد . لاأنكر عليك بعض قراءاتك . . ولكن أفضل أن تستثمر هذه القراءات بشكل أجود . . . رتب نقاط المناقشة في ذهنك بشكل أوضح وجرب الاستفادة من قراءاتك وآراء الآخرين عند عرضها . . ثم حاول أن يكون لك رأي . . . تمثل . . . وناقش . . دافع عن آرائك الشخصية .

وخرجت من المخبر وأنا محبط . . وبعد التخرج فقط أدركت عمق

موقف أستاذي المرحوم الدروبي وحرصه الشديد على أن نتمثل جيداً ما نقرأ . . وما زلت حتى الآن . . أذكر جيداً غيرة وحرص استاذنا على اللغة فقد صادف ذات يوم أن طلب من احدى الزميلات قراءة بحث تبرعت باعداده وبعد فترة وجيزة من إلقائها للبحث طلب منها باشارة من يده الكف عن متابعة القراءة والعودة إلى مقعدها وقال :

ان من يود أن ينقل أفكاره إلى الآخرين فليعمل كل جهده على أن تكون لغته صحيحة ومترابطة . . . ان اللغة هي مركب المعاني والأفكار . . . لتكن لغتكم ممتازة . .

رحم الله استاذنا الكبير الدكتور سامي الدروبي لقد زرع فينا الحب . . . وحب المعرفة واحترام الرأي الآخر .

الوفاء للأدب و للفنان

بقلم قمر كيلاني
جريدة البعث
٢٨/ ١/ ٧٩

عرفتها في مراحل الطفولة والدراسة الثانوية . . احسان التي أصبحت فيما بعد زوجة أستاذنا المرحوم سامي الدروبي .

وعرفنا الدكتور سامي الدروبي في الجامعة . . . مرشداً . . وصديقاً . . ومعلماً للقومية العربية من خلال البعث العظيم أكثر مما عرفناه استاذاً . وكان بوجهه السمح المليء بالرضا والتفاؤل يستقبلنا ويتقبل منا كل مناقشاتنا الحادة حول كل الأشياء بدءاً من مقرراتنا ومناهجنا الجامعية وانتهاء بقضايا الفلسفة وعلم النفس .

واقترن الاسمان عندي : احسان . . وسامي

وأصبحت قليلاً ما أراهما لانشغالهما بمناصب قومية وديبلوماسية وابتعادهما عن أرض الوطن . . . لكني كنت أتتبع باهتمام كل ما يكتبه أو يترجمه الدكتور سامي . وتصاعدت مترجماته واتسعت حتى غدت فناً قائماً بذاته في الترجمة وعلامة على سامي الدروبي الفنان قبل سامي الدروبي المثقف وحامل الدكتوراه . . وعرفنا . أكثر ماعرفنا . من خلال هذه المترجمات دويستوفسكي وتولستوي وكان آخرها الثلاثية لتولستوي : الطفولة ، المراهقة ، الشباب ، أضاف سامي الدروبي الى الكتب التي ترجمها من ابداعه . . من احساسه الغني بروح من يترجم له . . . من امتلاكه للغة العربية في نصاعتها وبيانها وسحرها وليونتها . وفوق كل ذلك جعل الترجمة بحد ذاتها لوناً من ألوان الابداع الأدبي .

وكان موته فاجعة وخسارة على كل المستويات . .

ويوم بحث اصدار ملف خاص أو عدد خاص من احدى المجلتين الادبيتين في القطر (المعرفة والموقف الأدبي) قالت لي احسان :

ـ ألاتكتبين عن سامي ؟

قلت : طبعاً ، . . أكتب .

وعدت اليها بمقال بعنوان «حزمة ضوء عن سامي الدروبي» وقلت :

ـ الحقيقة انني كنت أريد أن أكتب عنك أنت . . لاعن زوجك . عن (المرأة في حياة الدروبي) فلولاك . . ولولا حنانك وحبك ووفائك النادر له ولفنه لما ترك لنا هذه الثروة الضخمة التي تفوق ثمانين مؤلفاً .

ابتسمت بحزن دامع وقالت :

ـ أفضل أن يظل ما كتبته عن سامي هو الذي ينشر .

وأضافت وفاء . . . على وفاء .

وأواخر العام الماضي عندما نال المرحوم سامي الدربي جائزة لوتس العالمية من اتحاد كتاب افريقيا وآسيا احسست أن ساحة الوفاء اتسعت . . تعاظمت . واننا نحن الكتاب العرب جميعاً من خلال اتحادنا العام واتحاد كتاب افريقيا وآسيا قد عبرنا عن وفائنا لعلم من أعلام الفكر والأدب والترجمة في بلادنا . .

ورأيت الدموع . . نفس الدموع في عيني احسان .

احسان الوفاء للأدب . . وللفنان .

لكن دموعاً أخرى في عيني احسان تجول الآن قبل أن تأتي الذكرى الثالثة لوفاة زوجها (شهر شباط) رغم الجائزة التي تتوج انتاجه الكبير . .

ليت أنه عاش ليرى فجراً جديداً يشرق على الأمة العربية في الوحدة بين سوريا والعراق . . . . ليت أن حلماً حاضراً يتحقق قد مسح عن قلبه آلام فجيعة وحدوية قضت . . ليت أنه يشهد فرح العراقيين ـ تماماً كالسوريين ـ في أنه نال تقديراً عالمياً . ليت همومه وآلامه التي حملها نحو الوطن الكبير قد رآاها انتصارات في سورية الصمود . . . وطنه الصغير .

وها أنا أقف للمرة الثالثة وقفة الوفاء . . . .
ولكن . . هل تراني وفية أكثر لاحسان ؟
احسان التي كانت وما تزال نبع الحب والوفاء والحنان . . .
للأدب والفن من خلال زوجها الفنان . . . .
للعرب والانسان عبر زوجها العربي المخلص والانساني الانسان ؟

في ذكرى سامي الدروبي

بقلم علي عبد الكريم

جريدة تشرين

١٢/ ٢/ ٧٩

في ذكرى سامي الدروبي أمام الأصناف الفهلوية من جماعة الكتاب والمترجمين وذوي الباع الاستثنائي في الاعداد والفهرسة . لايسعنا الا أن نحتفي طويلاً بأية طفرة تشذ عن قاعدة الاستهتار السائد ، وتتعامل مع الكلمة بمعايير لاتكون الكلمة فيها طرفاً مستباحاً .

سامي الدروبي أحد القلائل الذين عاشوا حياتهم أصدقاء لطموحهم وهمومهم ، وبالتالي كانوا أصدقاء للكلمة بل وصلوا معها الى أكثر من حدود الصداقة ، وقد كان تعاملهم معها عشقاً وتلمذة وصداقة .

ترجم عدداً كبيراً من روائع الأدب والفكر العالميين غير أنه كان حاضراً في كل هذه الروائع وكأنه الكاتب ذاته الذي عاش أحداث وحرارة الموضوع .
بينما نموت مرتين ونحن نقرأ لكثيرين ممن يرون أنفسهم أكبر من الدروبي سواء في حقول الترجمة الابداعية أو الفكرية والتأليف أيضاً . . . اذ تنعدم الحساسية التي تضمم بها مؤلفات الأستاذ الدروبي لدى أولئك الى درجة تجعلنا ننسب الكاتب الأصل .. ونتهمه بالقصور وعدم استحقاقه الألقاب الكبيرة التي نالها في عالم الابداع .

ونتساءل أمام هذا الكم الفني الوفير من الترجمات الهامة جداً لماذا انصرف هذا الرجل الكبير الى نقل ابداع الآخرين بلغة من داخل الابداع ، مع أنه أهمل نفسه فلم يسكب تجاربه واراءه بهذه اللغة النابضة الا في مؤلفات

قليلة بعضها مدرسي وقليل منها في مجال الابداع وهي تمتلك الحياة الحارة لغة ومضموناً ، ويبقى التساؤل قائماً ، والأمل في أن لهذا الأديب الحق مخطوطات لم يكشف عنها بعد .

وإضافة الى الدروبي المبدع تأليفاً وترجمة . .

● هناك الدروبي المربي والموقف الوطني والقومي . ويكفي أن نذكر له حادثة واحدة من تاريخه الحافل .

● لقد بكى سامي الدروبي عندما أبلغ قرار تعيينه سفيراً لسورية فقط . . بعد أن كان سفير الجمهورية العربية المتحدة ورفض أن يكون سفير الانفصال .

في ذكرى سامي الدروبي . . . لا نريد أن ننصف وطنياً مبدعاً فحسب ، وانما نبغي من ذلك الى ضرورة تحديد معايير الابداع والفاعليات الحقيقية ليصار الى فرز الأشخاص المنسجمين مع ذواتهم وسلوكهم وكتاباتهم ، وتعرية الزائفين والمندسين في ميادين يفترض أن تكون منطقة حراماً عليهم .

الاحتفال بالذكرى ١٥٠ لميلاد تولستوي
١٩٧٩

كلمة السيدة الوزيرة نجاح العطار

الثورة - ١٩٧٩

أمس . . بدأت في المركز الثقافي السوفييتي وتحت رعاية السيدة الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة والارشاد القومي ، الاحتفالات بالذكرى ١٥٠ لميلاد الكاتب الكبير ليون تولستوي ووفاء لذكرى الأديب الكبير سامي الدروبي . .

اشتمل احتفال الأمس على افتتاح معرض للكتب وكلمة ترحيبية من مدير المركز الثقافي السوفييتي .

أما الكلمات التي ألقيت في الحفل فكانت :

- كلمة الرفيق عبد الله الأحمد عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي
- كلمة السيدة الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة والارشاد القومي .
- كلمة الأستاذ جلال فاروق الشريف .
- كلمة الاستاذ سعيد حورانية .
- كلمة شكر للسيدة دروبي . .

ومما قالت الدكتوره نجاح العطار في الإحتفال بالذكرى ١٥٠ لميلاد تولستوي

يا كاتبا عظيماً أنبتته أرض روسيا ، ناداه تورغيف يوماً ، ونحن نرجع النداء ، وفي مثل هذه الذكرى نستعيده ، نقبس منه ، نتضوأ به ، فعليه ،

ونغليه ، لأنه في لغتنا ، قد صار إلى لغة كريمة أصيلة ، على يد كاتب، من عندنا ، من أرضنا ، عرف كيف يعطر الكلمات بالغالية ، وكيف يصوغ الفكرة صياغة تعطي الأصل حقه ، بأمانة صاحب الميزان ، وبراعة صاحب البيان .

شئتم ، وأنتم في هذه المناسبة الكبيرة ، أن يقترن اسم سامي الدروبي باسم ليون تولستوي ؟ أنه لفخر . . فالكاتب مبدع ، والمترجم مبدع ، وحين يجتمعان ، يصبح الإبداع معجزة الكلم . .

احيي عظمة الكاتبين : الروسي والعربي ، الخالدين في الحرف ، ونعم الخلود به ، قيمة باقية على الدهر . .

وأحيي صداقة الشعبين : السوفيتي والعربي ، فيها ، وطيدة راسخة ، يتجلى معنى التعاون بين الشعوب ، على الخير وضد الشر ، لمصلحة البناء والتقدم ، لدحر العدوان وتحرير الأرض واستعادة الحقوق ، ولأجل السلم العادل الذي هو هدف الإنسانية بأسرها .

أدباء على درب البعث
الدكتور سامي الدّروبي
-١-

البعث ٣٠/ ١٢/ ١٩٧٩

نشأته ودراسته

ولد الأستاذ الأديب ـ سامي الدروبي ـ في ٢٧/ ٤/ ١٩٢١ ودرس الابتدائية والثانوية في مدينة حمص ، ثم أكمل دراسته في تجهيز دمشق ـ القسم الثاني للبكالوريا . . . مارس التعليم الابتدائي في مدارس القنيطرة ، ثم تابع دراسته في دار المعلمين العليا لمدة عامين حيث عين معلما في قرية ـ المخرم الفوقاني ـ في محافظة حمص لمدة سنة واحدة .

وبعد ذلك أوفد إلى القطر العربي المصري في أواخر عام ـ ١٩٤٣ ـ وعاد إلى القطر العربي السوري في عام ـ ١٩٤٨ ـ فعين معيداً في جامعة دمشق ثم أوفد إلى باريس في عام ـ ١٩٤٩ ـ لتحضير الدكتوراه . وعند عودته في عام ـ ١٩٥٢ ـ عين مدرسا ثم أستاذاً في كلية التربية .

-٢-

ـ سامي الدروبي البعثي ـ

يعتبر الدكتور سامي الدروبي من الرعيل الأول من البعثيين الذين أسسوا حزب البعث العربي الاشتراكي في الأربعينات . فناضل بصدق واخلاص من أجل نشر مبادىء حزب البعث والدعوة إليه لتوحيد الصف لمواجهة الحكومات الرجعية وبالتالي العمل على توحيد الأمة العربية لمواجهة المستعمرين وطردهم.. فعانى هو ورفاقه البعثيون الكثير من اضطهاد السلطات حيث اقتيد إلى السجن مع عدد من رفاقه في عهد الشيشكلي . وبقي

في السجن حتى انتهاء فترة حكم الشيشكلي . ـ لم تؤثر فترة السجن على عزيمة ونفسية الدكتور الدروبي بل كانت دافعاً جديداً له ليقدم العطاء تلو العطاء والتضحية تلو التضحية ـ لم يزده السجن إلا صلابة أمام القوى الرجعية ، فاستمر في كفاحه من أجل توعية شعبه وأمته من خلال كتاباته وفكره الناضج .

ـ وعندما عمل الدكتور الدروبي في الحقل الأعلامي أصبح علماً من أعلامه . فعلى الرغم من أن عدد العاملين في الحقل الأعلامي في غام ـ ١٩٥٦ ـ كان قليلاً جداً ، ربما لم يتجاوز عدد أصابع اليدين . ومع ذلك استطاع الدكتور الدروبي أن يرفع من سوية الأعلام أبان تلك الفترة ومما يجب الإشارة إليه هنا ، هو أن الدكتور الدروبي نذر وقته بالكامل للعمل أثناء العدوان الثلاثي على الشقيقة مصر . فأخذ يعمل وكأنه مجموعة رجال تعيش في رجل واحد فكان يذهب إلى الاذاعة ليستمع إلى الأخبار العالمية ويترجمها فورياً ثم يكتبها في الصحيفة وينتظر حتى تتم طباعة الصحيفة ليعود في الرابعة صباحاً متابطا أول عدد من الصحيفة بعد أن حول الصحيفة الأسبوعية التي كانت تصدر باسم حزب البعث العربي الاشتراكي إلى صحيفة يومية .

ـ ٣ ـ

ـ نضال الرفيق سامي الدروبي في مرحلة ما قبل الثورة ـ .

ماذا أكتب هنا عن مواقف وممارسات وسلوك الرفيق المرحوم سامي الدروبي ؟ من أين أبدأ ؟ ! . . . ـ إذ أن مواقف الرفيق المناضل الخالد أكثر من أن تعد في مناسبة كهذه . كما أن مثل هذا الأمر يحتاج إلى مجلد كبير ليستوعب ما قدمه الرفيق الدروبي لأمته وحزبه .

ـ لقد عمل الرفيق الدروبي على معايشة فكر الحزب منذ نشوئه فكان حلقة وصل حقيقية بين الحزب والجماهير الكادحة ، بين القيادات الحزبية والقواعد الحزبية والجماهير العريضة ، فكان يتدارس مع الرفاق المؤسسين الأوضاع القائمة ، وما يجب عمله ، ثم يقوم بنقل ونشر فكر الحزب بأسلوب مشوق جميل .

ـ لقد كان لكتاباته الغزيرة وفكره المضيء أثر فعال في نشر الوعي القومي

في صفوف المثقفين العرب واستقطاب الكثيرين ، وإثارة النقمة على الرجعية العربية والإقطاع أذناب الأستعمار وممثليه .

- ٤ -

- نضال الرفيق سامي الدروبي ما بعد ثورة ٨ آذار - ١٩٦٣ -

بعد قيام ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣! أصبح الرفيق الدروبي عضوا في مجلس قيادة الثورة ثم عين وزيراً للتربية وبعد ذلك تقلد مناصب عديدة فكان مثالاً للاخلاق البعثية الثورية الملتزمة .

- ولقد مثل القطر العربي السوري في العديد من الدول العربية والأجنبية -كمصر ، البرازيل - المغرب ، يوغسلافيا ، كما عين مندوبا دائما للجمهورية العربية السورية في الجامعة العربية في ١/ ٩/ ١٩٦٦ ، وتبع ذلك تعيينه سفيراً لسورية في اسبانيا والفاتيكان معاً وذلك في ٢٧/ ١١/ ١٩٧١ وبقي في منصبه هذا حتى ١٢/ ١٠/ ١٩٧٥ حيث طلب إعادته إلى دمشق لأسباب صحية وبعد أربعة أشهر من عودته وافته المنية في ١٢/ ٢/ ١٩٧٦ بسبب اصابته بانسداد الشريان التاجي في القلب .

- ومن الجدير بالذكر ان الدكتور الدروبي توفي وهو يكتب الفصل الخامس عشر من الجزء الثاني من رواية - الحرب والسلام - لتولستوي - وهكذا نجد ان المرحوم الدكتور الدروبي حافظ على العطاء لامته حتى آخر لحظة في حياته .

- لقد أعطى الدكتور الدروبي - وحسب اعتراف الكثيرين من الدبلوماسيين العرب - بعداً جديداً للدبلوماسية العربية فمثل ضمير أمته وعبقريتها . - وكما قال عنه سفير الجزائر فانه كان سفيراً للعروبة وللقومية العربية وليس سفيراً للقطر العربي السوري وحسب .

- ومن مواقفه القومية أيضاً قيامه بمؤ ازرة الثورة الجزائرية أثناء دراسته في باريس ، حيث شكل حلقه حزبية لدعم الثورة الجزائرية ، وأجرى اتصالات مكثفة مع الجزائريين المتواجدين في فرنسا . وكان الرفيق الدروبي يرى ان النضال كل لا يتجزأ ، فهو في القلم كما في البندقية ، وفي الكلمة الشجاعة الواعية كمثله في طلقة المدفع .

ولذلك عمد إلى ترجمة ثلاثية الأديب الجزائري ـ محمد ديب ـ عن الفرنسية ـ حيث كان يحظر على الجزائريين الكتابة باللغة العربية ـ وذلك لنقل أفكار ومشاعر هذا الأديب المتحمس لقوميته وأمته والمتشوق لتحريرها واعلان لغتها لغة رسمية لجميع أبناء الوطن العربي .

ـ ٥ ـ

الدكتور سامي الدروبي مؤلفا ومترجما ـ

من المسلم به أن الدكتور الدروبي كان مؤلفا مرهف الحس ، رقيق المشاعر ، رفيع الذوق شديد العناية بصياغة تعابيره ، هذا بالاضافة إلى غزارة الانتاج حيث ألف وترجم ما يقارب من ثمانين كتابا .

ومن مؤلفاته ـ علم النفس والأدب ـ علم الطباعة ـ علم النفس والتربية ـ ومن أغاني السكارى على نهر العاصي بمدينة حمص ـ مخطوطة ـ

أما بالنسبة للترجمة فحدث ولا حرج وهنا أحب أن استهل الحديث عن الدكتور سامي الدروبي المترجم بما قاله الدكتور ـ طه حسين ـ عندما سأله أحد الصحفيين قبل وفاته قائلا : ماذا تقرأ ؟ فأجاب : أقرأ ـ دوستويفسكي ـ معربا بقلم سامي الدروبي وأضاف : كأنني بسامي الدروبي مؤسسة كاملة .

في الواقع كان الدكتور الدروبي كذلك ، فضلاً عن كونه مغرماً بالتواصل الإنساني ، كما كان يحب ان ينقل مشاعره واحساسه بالجمال إلى الآخرين ، لذلك اختار أن يكون مترجما بكل ما في هذه الكلمة من معنى كان غيوراً على أبناء أمته إلى حد كبير ، حيث كان يصعب عليه جداً أن يجهل أبناء العروبة كنوز الثقافة الأوربية . لذلك حرص كل الحرص كي يضع هذه الكنوز في متناول القارىء العربي .

فالترجمة في نظر الدكتور الدروبي ـ رسالة حضارية ـ ولطالما بشر بان هذا العصر هو عصر الترجمة . والسبب في ذلك هو أن الأمة العربية بأمس الحاجة إلى أن تفتح نوافذها للهواء والشمس . وبالطبع ، لم تكن الترجمة رسالة يبشر بها وحسب ، بل انبرى بنفسه على حمل لوائها فكان علما من أعلامها البارزين .

ودون ريب كان الرفيق الدروبي مفكراً من الطراز الأول ، ولعل أبرز ما فكر به هو اعتقاده أن نهضة الأمة العربية وبعث تراثها وأمجادها يقتضيان الاطلاع الشامل على الحضارة الحديثة بوجوهها المختلفة فكراً وفلسفة وأدبا وفنا الخ . .

وبالاضافة إلى كون الدروبي مترجما كبيراً وأديباً ممتازاً ، كذلك كان فنانا يغرم بالجمال ، ويصنع الجمال أيضاً أما بالنسبة للغة العربية فكان يهيم بها ويتأمل جمالها وروعتها كالعاشق الولهان . فاذا ما قرأت ترجمات الدكتور الدروبي ، تنسى نفسك ، وتتوهم أنك تقرأ نصاً عربياً أصيلاً ، لم ينقل من لغة أخرى . ويعود السبب في ذلك إلى أسلوب الدروبي المرهف وعبارته الرشيقة الجميلة ، وبيانه الساحر ، وباختصار شديد فان الرفيق المرحوم الدروبي كان مالكا ناصية التعبير باللغة العربية .

لذا فقد اكتسب الدكتور الدروبي شهرة عظيمة على المستوى العربي والدولي . حتى المترجم والمستشرق الروسي - فلاديمير كراستوفسكي - الذي رافق - خروتشوف - رئيس الاتحاد السوفييتي السابق أثناء زيارته إلى مصر ، طلب من وزير الثقافة المصري - د. ثروت عكاشة - أن يطلع على الترجمة العربية - لدوستويفسكي - ليتعرف على مدى الدقة في الترجمة ، وفيما إذا كانت اللغة العربية قادرة على استيعاب تحليلات - دوستوفسكي - النفسية . فكتب لوزير الثقافة المصري بعد أن أطلع على الترجمة - لو ان دستويفسكي - كتب باللغة العربية لما كتب أجمل من هذا . أجمل من هذا . وبعد ذلك طلب وزير الثقافة في الاتحاد السوفييتي مجموعة دوستويفسكي بالعربية ليصار إلى حفظها في متحف - دوستويفكسي - في الاتحاد السوفييتي . وهي أول مرجع عربي يحفظ في متحف - دوستويفسكي -

- ٦ -

- من ترجمات المؤلف -

ابنة الضابط ، للكاتب الروسي الكسندر بوشكين - بطل من زماننا للكاتب الروسي ، ليرمانتوف - مدخل إلى علم السياسة ، عن موريس دوفرجيه ، تفكير كارل ماركس ، عن جان أيف كلافيز - علم النفس

التجريبي ، عن - روبرت ودوث - ثلاثية الكاتب الجزائري - محمد ديب - الدار الكبيرة ، الحريق ، النول - معذبو الأرض - فرانزفانون - جسر على نهر الدرينا ، عن الكاتب اليوغسلافي ايفو اندريتش وهي الرواية التي فازت بجائزة نوبل للآداب ومن الجدير بالذكر هنا ، ان الدكتور الدروبي ترجم وطبع هذه الرواية قبل ان تمنح جائزة - نوبل - بستة أشهر مما يدل على حسه الأصيل وذوقه الأدبي الرفيع - كما ترجم رواية كونكاس بوربا ، عن الكاتب البرازيلي - ميشليو دو آسي -

أدباء على درب

للكاتب الروسي - دوستويفسكي - التي تضم ثمانية عشر مجلداً وتقع في - ١٢,٠٠٠ - صفحة ، وترجم أيضاً الأعمال الكاملة - لتولستوي - وتقع في أكثر من - ٤,٠٠٠ - صفحة . ثم مسائل فلسفة الفن المعاصر ، عن الكاتب الفرنسي - غوايو - .

وعندما وافته المنية كان قد انتهى من ترجمة - ٩٦٠ - صفحة من الجزء الثاني من رواية الحرب والسلم لتولستوي وظلت أربعون صفحة لتنتهي ترجمة هذا العمل الأدبي الكبير .

- ٧ -

خاتمة :

من حسن حظ القارىء العربي أن الله قيض له أديباً ومترجما كبيراً نقل له عبقرية - دوستويفسكي - بدقة وبلغة سليمة وبأسلوب مشوق جميل . ومرة أخرى أحب أن أعود إلى ما قاله الدكتور - طه حسين عن الدكتور الدروبي - المؤسسة الكاملة - حيث قال : عندما كنت مديراً عاماً للثقافة في الجامعة العربية قررنا أن نترجم أعمال شكسبير إلى اللغة العربية ، وكانت هناك ظروف مادية وفكرية متوفرة، فلم نستطع أن ننهي أعمال شكسبير بالرغم من مضي ثمانية عشر عاماً على المشروع ، بينما نجد الدكتور الدروبي بمفرده ، ودون أن يقدم له أحد العون يترجم أعمال - دوستويفسكي - وتولستوي - وهنا تتمكن عبقرية الرفيق الدكتور سامي وقدرته على العطاء وطموحه اللا محدود . أليس هو القائل : كم أتمنى لو أن روائع الأدب العالمي جمعت في

مجلد واحد ، إذا لكنت ترجمته واسترحت . لقد قدر الرفيق الدروبي عالميا بعد رحيله ومنح جائزة (اللوتس) للترجمة في مؤتمر اتحاد الكتاب الآسيويين والأفريقيين الذي عقد في طشقند في عام ـ ١٩٧٨ ـ . . وهو أول عربي سوري يمنح هذه الجائزة .

وأخيراً أود أن أقول : ان الرفيق الدكتور سامي الدروبي الذي قدم الكثير لأبناء القومية وناضل طوال عمره من أجلهم سيبقى خالداً في تاريخ حزب البعث العربي الاشتراكي وتاريخ الفكر العربي ، كما أنه سيبقى حيا في ذاكرة كل بعثي مثقف ومنارة للأجيال العربية القادمة .

ولكم أتمنى أن تعاد طباعة مؤلفاته بشكل دوري ليتمكن أبناء لغة الضاد من الاستفادة من فكر الرفيق سامي الدروبي . وكم أتمنى أيضاً أن تعمد قيادة الحزب إلى تخليد ذكرى الرفيق الراحل باقامة نصب تذكاري له مثلا .

. . . إذ أن الكثيرين من رجالات الأدب والسياسة منحوه العديد من الاوسمة تقديراً لادبه وفكره فكيف بنا ونحن رفاقه الذين أضاء لنا الطريق ؟ لقد علمنا الرفيق القائد حافظ الأسد أن نكرم ونحترم جميع الرفاق المناضلين من مفكرين وأدباء فكيف بنا ونحن أمام رفيق قد أنار الكثير من الجوانب المظلمة ؟ عهداً إننا سنبقى أوفياء بحبنا وقلوبنا لكل المفكرين والمناضلين الشرفاء الذين يروون بفكرهم شجرة البعث المتمثلة في وحدة الأمة العربية وحريتها وتوفير العدالة الإجتماعية والرفاه لجميع أبنائها .

كلمة الختام

لاأجد قولاً أنهي به محاولتي هذه يا سامي وأنا التي رأت بأم عينها وبكل أحاسيسها ، كم عانيت من حالتك الصحية ، وكم كابدت وكيف تحملت ، وكم فرضت على نفسك من الجهد باندفاعك الوحشي في القيام بأعمالٍ فيها من شدة الاجهاد وقوة الانفعال ما يضني الأصحاء فكيف بمن ركبتهم علة العلل سوى قول الشاعر

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

لذا تراني يا سامي أقف امام قرائك ، لأشهد أنك اديت الأمانة إلى أمتك وإلى لغتك .

أيها القارىء الكريم ما أحسبني قد استطعت أن أفي هذه الذكريات الغالية على حقها في الأداء ولكن يشفع لي أنها صادقة كل الصدق ، وأنها صادرة من قلب ملتاع .

أيها القارىء الكريم لأنهي محاولتي هذه كما بدأتها . . . .

ليست بالضرورة أن تكون زوجة الكاتب كاتبة فاعذروني وشكراً . . . .

احسان بيات الدروبي

﴿صــــدر عن الكـــرمل﴾

أولمبياد اللغة المؤجلة (شعر) أسعد جبوري .

تضاريس لوجه غير باريسي (شعر) ربيعة الجلطي .

مصر السادات رؤية ناصرية سليمان الحكيم .

القرد يقرع الباب (قصص أطفال) محمد الريماوي .

دروب القراءة رالف ستيجر ترجمة بشير النحاس .

زهرة الصندل (رواية) وليد إخلاصي .

الحنظل الأليف (رواية) وليد إخلاصي .

الحركة الصهيونية في أدبيات لينين محمود عباس (أبو مازن) .

الحيوان في قصص الأطفال عربي العاصي .

مشـكلات الانتقـال من الـرأسمالية الى الاشتـراكية في بلغــاريا د. عبدالله حنا .

كامب ديفيد ومستقبل الصراع في المشرق العربي د. حامد ربيع

الرواية في الأدب الروسي د. سامي الدروبي .

عندما تحترق الحروف فتحي كواملة .

التويزا (رواية) الزاوي أمين .

الدروبي إحسان بيات الدروبي .

الدكتور سامي الدروبي

- ولد سامي الدروبي في ٢٧ـ٤ـ١٩٢١ ٠
- درس في حمص الدراسة الابتدائية والثانوية ٠
- أكمل دراسته في تجهيز دمشق « القسم الثاني للبكالوريا »٠
- مارس التعليم الابتدائي في مدارس الجولان بالقطر العربي السوري ٠
- تابع دراسته في دار المعلمين العليا لمدة عامين وعيّن معلماً وظل في وظيفته هذه كمعلم سنة واحدة درّس خلالها في قرية « المخرم الفوقاني » في محافظة حمص ٠
- أوفد إلى القطر العربي المصري في أواخر عام ١٩٤٣ ٠
- عاد إلى القطر العربي السوري عام ١٩٤٧ فعين مدرساً للفلسفة بحمص ٠
- نقل في السنة التي تلت ٤٧ ـ أي عام ٤٨ـ٤٩ إلى دمشق (كمعيد في الجامعة) ٠
- وفد إلى باريس من عام ٤٩ـ٥٢ـ لتحضير الدكتوراه ٠
- عاد من باريس وعيّن مدرساً في كلية التربية ، ثم أستاذاً ٠
- أوفد إلى القطر العربي المصري كمدير في وزارة الثقافة عام ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ ٠
- عيّن مستشاراً ثقافياً للجمهورية العربية المتحدة في البرازيل عام ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ ٠
- بعد الانفصال مباشرة طلب إعادته إلى دمشق ٠
- عيّن وزيراً للتربية بعد ثورة ٨ آذار ١٩٦٣ ٠
- عيّن سفيراً للجمهورية العربية السورية في المغرب في ١ـ٩ـ١٩٦٣ ٠
- عيّن سفيراً للجمهورية العربية السورية في يوغسلافيا في ١ـ١٢ـ١٩٦٤ ٠
- عيّن مندوباً دائماً للجمهورية العربية السورية في الجامعة العربية في ١ـ٩ـ١٩٦٦ ٠
- عيّن سفيراً للجمهورية العربية السورية في مدريد باسبانيا في ٢٧ـ١١ـ١٩٧١ ٠
- في ١٢ـ١٠ـ١٩٧٥ طلب إعادته إلى دمشق لأسباب صحية وبقي سفيراً في وزارة الخارجية ، وظل يعمل في أعماله الأدبية وفي حقل الترجمة وإنجاز مشاريعه الأدبية رغم ظروفه الصحية القاسية٠٠ظل يعمل من ١٢ـ١٠ـ١٩٧٥ وحتى ١٢ـ٢ـ١٩٧٦ حيث وافته المنية ورحل فقيداً للعروبة والفكر ٠

(مؤلفاته)

- علم النفس والأدب ٠
- علم الطباع ٠
- علم النفس والتربية ٠
- ابنة الضابط ـ ترجمة عن الكاتب الروسي الكسندر بوشكين٠
- بطل من زماننا ـ ترجمة عن الكاتب الروسي ليرمانتوف ٠
- مياه الربيع ـ ترجمة عن الكاتب الروسي تورغنيف ٠
- مدخل إلى علم السياسة ـ ترجمة موريس دوفرجيه ٠
- تفكير كارل ماركس ـ ترجمة ـ عن جان إيف كلافيز ٠
- علم النفس التجريبي ـ ترجمة عن روبرت وودث
- ثلاثية الكاتب الجزائري محمد ديب الذي يكتب بالفرنسية ـ الدار الكبيرة ـ الحريق ـ النول ٠
- معذبو الأرض ـ ترجمة عن الفرنسية لفرانز فانون ٠
- جسر على نهر الدرينا ترجمة عن الكاتب اليوغسلافي إيفو اندريتش وهي الرواية الفائزة بجائزة نوبل للآداب
- أخبار مدينة ستراڤنك ـ ترجمة عن الكاتب اليوغسلافي إيفو اندريتش ٠
- رواية كونكاس بوربا ترجمة عن الكاتب البرازيلي ميشيلو دوآسي ٠
- الأعمال الكاملة لـ ٠٠ الكاتب الروسي دوستويفسكي ـ منشورات وزارة الثقافة في جمهورية مصر العربية في ١٨ مجلداً وتتراوح عدد صفحات المجلد الواحد بين ٧٠٠ـ٨٠٠ صفحة ٠
- الاعمال الكاملة لتولستوي الكاتب الروسي ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي في القطر العربي السوري في ثلاثة مجلدات والجزء الرابع قيد الطبع ٠٠ وعدد صفحات المجلد الواحد ١٠٠٠ صفحة ٠
- مسائل في فلسفة الفن المعاصر ـ ترجمة عن الكاتب الفرنسي جان غوايو ٠
- عندما وافته المنية كان قد انتهى من ترجمة ٩٦٠ صفحة من الجزء الثاني من رواية الحرب والسلم لتولستوي وظلت ٤٠ أربعون صفحة لتنتهي ترجمة هذا العمل الأدبي الهام ٠

(المخطوطات)

- من أغاني السكارى على نهر العاصي بمدينة حمص ٠